**التوبة**

**المقدمة :**

**إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال تعالى :{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} آل عمران/ 120،وقال تعالى :{ يائها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً } النساء / 1،وقال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً } الأحزاب /70 ، 71 وبعد :**

**فما من أحد إلاَّ وله ذنوب يحتاج فيها إلى مغفرة الغفور الرحيم ، وما من عبد إلا ويعتريه التقصيرمهما بلغ إيمانه، إذا عُلم ذلك فإن التوبة عبادة لا يستغني عنها أحد أبدًا، وأنها أول درجات السير إلى الله تعالى، فالعبد بحاجة إليها في بدايته إلى نهايته ومماته، فالاستغفار واجب على الدوام، إما من معصية أو من الهمِّ بها، أو ترك واجب وتهاون به، أو من وسواس الشيطان، أو تقصير أو جهل..... ومن ظن أنه قام بما يجب عليه وأنه لا يحتاج إلى مغفرة الرب تعالى وعفوه فهو ضال، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «لن يدخلَ الجنَّةَ أحدٌ بعمله»، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ».**

**ولأهمية التوبة والإستغفار وتقصيرنا فيها قررت جمع شتات هذا الموضوع المهم وهو يتكون من : آي الذكر الحكيم ،وأحاديث المصطفي المرسل رحمة للعالمين ،وكلام الصحابة الغر الميامين ، والتابعين ،ومن تبعهم من الأئمة والمفسرين والعلماء والكتاب الى يومنا هذا وقد عزوت كل نص الى قائله وهو اقرب ما يكون الى التفسير الموضوعي...**

**إن اصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان واستغفر الله من كل ذنب وخطأ إنه هو الغفور الرحيم**

**#المعنى اللغوي للتوبة :**

**المعنى** **اللغوي للفظ ( تاب ) : تاب إلى الله: تراجع وتوقف عن الفعل غير الصواب وتحول إلى أمر الله الأكثر صواباً إذعاناً لله**

**تَوْب ؛ يَتُوْبُ ": التوقف والتراجع عن فعل خاطئ إذعاناً لأمر آخر ، تَوْبَة: على وزن "فَعْلَة "اسم فعل بمعنى مفعول للمرة من " تَابَ – يَتُوْبُ ": التوب لمرة واحدة معلومة عن فعل مخصوص ، مَتَاب: على وزن "مَفْعَل" مصدر ميمي من " تَابَ – يَتُوْبُ ": التوب العظيم ، تَائِب: اسم فاعل صفة مشبهة من " تَابَ - يَتُوبُ " ، تائِبُوْن: جمع ، تَائِبَة: مؤنث" تَائِب" ، تَوَّاب: على وزن " فـَعـَّال" اسم فاعل مبالغة صفة مشبهة من " تَابَ - يَتُوبُ ": كثير التوب: كثير التراجع ، واللفظ ينتمي إلى مجموعة ألفاظ الرجوع عن الذنب والمعصية، والندم والتوبة والعودة للطاعة والخضوع لله (1)**

**والتَّوَّاب : اسم من أسماء الله الحسنى ، ومعناه : الذي يتوب على عباده ويقبل توبتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ، وتواب : كثير التوبة**

**و تاب المذنبُ إلى الله ندِم على ما صدر عنه ، ورجع عن المعصية :- تاب العاصي من ذنوبه الكثيرة ، - { وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَابًا } .**

**و تاب اللهُ عليه / تاب اللهُ عنه : وفّقه للرُّجوع عن المعصية وغَفَر له وصَفَح عنه :- التوبة النصوح أن يتوب العبد عن الذنب ولا يعود إليه ، - { فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ } التوبة آية 118 ، {إنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (2)**

**#المعنى الإصطلاحي للتوبة :**

**قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " فحقيقة التوبة : هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل، والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة؛ فإنه في ذلك الوقت يندم، ويقلع، ويعزم، فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة " . أ . هـ . (3)**

**وقال الراغب: التوب: ترك الذنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك،**

**000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع كتاب الله**

**(2)الأنترنت – موقع المعاني**

**(3)مدارج السالكين " (1/182).**

**وهذا الأخير هو التوبة، والتوبة في الشرع : ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة. وتاب إلى الله، فذكر"إلى الله" يقتضي الإنابة. نحو: {فتوبوا إلى بارئكم} البقرة/54، {وتوبوا إلى الله جميعا} النور/31، {أفلا يتوبون إلى الله} المائدة/74، وتاب الله عليه؛ أي: قبل توبته، منه: { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين} التوبة/117، {ثم تاب عليهم ليتوبوا} التوبة/118، {فتاب عليكم وعفا عنكم} البقرة/187**

**والتائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة، فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده.**

**والتواب: العبد الكثير التوبة، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركا لجميعه، وقد يقال ذلك لله تعالى لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال. (1)**

**وقوله: {ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا } الفرقان/71 ، أي: التوبة التامة، وهو الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل. {عليه توكلت وإليه متاب } الرعد/30، {إنه هو التواب الرحيم } البقرة/54.**

**#وملخص المعنى :**

**1. تابَ إِلى اللّهِ يَتُوبُ تَوْباً وتَوْبةً ومَتاباً: أَنابَ ورَجَعَ عن الـمَعْصيةِ إِلى الطاعةِ،**

**2. التَّوْبةُ: الرُّجُوعُ من الذَّنْبِ.**

**3. ورَجل تَوَّابٌ: تائِبٌ إِلى اللّهِ.**

**4. تابَ عادَ إِلى اللّهِ ورَجَعَ وأَنابَ.**

**5. وتابَ اللّهُ عليه أَي عادَ عليه بالـمَغْفِرة.**

**6. واللّهُ تَوّابٌ: يَتُوبُ علَى عَبْدِه.**

**7. وتُوبُوا إِلى اللّه جَمِيعاً؛ أَي عُودُوا إِلى طَاعتِه وأَنيبُوا إِليه.**

**8. واللّهُ التوَّابُ: يَتُوبُ على عَبْدِه بفَضْله إِذا تابَ إِليهِ من ذَنْبه.**

**000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص 99**

**9. واسْتَتَبْتُ فُلاناً: عَرَضْتُ عليهِ التَّوْبَةَ مـما اقْتَرَف أَي الرُّجُوعَ والنَّدَمَ على ما فَرَطَ منه.**

**10. واسْتَتابه: سأَلَه أَن يَتُوبَ.(1)**

**والتوبة والاستغفار معناه طلب المغفرة من الله بمحو الذنوب وستر العيوب، فهو مأخوذ من الرجوع والغَفْر وهو الستر والتغطية، ولابد أن يصحبه إقلاع عن الذنوب والمعاصي، وأما الذي يقول: أستغفر الله بلسانه، وهو مقيم على المعاصي بأفعاله فهو كذاب لا ينفعه الاستغفار قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «استغفارك بلا إقلاع توبة الكذابين»، وقال آخر: «استغفارنا ذنب يحتاج إلى استغفار»، أي: أن من استغفر ولم يترك المعصية فاستغفاره ذنب يحتاج إلى استغفار، فانظر في حقيقة استغفارك لئلا تكون من الكذابين المستغفرين بألسنتهم المقيمين على معاصيهم.(2)**

**#منهج فهم معاني الأسماء الحسنى والتعبد بها ( التواب )**

**المسلك الأول: التواب في اللغة من صيغ المبالغة، يقال تاب إلى الشيء يتوب توبا إذا رجع،[3]**

**والتوبة الرجوع عن الشيء إلى غيره، والتائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة، فالعبد تائب إلى الله والله تائب على عبده، قال تعالى ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: 71].**

**المسلك الثاني: دل هذا الاسم على تسمية الله بالتواب واتصافه بصفة التوبة بالمطابقة، وعلى أحدها بالتضمن، وهو من أسماء صفات الأفعال المتعلق بالمشيئة.**

**وتوبة الله على عبده نوعان:**

**أحدهما: يوقع في قلب عبده التوبة إليه والإنابة إليه، فيقوم بالتوبة وشروطها من الإقلاع عن المعاصي، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها، ويستبدلها بعمل صالح.**

**والثاني: توبته على عبده بقبولها وإجابتها ومحو الذنوب بها، فإن التوبة النصوح تجبُّ ما قبلها.[4].**

**00000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع كتاب الله**

**(2)الأنتر نت – موقع راية الإصلاح للكاتب محمد بوسنة**

**[3] تفسير أسماء الله الحسنى/61. [4] انظر الحق الواضح المبين /74.**

**قال ابن القيم رحمه الله:**

**وكذلك التواب من أوصافه \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*والتوب في أوصافه نوعان**

**إذنٌ بتوبة عبده وقبولها\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* بعد المتاب بمنة المنان**

**قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: 64]، وقال سبحانه ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: 104].**

**المسلك الثالث: ودل هذا الاسم على تنزيه الله تعالى من الأمر بالفحشاء والسوء، ﴿ وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا ﴾ [النساء: 27]، وأنه لا أحد يحول بين العبد وبين توبة ربه عليه.**

**المسلك الرابع: قال الغزالي رحمه الله: التواب هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى، بما يظهر لهم من آياته، ويسوق إليهم من تنبيهاته، ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته، حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه؛ فرجعوا إلى التوبة فرجع إليهم،[1]**

**وقال ابن سعدي: التائب على التائبين: أولا بتوفيقهم للتوبة والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب عليهم بعد توبتهم: قبولاً لها، وعفواً عن خطاياهم [2].**

**المسلك الخامس: تعلق هذا الاسم بتوبة الله على عباده ودعوتهم إليها، وتأمل هذه التوبة الجليلة بعد الابتلاء والاختبار، يقول تعالى ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: 118]، وفي الحديث القدسي: " قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"، رواه الترمذي عن أنس..**

**00000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] المقصد الأسنى /139.**

**[2] تفسيره 5/623.**

**# ومن مقتضيات التوبة: نداء العباد إليها ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53]، وبسط يد الله لهم بها، عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها"، رواه مسلم.**

**# ومن آثار التوبة: أن الله يفرح بتوبة عبده إذا تاب، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" كيف تقولون لفرح رجل انفلتت منه راحلته، تجر زمامها بأرض قفر ليس بها طعام ولا شراب، وعليها له طعام وشراب، فطلبها فلم يجدها حتى شق عليه، ثم مرت بجذل شجرة، فتعلق زمامها فوجدها متعلقة به؟ أما والله لله أشد فرحًا بتوبة عبده من الرجل براحلته"، رواه مسلم عن البراء، ويحب سبحانه التائبين ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: 222]، ويبدل سيئات أعمالهم وأحوالهم حسنات ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: 70]، ويدخلهم سبحانه في نعيم جنته، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: 8].**

**المسلك السادس: اقترن هذا الاسم باسم الله الرحيم كثيرًا في القرآن كما في قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 37]؛ لأن توبته على عباده من مقتضيات رحمته بهم، واقترن كذلك باسم الله الحكيم، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: 10]، فهي توبة عن حكمة لله عظيمة في إيجاد الذنب ثم مغفرته بالتوبة، واقترن بعدة أوصاف في قوله تعالى ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: 3].**

**المسلك السابع: هذا الاسم من مجموعة الأسماء الدالة على سعة رحمة الله وكرمه، كالرحيم والغفور والحليم والعفو، ونحوها، قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: 74].**

**المسلك الثامن: العبد يسمى أيضًا تائب وتواب، وله من هذا الاسم نصيب، لكن توبة العبد وقعت بين توبتين لله تعالى، يقول ابن القيم رحمه الله: وتوبة العبد إلى ربه محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها؛ فتوبته بين توبتين من الله سابقة ولاحقة؛ فإنه تاب عليه أولاً إذنًا وتوفيقًا وإلهامًا، فتاب العبد؛ فتاب الله عليه ثانيًا قبولاً وإثابة، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ \* وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: 117، 118]، فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سببًا ومقتضيًا لتوبتهم؛ فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم.. ثم قال: والعبد تواب والله تواب؛ فتوبة العبد: رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق وقبول وإمداد.[1].**

**المسلك التاسع: كان من هديه صلى الله عليه وسلم أن يتعبد الله بهذا الاسم، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى، ثم قال:" اللهم اغفر لي وتب على إنك أنت التواب الرحيم حتى قالها مائة مرة"، أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن عائشة، وكان في صلاته يتأول القرآن يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"، يتأول قوله تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: 3]، وكان يتعبد لله بالتوبة إليها والرجوع، وزكى الله توبته وتوبة من معه فقال ﴿ لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.**

**# وكان من أذكاره صلى الله عليه وسلم بعد الوضوء: " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين"، رواه الترمذي عن عمر، وفي حديث ابن عمر عند ابن ماجه قال: إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول: رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة.**

**المسلك العاشر: ومن هدي السلف الصالح ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه لما رأى مغنيًا يغني بطنبور، فقال: ما أجمل هذا الصوت لو كان بالقرآن، فلما سمع ذلك، أعلن توبته، وأتى ابن مسعود، فعانقه، وقال: مرحبًا بحبيب الرحمن، فأوقفه على مقتضى من مقتضيات اسم الله التواب؛ أن الله يبدل السيئات حسنات، ويصبح التائب حبيبًا للرحمن، فاستقام هذا التائب حتى أصبح من علماء الأمة.**

**المسلك الحادي عشر: ينبغي علينا أن نحرص على أن نتعبد الله تعالى بهذا الاسم من خلال:**

**# الدعاء: ومن أدعية الأنبياء في القرآن الكريم: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 128]، ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه عبد الله بن مسعود:" ربنا أصلح بيننا، واهدنا سبيل الإسلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، واصرف عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قائلين بها، وأتممها علينا، أخرجه البخاري في الأدب المفرد.**

**000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] مدارج السالكين 1/312-313.**

**# تعبيد الأسماء لله بهذا الاسم فيسمي عبد التواب وأمة التواب، وهو قليل في الناس.**

**# تسبيح الله بهذا الاسم: قال تعالى﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾.**

**# القيام بما يقتضيه من فعل التوبة والإكثار منها، قال تعالى {وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: 11]، فقسمت هذه الآية الناس فريقين لا ثالث لهما: تائب وظالم، وقال الله في التائبين: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾، وبتوبته تحقق له الخيرية التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، رواه الترمذي عن أنس.**

**# والعبد بحاجة دائمًا للتوبة والإنابة إلى ربه، " ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة، أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خلق مفتنًا توابًا نسيًا، إذا ذكر ذكر"، رواه الطبراني عن ابن عباس، فلا بد أن يظهر أثر هذا الاسم على العباد، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"، رواه مسلم عن أبي هريرة.**

**# ومن مقتضى هذا الاسم أن يبادر العبد بالتوبة إلى ربه تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: 17، 18].**

**المسلك الثاني عشر: أن نتخلق بخلق العفو عن الناس والصفح عنهم، يقول الغزالي: من قبل معاذير المجرمين من رعاياه وأصدقائه ومعارفه مرة بعد أخرى فقد تخلق بهذا الخلق وأخذ منه نصيبًا، [1]**

**وفي الصحيح:" حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان رجلاً موسرًا، وكان يخالط الناس، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، فقال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه"، رواه الترمذي.**

**المسلك الثالث عشر: وبهذا يتجلى أن التوبة على العباد من الذنوب إنما اختص الله بها على أكمل وجه وأتم معنى، فإلى من يتجه العبد بعد الله وليس أحد من دونه مهما كان صلاحه وخيره يملك التوبة على العباد،** **واسمع لقول الله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ آل عمران: 128 (2)**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] المقصد الأسنى/139.** **(2) الأنترنت – موقع الألوكة - د. طالب بن عمر بن حيدرة الكثيري**

**# عبارة العلماء في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولا:**

**قال القرطبي : قوله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله } أمر بالتوبة وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وكل الأزمان . والقول فيها في " النساء " وغيرها . توبة نصوحا اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولا ; فقيل : هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع ; وروي عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم . ورفعه معاذ إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : النصوح الصادقة الناصحة . وقيل الخالصة ; يقال : نصح أي أخلص له القول . وقال الحسن : النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره . وقيل : هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها . وقيل : هي التي لا يحتاج معها إلى توبة . وقال الكلبي : التوبة النصوح الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والإقلاع عن الذنب ، والاطمئنان على أنه لا يعود . وقال سعيد بن جبير : هي التوبة المقبولة ; ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط : خوف ألا تقبل ، ورجاء أن تقبل ، وإدمان الطاعات . وقال سعيد بن المسيب : توبة تنصحون بها أنفسكم . وقال القرظي : يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، وإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيئ الخلان . وقال سفيان الثوري : علامة التوبة النصوح أربعة : القلة والعلة والذلة والغربة . وقال الفضيل بن عياض : هو أن يكون الذنب بين عينيه ، فلا يزال كأنه ينظر إليه . ونحوه عن ابن السماك : أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك .**

**وقال أبو بكر الوراق : هو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت ، وتضيق عليك نفسك ; كالثلاثة الذين خلفوا . وقال أبو بكر الواسطي : هي توبة لا لفقد عوض ; لأن من أذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الآخرة ; فتوبته على حفظ نفسه لا لله . وقال أبو بكر الدقاق المصري : التوبة النصوح هي رد المظالم ، واستحلال الخصوم ، وإدمان الطاعات . وقال رويم : هو أن تكون لله وجها بلا قفا ، كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه . وقال ذو النون : علامة التوبة النصوح ثلاث : قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام . وقال شقيق : هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ، ولا ينفك من الندامة ; لينجو من آفاتها بالسلامة . وقال سري السقطي : لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين ; لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله . وقال الجنيد : التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبدا ; لأن من صحت توبته صار محبا لله ، ومن أحب الله نسي ما دون الله . وقال ذو الأذنين : هو أن يكون لصاحبها دمع مسفوح ، وقلب عن المعاصي جموح . وقال فتح الموصلي : علامتها ثلاث : مخالفة الهوى ، وكثرة البكاء ، ومكابدة الجوع والظمأ . وقال سهل بن عبد الله التستري : هي التوبة لأهل السنة والجماعة ; لأن المبتدع لا توبة له ; بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب . وعن حذيفة : بحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه . وأصل التوبة النصوح من الخلوص ; يقال : هذا عسل ناصح إذا خلص من الشمع . وقيل : هي مأخوذة من النصاحة وهي الخياطة . وفي أخذها منها وجهان : أحدهما : لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه . والثاني : لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم ; كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض . وقراءة العامة نصوحا بفتح النون ، على نعت التوبة ، مثل امرأة صبور ، أي توبة بالغة في النصح . وقرأ الحسن وخارجة وأبو بكر عن عاصم بالضم ; وتأويله على هذه القراءة : توبة نصح لأنفسكم . وقيل : يجوز أن يكون نصوحا ، جمع نصح ، وأن يكون مصدرا ، يقال : نصح نصاحة ونصوحا . وقد يتفق فعالة وفعول في المصادر ، نحو الذهاب والذهوب . وقال المبرد : أراد توبة ذات نصح ، يقال : نصحت نصحا ونصاحة ونصوحا(1)**

**#أهميَّة التوبة والاستغفار:**

**للتوبة والاستغفار أهمية كبيرة ومكانة عظيمة عند الله ـ سبحانه ـ لذا ذكره في مواضع كثيرة من كتابه، فقد وصف نفسه العلية بالتواب وبالغفار وبالعفوِّ وبالغفور، وبأنه أهل التقوى والمغفرة، فقال عز وجل: ﴿إِنَّ الله كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:23]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[نوح:10]، وقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[طه:82]، وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّ الله كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء:149]،**

**وقال جل وعلا: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَة﴾[المدَّثر:56]، وأمر الله ـ سبحانه ـ نبيه محمَّدًا ﷺ بالاستغفار، فقال: ﴿وَاسْتَغْفِرِ الله إِنَّ الله كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:106]، وأمر المؤمنين بالاستغفار فقال عز وجل: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيم﴾المزَّمل:20، وامتدح المستغفرين فقال جلَّ وعلا: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّار\* الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَار﴾آل عمران/16**

**وقص الله علينا عن أنبيائه أنهم كانوا ملازمين للاستغفار، ويدعون أقوامهم إليه ويحضُّونهم عليه، فَذَكَر عن الأبوين عليها السلام أنهما لما خالفا أمر الله عز وجل وأَزَلَّهُمَا الشيطان وأوقعهما فيما نهاهما الله عنه: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين﴾[الأعراف:23]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [نوح:28]، وحث قومه على الاستغفار فقال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[نوح:10]، وهود عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ...﴾[هود:52]، وإبراهيم الخليل عليه السلام يقول: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّين﴾[الشعراء:82]، وموسى عليه السلام يقول: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ00000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع تفسير القرطبي**

**هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم﴾[القصص:16]، وداود عليه السلام يقول الله في شأنه: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَاب﴾ [ص:24].**

**وقد كان نبيُّنا ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كثير الاستغفار، يعدُّ له أصحابه في المجلس الواحد مائة مرَّة: «رَبِّ اغْفِرْلِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» وفي رواية: «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ»**

**وها هو أفضل الأمة وخيرها بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ يسأل رسول الله ﷺ فيقول: يا رسول الله! علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»**

**# أقوال مأثورة في الاستغفار:**

**روي عن لقمان أنَّه أوصى ابنه فقال: «عَوِّد لسانك: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلا».**

**وقالت عائشة رضي الله عنها: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا»**

**وقال قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله: «إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار». وقال الحسن رحمه الله: «أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقاتكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة».**

**ومن الآثار التي تُروى: قصة الحسن البصري مع الحمال، فقد استأجر الحسن حمالا، فسمعه يقول: «الحمد لله وأستغفر الله» طول الطريق، فقال له الحسن: ما هذا إنك لا تحسن غير هذا الكلام؟! فقال: إني أحفظ نصف القرآن، ولكني أعلم أن العبد بين أمرين: نعمة نازلة عليه من الله وجب عليه حمده وبين ذنب فيه صاعدا إليه وجب عليه استغفاره، لهذا أقول دائما وأبدا: «الحمد لله وأستغفر الله»، فقال الحسن: حمال أفقه منك يا حسن!». (1)**

**وقال علي –رضي الله عنه- ما ألهم الله –سبحانه- عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.**

**وقال الربيع بن خثيم: "تضرعوا إلى ربكم وادعوه في الرخاء فإن الله قال: من دعاني في الرخاء أجبته في الشدة ومن سألني أعطيته ومن تواضع لي رفعته، ومن تفرغ لي رحمته، ومن استغفرني غفرت له"(التداوي بالاستغفار، حسن بن أحمد همام) .**

**000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنتر نت – موقع راية الإصلاح للكاتب محمد بوسنة**

**- وقال أحد العلماء: "الاستغفار استصلاح الأمر الفاسد قولا وفعلا. يقال اغفروا هذا الأمر، أي أصلحوه بما ينبغي أن يصلح".**

**- وقال بعضهم: "الاستغفار طلب المغفرة من الغفار، وهو ما يغطي به الشيء".**

**- وقال عالم: "أربعة أشياء من العبد وأربعة من الرب: الشكر من العبد، والزيادة من الرب، والطاعة من العبد، والقبول من الرب، والدعاء من العبد، والإجابة من الرب، والاستغفار من العبد، والغفران من الرب" (1)**

**- وعن يونس بن عبيد عن بكر بن عبد الله قال : "إنكم تستكثرون من الذنوب فاستكثروا من الاستغفار، وإن الرجل إذا أذنب ذنبا ثم رأى إلى جنبه استغفارا سره مكانه" (2)**

**- وعن أبي المنهال قال: "ما جاور عبد في قبره جار خير من استغفار كثير"(من أخبار السلف، زكريا بن غلام قادر الباكستاني).**

**- وقال عبد الله بن شقيق: "الرجل ثلاثة: رجل علم حسنة فهو يرجو ثوابها، ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة، والثالث: الرجل الكذاب يتمادى في الذنوب ويقول أرجو المغفرة، ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أن يكون الخوف غالبا على رجائه".**

**- وعن الحسن قال: "إن الرجل يذنب الذنب فلا ينساه وما يزال متخوفا منه حتى يدخل الجنة".**

**- وعن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا".**

**- وقال ابن حجر: "المؤمن يغلب عليه الخوف، لقوة ما عنده من الإيمان، فلا يأمن من العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم، أنه دائم الخوف والمراقبة، يستصغر عمله الصالح، ويخشى من صغير عمله السيئ، وقال المحب الطبري: إنما كانت هذه صفة المؤمن، لشدة خوفه من الله ومن عقوبته؛ لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة".**

**- وقال علي –رضي الله عنه: "العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار".**

**0000000000000000000000000000000000000000**

**(1)(تهذيب خالصة الحقائق، محمود بن أحمد الفاريابي) .**

**(2)(الزهد، لأحمد) .**

**- قال بعض العلماء: "العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلى الحمد والاستغفار".**

**- وروي عن عمر –رضي الله عنه- أنه سمع رجلا يقول: "استغفر الله وأتوب إليه"، فقال له: يا حميق، قل: توبة من لا يملك لنفسه ضر ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا.**

**- وقال بكل المزني: "لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول: استغفروا لي لكان نوله أن يفعل".**

**- وقال علي –رضي الله عنه: "خياركم كل مفتن تواب، قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب، قيل: حتى متى؟ قال: يكون الشيطان هو المحسور"(الأقوال الذهبية من شرح الأربعين النووية، حمود بن عبد الله المطر).**

**- وقيل للحسن البصري: ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه، ثم يعود، ثم يستغفر، ثم يعود، فقال: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار، وروي عنه أنه قال: ما أرى هذا إلا من أخلاق المؤمنين، يعني: أن المؤمن كلما أذنب تاب.**

**- وقال عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه- في خطبته: "من أحسن منكم، فليحمد الله، ومن أساء فليستغفر الله، فإنه لابد لأقوام من أن يعملوا أعمالا وظفها الله في رقابهم، وكتبها عليهم. وفي رواية أخرى عنه أنه قال: أيها الناس من ألم بذنب، فليستغفر الله وليتب، فإن عاد، فليستغفر وليتب، فإن عاد، فليستغفر الله وليتب، فإن عاد، فليستغفر الله وليتب، فإن عاد، فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك في الإصرار عليها.، وعن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما- قال: من ذكر خطيئة عملها، فوجل قلبه منها، فاستغفر الله عز وجل لم يحبسه شيء حتى يمحوها عنه الرحمن.**

**قال أبو موسى –رحمه الله: قد كان فيكم أمانان:**

**1- " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ " (سورة الأنفال: 33 ).**

**2- " وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (سورة الأنفال: 33 ).**

**أحسبه قال : أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى لسبيله وأما الاستغفار فهو كائن بينكم إلى يوم القيامة.(1)**

**00000000000000000000000000000000000000000000000**

1. **الأنترنت – موقع الكلم الطيب**

**# فضل التوبة :**

**وردت العديد من النصوص التي تبين فضل التوبة وعظم منزلتها، ومن ذلك:**

**(1) سببٌ لنيلِ محبةِ الله عز وجل**

**قال تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ " [البقرة/222] إذ في التوبة تقرب من الله تعالى بالإقدام على الطاعة واجتناب المعصية . ولهذا قال " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ " أي : من الذنب وإن تكرر غشيانه . (1)**

**وقال الإمام الطبري رحمه الله : " يعني تعالى ذكره بقوله " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ " المنيبين من الإدبار عن الله وعن طاعته إليه وإلى طاعته " (2)**

**(2) سببٌ للفلاح في الدنيا والآخرة**

**قال تعالى : " وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " [النور/31] . ومن تاب إلى اللَّه كما أمره اللَّه نال الفلاح بمعنييه، فإنه يفوز بالمطلوب الأعظم وهو الجنّة ورضى اللَّه تعالى، وكذلك ينال البقاء الأبدي في النعيم والسرور. (3)**

**(3) سبيل عدم الخوض في الظلم**

**قال تعالى : " وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " [الحجرات/11] ." وَمَن لَّمْ يَتُبْ " عما نهى الله عنه " فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " لارتكابهم ما نهى الله عنه وامتناعهم من التوبة . (4)**

**وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : " قال تعالى " وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " قسم العباد إلى تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث ألبتة، وأوقع اسم الظالم على من لم يتب، ولا أظلم منه؛ لجهله بربه وبحقه، وبعيب نفسه وآفات أعماله " .(5)**

**000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)تفسير ابن كثير " (1/261) (2) تفسير الطبري " (2/390).**

**(3) أضواء البيان " (5/521)**

**(4)فتح القدير" (5/64)**

**(5) مدارج السالكين " (1/178)**

**(4) سبب لتكفير السيئات ودخول الجنات**

**قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ " [التحريم/8] .**

**وقال تعالى : " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " [آل عمران/135، 136] .**

**وروى البخاري ومسلم في " صحيحهما " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ "، فَقَالُوا : " كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! "، قَالَ : " يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُسْتَشْهَدُ " .**

**(5) سبب لتبديل السيئات حسنات قال الله عز وجل : " إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً " [الفرقان/70] .**

**وروى مسلم في " صحيحه " عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا : رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ " اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا "، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ : " عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا "، فَيَقُولُ : " نَعَمْ "، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ : " فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً "، فَيَقُولُ : " رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا ؟! "، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ .**

**(6) سبب لتحصيل دعاء الملائكة واستغفارهم قال عز وجل حكاية عن الملائكة أنهم يدعون الله قائلين : { فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ أي : فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا كما كانوا فيه وأتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات . (1)**

**0000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) تفسير ابن كثير" (4/73)**

**فالتوبة وظيفة العمر، وبداية العبد ونهايته، وأول منازل العبودية، وأوسطها، وآخرها، وحاجتنا إلى التوبة ماسة بل إن ضرورتنا إليها مُلِحَّة؛ فنحن نذنب كثيراً، ونفرط في جنب الله ليلاً ونهاراً فنحتاج إلى ما يصقل القلوب، وينقيها من رين الذنوب.**

**ولقد يسر الله أمر التوبة، وفتح أبوابها لمن أرادها، فهو عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.**

**وباب التوبة مفتوح للكفار، والمشركين، والمرتدين، والمنافقين، والظالمين، والعصاة، والمقصرين. قال الإمام ابن القيم رحمه الله : " فحقيقة التوبة : هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل، والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة؛ فإنه في ذلك الوقت يندم، ويقلع، ويعزم،فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة " (1)**

**ومن فضائل التوبة أيضاً :**

**1. أنها سبب جالب لمحبة الله عز وجل قال تعالى " إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين " .**

**2. أنها سبب الفلاح قال تعالى " وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " .**

**3. أنها سبب لقبول أعمال العبد والعفو عن سيئاته قال تعالى " وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات " ، وقال تعالى " ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب إلى الله متابا " .**

**4. أنها سبب لدخول الجنة والنجاة من النار قال تعالى " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا \*إلا من تاب وامن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا**

**5. أنها سبب للمغفرة والرحمة قال تعالى " والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم " .**

**6. أنها سبب في تبديل السيئات إلى حسنات قال تعالى " ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وامن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما " .**

**000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) مدارج السالكين " (1/182).**

**7. أنها سبب لكل خير قال تعالى " فان تبتم فهو خير لكم " ، وقال تعالى " فان يتوبوا يك خير لهم "**

**8. أنها سبب للإيمان والأجر العظيم قال تعالى " إن الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجر عظيما " .**

**9. أنها سبب في نزول البركات من السماء وزيادة القوة قال تعالى \" ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين \" .**

**10. أنها سبب في دعاء الملائكة للتائبين قال تعالى \" الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم \" .**

**11. أنها طاعة مراده لله عز وجل قال تعالى \" والله يريد أن يتوب عليكم \" فالتائب فاعل لما يحبه ويرضاه .**

**12. أن الله يفرح بتوبة العبد قال عليه الصلاة والسلام \" لله اشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فيأس منها فأتى شجرة فأضجع في ظلها وقد يأس من راحلته فينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح :\" اللهم أنت عبدي وأنا ربك اخطأ من شدة الفرح \" رواه مسلم . (1)**

**# شروط التوبة**

**الله جل وعلا من سعة رحمته بعباده قد شرع لهم التوبة والإنابة إليه وحثهم عليها ورغبهم فيها، ووعد التائب بالرحمة والغفران مهما بلغت ذنوبه، فمن جملة ذلك قوله جل وعلا: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ\* وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } الزمر:53-54، وقال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } البقرة:222، وقد تضافرت دلائل الكتاب والسنة على وجوب التوبة، ولزوم المبادرة إليها، وأجمع على ذلك أئمة الإسلام رحمهم الله تعالى، وإذا علم ذلك فإن التائب لا يكون تائباً حقاً إلا إذا توفرت في توبته خمسة شروط:**

**الشرط الأول: الإخلاص وهو أن يقصد بتوبته وجه الله عز وجل.**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع منتديات اهل السنة في العراق ، صيد الفوائد ، لمحمد بن عبد الرحمن النوشان**

**الثاني: الإقلاع عن الذنب. الثالث: الندم على فعله. الرابع: العزم على عدم الرجوع إليه.**

**الخامس: أن تكون التوبة قبل أن يصل العبد إلى حال الغرغرة عند الموت.**

**وينضاف شرط آخر يتعلق بحقوق العباد وهو أنه لا بد أن يبذل قدر طاقته ووسعه في رد المسروقات إلى أصحابها، فإن عجز عن معرفة أصحابها بعد محاولات متكررة وبحث جاد فليتصدق بتلك المسروقات -إن كانت موجودة- وإن كانت غير موجودة فليتصدق بقيمتها إن كان قادراً على ذلك، على أنه متى ما وجد أصحابها خيرهم بين أن يرد عليهم مثل ما أخذ منهم أو قيمته وبين أن يقبلوها صدقة عنهم.**

**ثم إن عليه أن يكثر من أعمال البر، فإن أصحاب الحقوق قد يطالبونه بها يوم القيامة، والله حكم عدل فقد يوفيهم إياها من حسناته، فعليه أن يكثر من الحسنات.والله أعلم.(1)**

**وقال الشيخ ابن باز :** **اعلم أن رحمة الله أوسع وأن إحسانه عظيم وأنه جل وعلا هو الجواد الكريم وهو أرحم الراحمين وهو خير الغافرين سبحانه وتعالى واعلم أيضاً أن الإقدام على المعاصي شرٌ عظيم وفسادٌ كبير وسبب لغضب الله ولكن متى تاب العبد إلى ربه توبةً صادقةً تاب الله عليه، فقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم مرات كثيرة عن الرجل يأتي كذا ويأتي كذا من الهنات والمعاصي الكثيرة ومن أنواع الكفر ثم يتوب فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((التوبة تهدم ما كان قبلها والإسلام يهدم ما كان قبله)(2)**

**بلفظ: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها". وفي لفظ آخر: ((الإسلام يَجُب ما كان قبله والتوبة تَجُب ما كان قبلها))(3)**

**بلفظ: "إن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها...". يعني تمحوها وتقضي عليها فعليك أن تعلم يقيناً أن التوبة الصادقة النصوح يمحو الله بها الخطايا والسيئات حتى الكفر، ولهذا يقول سبحانه: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} سورة التوبة، الآية 31. فعلق الفلاح في التوبة، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا** **الْأَنْهَارُ}**

**0000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت – موقع إسلام ويب – مركز الفتوى**

**(2) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله برقم 121**

**(3) أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين، بقية حديث عمرو بن العاص، برقم 1735**

**سورة التحريم، الآية 8. وعسى من الله واجبة، المعنى أن التائب التوبة النصوح يغفر له سيئاته ويدخله الله الجنة فضلاً منه وإحساناً سبحانه وتعالى.**

**فعليك يا أخي التوبة الصادقة، ولزومها والثبات عليها والإخلاص لله في ذلك، وأبشر بأنها تمحو ذنوبك ولو كانت كالجبال.**

**وقال السشيخ ابن بار : شروط التوبة ثلاثة: الندم على الماضي مما فعلت ندماً صادقاً، والإقلاع من الذنوب، ورفضها وتركها مستقبلاً طاعة لله وتعظيماً له، والعزم الصادق ألاّ تعود في تلك الذنوب، هذه أمور لا بد منها، أولاً: الندم على الماضي منك والحزن على ما مضى منك، الثاني: الإقلاع والترك لهذه الذنوب دقيقها وجليلها، الثالث: العزم الصادق ألاّ تعود فيها فإن كان عندك حقوق للناس، أموال أو دماء أو أعراض فأدها إليهم، هذا أمر رابع من تمام التوبة، عليك أن تؤدي الحقوق التي للناس إن كان قصاصاً تمكن من القصاص إلا أن يسمحوا بالدية، إن كان مالاً ترد إليهم أموالهم، إلا أن يسمحوا، إن كان عرضاً كذلك تكلمت في أعراضهم، واغتبتهم تستسمحهم، وإن كان استسماحهم قد يفضي إلى شر فلا مانع من تركه، ولكن تدعو لهم وتستغفر لهم، وتذكرهم بالخير الذي تعلمه منهم في الأماكن التي ذكرتهم فيها بالسوء، ويكون هذا كفارة لهذا، وعليك البدار قبل الموت، قبل أن ينـزل بك الأجل، عليك البدار، والمسارعة، ثم الصبر والصدق، يقول الله سبحانه وتعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } سورة آل عمران، الآية 135. افهم معنى وَلَمْ يُصِرُّواْ يعني لم يقيموا على المعاصي، بل تابوا وندموا وتركوا، ولم يصرّوا على ما فعلوا، وهم يعلمون، انتقل بعد ذلك – سبحانه – إلى أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } سورة آل عمران، الآية 136. هذا جزاء التائبين الذين أقلعوا ولم يصرّوا لهم الجنة، والله ولي التوفيق.(1)**

**# الفرق بين التوبة والاستغفار؟ وهل ينفع الاستغفار بدون توبة**

**كل من التوبة والاستغفار سبب مستقل للمغفرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: موانع لحوق الوعيد متعددة، منها: التوبة, ومنها: الاستغفار, ومنها: الحسنات الماحية للسيئات, ومنها: بلاء الدنيا ومصائبها, ومنها: شفاعة شفيع مطاع، ومنها: رحمة أرحم الراحمين. اهـ.**

**0000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع الشيخ ابن باز الرسمي**

**وقد عقد ابن الوزير اليماني في العواصم والقواصم فصلًا عن معنى الإصرار، قال فيه: الإقامة ـ يعني على الذنب ـ مع العزم على التوبة وتسويفها، أو مع الهمِّ بها، والندم والاستغفار، ففي كونه إصرارًا نظرٌ؛ لاختلاف أئمة اللغة في النَّقل؛ ولما في ظواهر القرآن والحديث في الاستغفار والاعتراف والندم. اهـ.**

**ثم ذكر تحت الاستغفار حديث: ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة. وذكر تحت الاعتراف قوله تعالى: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {التوبة:102}، وحديث سيد الاستغفار، ثم قال: فقوله فيه: أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي أي: أقر وأعترف، فدل على أن للاعتراف أثرًا في مغفرة الذنوب، وكذلك الاستغفار، وقد جمعا في هذا الاستغفار العظيم، ولو كان بمنزلة التوبة، لم يشترط في المغفرة لصاحبه أن يموت من يومه قبل أن يمسي, أو في ليله قبل أن يصبح، فإن التائب يغفر له ما لم يعد بالإجماع؛ ولأنه رتب المغفرة على القول واليقين به، لا سوى ... فهذا ما لم يتقدم ذكره من الاستدلال على الفرق بين التوبة الشرعية والاستغفار، والفرق بينهما أكثر من أن يحصى إذا تتبعت. اهـ.**

**ولإيضاح الفرق بينهما، نشير إلى أن التوبة النصوح: تُصلِح ماضي العبد وحاضره ومستقبله إذا تحققت شروطها، فشرط الندم يُصلح الماضي، وشرط الإقلاع عن الذنب يُصلح الحاضر، وشرط العزم الصادق على عدم العود يُصلح المستقبل.**

**وأما الاستغفار فإنه يقصد به أصالة إصلاح الماضي، فينفع بمجرد اقترانه بالندم, والخوف من لحوق الوعيد، وهو في حقيقته نوع من الدعاء، فهو سؤال المغفرة، فيشترط له ما يشترط في الدعاء، كحضور القلب, وصدق الطلب, والافتقار إلى الله, قال أبو الحسن المباركفوري في مرعاة المفاتيح عن الفرق بينهما: التوبة هي: الندم على ما فرط في الماضي، والعزم على الامتناع منه في المستقبل، والاستغفار: طلب الغفران لما صدر منه، ولا يجب فيه العزم في المستقبل. اهـ.**

**وليس معنى هذا أن استغفار المستهتر بالذنوب المصرِّ عليها يزيل ذنبه، بل لا يكاد مثل هذا أن ينفعه استغفاره؛ لأن قلبه غافل عن الله، لاهٍ بمعاصيه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه. رواه الترمذي وأحمد، وحسنه الألباني.**

**قال المناوي في التيسير: أي: لا يعبأ بسؤال سائل مشغوف القلب بما أهمه من دنياه، قال الإمام الرازي: أجمعوا على أن الدعاء مع غفلة القلب لا أثر له. اهـ.**

**وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: الفرق بين الاستغفار والتوبة: أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء, والتوبة, أو غيرهما من الطاعة، والتوبة: الندم على الخطيئة, مع العزم على ترك المعاودة, فلا يجوز الاستغفار مع الإصرار؛ لأنه مسلبة لله ما ليس من حكمه ومشيئته ما لا تفعله مما قد نصب الدليل فيه، وهو تحكم عليه كما يتحكم المتأمر المتعظم على غيره بأن يأمره بفعل ما أخبره أنه لا يفعله. اهـ.**

**وسئل الشيخ ابن عثيمين عن الفرق بين التوبة والاستغفار، وهل للاستغفار أثر في تخفيف الذّنب مع الإصرار؟ فأجاب: الاستغفار يكون عن ذنبٍ مضى، والتوبة لما يستقبل، فالاستغفار مقدمة للتوبة، كالتخلية قبل التحلية؛ ولذلك قرن الله بينهما، كما في قوله: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ) ولا ينفع الاستغفار مع الإصرار؛ لأنه إلى الاستهزاء أقرب منه إلى الحسنات. اهـ.**

**وقال ابن القيم في مدارج السالكين: الاستغفار نوعان: مفرد, ومقرون بالتوبة، فالمفرد: كقول نوح - عليه السلام - لقومه: {استغفروا ربكم إنه كان غفارا \* يرسل السماء عليكم مدرارا} [نوح: 10] وكقول صالح لقومه: {لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون} [النمل: 46] .. والمقرون كقوله تعالى: {استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله} [هود: 3] فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب, وإزالة أثره, ووقاية شره، فلا بد في لفظ المغفر من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} [الأنفال: 33] فإن الله لا يعذب مستغفرًا، وأما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق؛ ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق, وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع, وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله. اهـ. (1)**

**#فوائد وثمرات الاستغفار:**

**قال تعالى : { وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين(52) } هود**

**إن شريعة الله جاءت بما فيه صلاح البلاد والعباد، جاءت بالحث على كل خير، والتحذير من كل شر، فكل خير قد حثنا المولى عليه، وكل شر حذرنا منه، ومما حثنا عليه الاستغفار، فقد جاءت نصوص كثيرة بالحث عليه، والترغيب فيه، ومدح أهله، ومن ذلك قوله - تعالى -:(وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة(199)]، وقوله: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) [هود(3)]**

**000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت – موقع إسلام ويب**

**وقوله: (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) [آل عمران(17)]، وقوله: (وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الذاريات(18)]، وقوله: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ) [آل عمران(135)]، وقوله: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً) [النساء(110)]،**

**وكقوله - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث الذي روه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا فتستغفروا لذهب الله بكم، ولجاء بقومِ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر الله لهم).**

**وليس في الحديث التساهل في الوقوع في الذنب، ثم الاستغفار بعد ذلك؛ وإنما فيه بيان لحالة العبد بعد توبته واستغفار من الذنب، وأنه إذا أذنب فقد جعل الله له مخرجا من ذلك بالتوبة والاستغفار، قال ابن عثيمين - رحمه الله -: "وهذا ترغيب في أن الإنسان إذا أذنب، فليستغفر الله، فإنه إذا استغفر الله - عز وجل - بنية صادقة، وقلب موقن، فإنه الله - تعالى -يغفر له: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)"** **[الزمر(53)]، [1]** **..**

**وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة الحاثة على الاستغفار، والمرغية فيه وإذا تاب العبد إلى ربه، واستغفره، وأناب إليه؛ فإن نفع ذلك يعود إلى العبد نفسه، فإن الله يكرمه بكرامات عديدة، ويمنحه فوائد جليلة، ويغدق عليه بذلك ثمرات كثيرة، ومن هذه الفوائد والثمرات ما يلي:**

**أولا: الاستجابة لنصوص الكتاب والسنة: التي جاءت بالحث على ذلك، وكذلك الاقتداء والتأسي بأنبياء الله ورسله؛ فإنهم كانوا يكثرون من التوبة والاستغفار، وكذلك التشبه بكل عبد صالح مستغفر.**

**ثانيا: المتاع الحسن في الدنيا، وإيتاء كل ذي فضل فضله في الآخرة: قال الله -جل شأنه-: (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ) [هود(3)].**

**يقول ابن كثير -رجمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: "أي وآمركم بالاستغفار من الذنوب السالفة والتوبة منها إلى الله - عز وجل - فيما تستقبلونه، وأن تستمروا على ذلك: (يمتعكم متاعا حسنا) أي في الدنيا (إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله) أي في الدار الآخرة"[2]**

**000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] شرح رياض الصالحين.**

**[2] تفسير القرآن العظيم(2/ 436).**

**ثالثا: إنزال المطر وزيادة القوة: قال - تعالى -عن هود - عليه السلام - أنه قال لقومه: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ) [هود(52)].**

**يقول البغوي - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الآية: "أي: يرسل المطر عليكم متتابعا مرة بعد أخرى في أوقات الحاجة: (ويزدكم قوة إلى قوتكم) أي: شدة مع شدتكم، وذلك أن الله - عز وجل - حبس عنهم القطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم، فلم يلدن"[1]**

**فالاستغفار مع الإقلاع عن الذنب سببٌ للخصب والنماء وكثرة الرزق وزيادة العزّة والمنعة، يقول ابن كثير - رحمه الله -: "ومن اتصف بهذه الصفة- أي صفة الاستغفار-، يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره، وحفظ عليه شأنه وقوته، ولهذا قال: (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً) [22] [نوح(11)][2].**

**رابعا: إجابة الدعاء: قال - تعالى -حاكيا عن صالح - عليه السلام - أنه قال لقومه: (اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ) [هود(61)]، فوعد الله من استغفره وتاب إليه، بإجابة الدعاء، وشواهد ذلك في التاريخ كثيرة..**

**خامسا: أن المستغفرين ممن شملتهم رحمة الله ووده: فهذا نبي لله شعيب - عليه السلام - يقول لقومه: (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) [هود(90)].**

**قال الطبري - رحمه الله -: "(ثم توبوا إليه) ارجعوا إلى طاعته، والانتهاء إلى أمره ونهيه: (إن ربي رحيم) رحيم بمن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة (ودود) ذو محبة لمن أناب وتاب إليه يوده ويحبه"[3].**

**سادسا: أن به تجلب النعم وتدفع النقم: يقول الله - تعالى - على لسان نوح - عليه السلام - أنه قال لقومه: (ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا \* فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا) [نوح(9- 12)].**

**00000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] معالم التنزيل(1/ 288)**

**[2] تفسير ابن كثير(2/ 450).**

**[3] انظر: الجامع لأحكام القرآن(12/105).**

**يقول ابن كثير - رحمه الله -: "أي إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم أسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها". كل هذه النعم تستجلب بالاستغفار.** **[1]**

**سابعا: دفع العقوبة عن صاحبه ومنع نزول المصائب: لما جاء في الحديث أخرجه الترمذي في جامعه، وهو حديث مختلف في تصحيحه وتضعيفه بين العلماء: عَنْ أَبِى بُرْدَةَ بْنِ أَبِى مُوسَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىَّ أَمَانَيْنِ لأمتي ((وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال: 33)، إِذَا مَضَيْتُ تَرَكْتُ فِيهِمْ الاِسْتِغْفَارَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)). فإن كان الحديث ضعيفا فالآية خير شاهد على ذلك.**

**فإذا كثرت الذنوب، وقل الاستغفار أو انعدم، فالعذاب سيحصل لا محالة؛ لقوله - تعالى -: (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) فالاستغفار سبب لمنع العذاب.**

**ثامنا: ومن فوائده أنه سبب في هلاك الشيطان: فقد قال ابن القيم - رحمه الله -: إن إبليس قال: "أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار، وب" لا إله إلا الله" فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاء"[2].**

**جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد وحسنه شعيب الأرنؤوط: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((إن إبليس قال لربه بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله: فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني)).**

**تاسعا: أن بسببه تحل المشاكل الصعبة والعويصة: فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية كما يقول تلميذه ابن القيم - رحمه الله -: "وشهدتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيميه - رحمه الله - إذا أعيَته المسائل واستعصَت عليه فرَّ منها إلى التوبة والاستغفار والاستعانة بالله واللجوء إليه، واستنزال الصوابِ من عنده، والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلَّما يلبثُ المددُ الإلهي أن يتتابَع عليه مدًّا، وتزدلِف الفتوحات الإلهية إليه، بأيّتهنّ يبدأ"[3]**

**000000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] تفسير القرآن العظيم(4/ 426).**

**[2] مفتاح دار السعادة (1/158).**

**[3] إعلام الموقعين(4/ 172).**

**فإذا أعيتك المسائل، وصعب عليك حلها، ففر إلى الاستغفار، وصدق الله القائل: (يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً) [الأنفال(29)] تفرقون به بين الحق والباطل، والسنة والبدعة..**

**عاشرا: أنه سبب لانشراح الصدر: لما جاء في الحديث الذي في مسلم عن الأغر المزني -وكانت له صحبة- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)).**

**وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب)).**

**يقول المناوي - رحمه الله -: "قال الحكيم: وأشار بالإكثار إلى أن الآدمي لا يخلو من ذنب أو عيب ساعة فساعة والعذاب عذابان أدنى وأكبر، فالأدنى عذاب الذنوب والعيوب، فإذا كان العبد مستيقظا على نفسه فكلما أذنب أو أعتب أتبعهما استغفارا فلم يبق في وبالها وعذابها، وإذا لها عن الاستغفار تراكمت ذنوبه فجاءت الهموم والضيق والعسر والعناء والتعب فهذا عذابه الأدنى، وفي الآخرة عذاب النار وإذا استغفر تنصل من الهم فصار له من الهموم فرجا ومن الضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب"[9].** **[9] فيض القدير(6/82).**

**فبالاستغفار يصفو القلب وينقى، كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي وقال: "حسن صحيح" وصححه الألباني: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الذي ذَكَرَ اللَّهُ - عز وجل - في الْقُرْآنِ: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [المطففين(14)].**

**والاستغفار له تأثير عجيب في زوال الهموم والغموم، وتفريج الكروب، يقول ابن القيم - رحمه الله - مبينا ذلك: "فالمعاصي والفساد توجب الهم والغم والخوف والحزن وضيق الصدر، وأمراض القلب، حتى إن أهلها إذا قضوا منها أوطارهم وسئمتها نفوسهم ارتكبوها دفعا لما يجدونه في صدورهم من الضيق والهم والغم... وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب فلا دواء لها إلا التوبة والاستغفار"[10]. [10] زاد المعاد(4/208-209).**

**حادي عشر: أن المستغفر يتعبد لربه - عز وجل - ويقر له بصفة الغفار: فهو يستشعر معنى قوله - تعالى -: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى) [طـه(82)]، ويستشعر كذلك جميع الآيات التي وعد الله أخبر الله أو سمى أو وصف نفسه بالمغفرة والغفور والغفار، وما أشبه ذلك..**

**ويستشعر كذلك حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- في البخاري قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن عبدا أصاب ذنبا، وربما قال أذنب ذنبا، فقال: رب أذنبت وربما قال: أصبت فاغفر لي، فقال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي؟... )) الحديث..**

**ثاني عشر: ومن أهم فوائد الاستغفار وثمراته- وقد أخرناها لأهميتها- أنه دواء الذنوب: جاء في شعب الإيمان للبيهقي: عن سلام بن مسكين قال: سمعت قتادة، يقول: "إنَّ هذا القرآن يدلُّكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم: فالذُّنوب، وأما دواؤكم: فالاستغفار".**

**والناس يخطئون ولكن بالتوبة والاستغفار يغفر الله الذنوب؛ جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم في صحيحه: (يَا عبادي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فاستغفروني أَغْفِرْ لَكُمْ)).**

**والله - عز وجل - يقول: (وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا) [النساء(110)].**

**وأخرج أبو داود وصححه الألباني عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ الْحَكَمِ الْفَزَارِىِّ قَالَ سَمِعْتُ عَلِيًّا -رضي اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: كُنْتُ رَجُلاً إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - حَدِيثًا نفعني اللَّهُ مِنْهُ بِمَا شَاءَ أَنْ ينفعني، وَإِذَا حدثني أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ اسْتَحْلَفْتُهُ فَإِذَا حَلَفَ لي صَدَّقْتُهُ، قَالَ: وحدثني أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلاَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ))..**

**وأخرج أحمد في مسنده والترمذي وصححه الألباني: عَنْ أَبِى ذَرٍّ -رضي الله عنه- عَنِ النبي - صلى الله عليه وسلم - فِيمَا يَرْوِى عَنْ رَبِّهِ - عز وجل - أَنَّهُ قَالَ: ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دعوتني ورجوتني فإني سَأَغْفِرُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَوْ لقيتني بِقُرَابِ -أي بما يقارب ملأها- الأَرْضِ خَطَايَا لَلَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً وَلَو عَمِلْتَ مِنَ الْخَطَايَا حَتَّى تَبْلُغَ عَنَانَ السَّمَاءِ مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي لَغَفَرْتُ لَكَ ثُمَّ لاَ أُبَالِى)).**

**سبحان من يعفو ونهفو دائما \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* ولا يزل مهما هفا العبد عفا**

**يعطى الذي يخطئ ولا يمنعنه \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* جلاله عن العطى لذي الخطأ**

**- سبحانه - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها. فله الحمد والمنة..**

**وغير ذلك من الفوائد والثمرات، وفقنا الله جميعا إلى التوبة والاستغفار، ومنحنا هذه الفوائد والثمرات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.(1)**

**00000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت – موقع ستار تايمز**

**# المعصية طارئة :**

**قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ الله فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾آل عمران:135ففي هذه الآية أربع دلالات على أن المعصية كانت طارئة :**

**الدلالة الأولى: في قوله تعالى: ﴿إِذَا فَعَلُواْ﴾ في غفلة عن ذكر الله بدليل قوله بعد: ﴿ذَكَرُواْ الله﴾.**

**الدلالة الثانية: بعد ذكر الله سارعوا بالاستغفار والتوبة بدليل «الفاء» في قوله: ﴿فَاسْتَغْفَرُواْ﴾.**

**الدلالة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾ أي أقلعوا عنها ولم يداوموا عليها.**

**الدلالة الرابعة: أنهم علموا أنها معصية بدليل قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُون﴾، فالعبد إذا علم قبح ذنبه فندم واستغفر، غفر الله له مهما كان ذنبه عظيما فعفو الله أعظم ورحمته أوسع، قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يَجِدِ الله غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:110]، وأخرج الترمذي (3540) عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تبارك وتعالى: يا ابنَ آدمَ! إنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بقُرَابهَا مَغْفِرَةً»، ومعنى قوله: «لا أبالي»: أي لا يتعاظمني كثرتها لو كثرت.(1)**

**#التواب اسم من اسماء الله الحسنى :**

**من أسمائه سبحانه : التّواب، وهو من صيغ المبالغة ،وصيغ المبالغة إذا اتصلت بأسماء الله الحسنى، فتعني الكم والنوع، يعني يغفر جميع الذنوب كماً، ويغفر أكبر الذنوب نوعاً.**

**وقد ورد في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، ستة مواضع معرفاً بأل، كما في قوله تعالى:﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ،وقد ورد أيضاً في ستة مواضع، منوناً، كما في قوله تعالى:﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾، وكان من دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام : {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنتر نت – موقع راية الإصلاح للكاتب محمد بوسنة**

**التّواب له عدة معانٍ : الأول : أن التّواب هو الذي شرع التوبة لعبادة وجعلها محض تفضيل منه وكرم وجودٍ، ولم يكن بدلالة العقل أن الإنسان حينما يخطئ ثم يقلع عن ذنوبه، أن يسامح ويعفى من الذنب إلا أن هذا كان فضلاً من الله، الذي شرع لعباده التوبة من الذنوب.**

**الثاني : الله التواب الذي يوفق عباده إلى التوبة، ويبعث في قلوبهم الرغبة فيها، فإن العبد لم يكن ليتوب لولا توفيق الله عز وجل لذلك هو سبحانه يوفق من يشاء من عباده، ويعينهم على التوجه إلى التوبة**

**الثالث : أن الله يثبت العباد على التوبة، فإن العبد ربما تاب اليوم ونكث غدًا، وهكذا حتى يصبح مضطربًا، لا يستقر على حال من القلق.**

**الرابع : أنه يقبل التوبة عن عباده، كما قال سبحانه : {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} إن الله يغفر الذنب مهما عظم، إذا تاب العبد منه وأناب، فالله سبحانه وتعالى هو الغفور الرحيم. (1)**

**قال ابن القيم : فهو الذي يسر أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى بما يظهر لهم من العبر والآيات , وبما يقذف في قلوبهم من محبة الإنابة إليه , وبما يريهم من غوائل المعاصي, وآثار السيئات , فتنكسر حينئذ قلوبهم , وتندم له أفئدتهم , وتذل جوارحهم , وتستغيث ألسنتهم بربها مناديةً له بما ناده به نبيه وكليمه موسى - عليه السلام- : { سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمين} فيقبل التواب منهم توبتهم كلما عادوا إليه ولا يستكثر ذنباً أن يغفره ولا سوءاً، أن يمحوه ,ولا يستعظمه جرم أن يتجاوز عنه مهما بلغ الجرم مداه , وكل هذا يحصل لمن عصاه وفرط في جنبه .**

**قال ابن القيم :" إن توبة العبد إلى ربه محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها ، فتوبته بين توبتين من الله سابقة ولاحقة ، فإن تاب عليه أولا إذنا وتوفيقا وإلهاما ، فتاب العبد تاب الله عليه ثانيا قبولا وإثابة ، قال تعالى : { وَعَلَى الثلاثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِن اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[التوبة:118] ، فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم ، وأنها هي التي جعلتهم تائبين ، فكانت سببا ومقتضيا لتوبتهم ، فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله عليهم ، فالعبد تواب والله تواب ، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق ، وتوبة الله نوعان : إذن وتوفيق ، وقبول وإمداد [2]**

**00000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)( المصدر: اسم الله التواب – النابلسي ) (الأنترنت – موقع الموسوعة الحرة )**

**[2] مدارج السالكين1/312 .**

**وقال ابن القيم :أيضا :**

**وكذلك التواب من أوصافه \*\*\*\*\*\*\*\*\*\* والتوب في أوصافه نوعان**

**أذن بتوبة عبـــده وقبولها \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* بعد المتاب بمنة المنان [1] .**

**فوالله إنه لكرم بالغ ومنة متناهية أن يبادر الربُّ عبده بالتوبة والغفران وهو من هو غنى وسؤددا , ولو اكتفى ربنا بهذا لكان شرفا بالغا لا يتطلع العبد المقصر إلى سواه ,فكيف إذا انضم إلى ذلك فرح شديد من الرب بتوبة عبده وإنابته إليه , بل إن هذا الفرح منه سبحانه لعبده المقصر الذي جاء مسرعا خائفا أشد فرحا من عبد أيس من الحياة , في أرض فلاة , فقد جميع المقومات, فاضطجع تحت الشجرة موقنا الممات ؛ فانتبه فإذا دابته فوق رأسه فيها طعامه وشرابه , فهل هناك عبارة تصف فرحته بحياته بعد أن رأى الموت؟! ففَرَحُ ربنا سبحانه بنا إذا عدنا إليه أشد من هذا بحياته .**

**يا سبحان الله أكل هذا ينتظر التائبين ؟! نعم بل وزيادة.. أن يبدل للتائب عدد ما فات من السيئات بنفس أعدادها حسنات ، قال تعالى : {فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ الله غَفُورًا رَحِيمًا } [الفرقان:71].**

**فلمَ البعد والتواني , ولمَ الصدود والرضا بالفاني , فهذا وقت التوبة وعما قليل سنرحل , ويعاين أحدنا في قبره منزله الذي أعد له ويأتيه من روحه وريحه إن كان من أهل السعادة وإن كان من أهل الشقاوة فتح له منزله من النار فرآه وآته من سمومه وهواه . فنعوذ بالله أن نكون ممن يقول حين يرى العذاب {لو أن لي كرة فأكون من المحسنين }**

**فمن يحول بين العبد وبين التوبة إذن؟ فليس هناك ما يحول يين العبد وبين توبته إلا عدوه , وهو يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير , فاطمع في رجاء ربك وأسلم قلبك ووجهه إليه , وانظر إلى من لم يعمل خيرا قط , ونشأ في الضلال والعدوان على الدماء البريئة , ودأبت نفسه الاستهتار بالنفوس المعصومة سفكا وقتلا , يوما بعد يوم حتى أكمل المائة . فلم يتردد في التوبة بعد كل هذا ولم يصده ذلك أن يعود إلى مولاه التواب, فهل ردت توبته وأغلق في وجهه الباب ؟ كلا وربي . وانظر ماذا جرى من فم المصطفى فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا , فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ , فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: "إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ" ؟ فَقَالَ : "لَا " , فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً . ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ , فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ : "إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ , فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ" ؟ فَقَالَ : "نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ 000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] شرح قصيدة ابن القيم 2/231 .**

**فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ" . فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ , فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ :" جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ". وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ:" إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ " , فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ :" قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ" , فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ . فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ)[1] .**

**وروى الترمذي وحسنه الألباني من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : ( قَالَ الله : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً )[2].**

**وعند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي قال لها : ( يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ بلغني عَنْكِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً ، فَسَيُبَرِّئُكِ الله ، وَإِنْ كُنْتِ أَلمَمْتِ بِذَنْبٍ ، فاستغفري الله وتوبي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ ، تَابَ الله عَلَيْهِ ) [3].**

**و لا زلنا في زمن الإمهال وستغلق الأبواب بعد أيام محدودة وآجال عند المولى معلومة وأخبر عنها أنها قريبة , وقد مد الله التوبة للعبد إلى حضور أجله ما لم تغرغر نفسه , قال سبحانه : { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } [النساء:17/18]**

**وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ قال : ( إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ ) [4]، أو تطلع الشمس من مغربها ، فعن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه مرفوعا : ( إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ) [5].**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] متفق عليه واللفظ لمسلم [2]الترمذي في الدعوات ، باب في فضل التوبة والاستغفار ح 3540**

**[3] البخاري في المغازي ، باب حديث الإفك 4/1521 (3910) . [4] الترمذي في الدعوات ، باب في فضل التوبة والاستغفار5/547 (3537) ، وانظر حكم الشيخ الألباني على الحديث في صحيح الجامع (4338) .**

**[5] مسلم في التوبة ، باب قبول التوبة 4/2113 (2759)**

**وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال : ( مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ الله عَلَيْهِ )[1].**

**وليس بعد التوبة وعفو الله إلا العذاب وكل ذلك متعلق بمشيئته سبحانه راجع إلى علمه وحكمته لقوله تعالى : { وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ الله إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَالله عَلِيمٌ حَكِيم ٌ} [التوبة/106]**

**قال المزني: دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها فقلت له :" كيف أصبحت؟" فقال :أصبحت من الدنيا راحلاً , ولأخواني مفارقاً , ولكأس المنية شارباً ,ولسوء أعمالي ملاقياً وعلى الله وارداً , فلا أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنيها , أم إلى النار فأعزيها , ثم أنشد:**

**ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* جعلت رجائي نحو عفوك سلما**

**تعاظمني ذنبي فلــما قـرنته \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* بعفوك ربي كان عفوك أعظما**

**وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* تجـــود وتعفو منة وتكرما**

**ولولاك لم يغــوى إبليس عابد\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* فكيف وقد أغوى صفيك آدما**

**فإن تعف عني تعف عن متهتك \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* ظلوم غشـوم لا يزايل مأثما**

**وإن تنتقــم مني فلست بآيس \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما**

**قال الذهبي إسناده ثابت عنه[2] ،**

**فمن أعظم آثار هذا الاسم الشريف أن يصبح الإنسان ويمسي معترفا بذنبه مشفقا منه خائفا من ربه تائبا إليه فلا يتناسى ذنبه مهما طال عهده به فالتناسي شأن من لم يعبأ بالذنب ولم يكترث منه ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) بل يجدد توبته كلما ذكر الذنب ولا يتهاون به وإن صغر فلعل في تعظيم حق الله وإجلاله ما يكفر به خطاياه.** **ملحا على مولاه بالتوبة راجيا قبوله لها فلا يكون آخر عهده بالتوبة بُعيد معصيته**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه 4/2076 (2703) . انظر الأسماء الحسنى للرضواني 3/103**

**[2] الوافي بالوفيات 1 / 225 تاريخ دمشق 50 / 332 سير أعلام النبلاء 10 / 76**

**فلعل قبول التوبة لم يحن بعد , ولربما أخرت توبته ليعلم الله صدقه فيها ؛ فهؤلاء الثلاثة الذين لهم من الحسنات والصحبة والجهاد والنصرة وتمام الطواعية لله ورسوله. حين تخلفوا عن غزوة واحدة فقط , ثم اعترفوا بذنبهم وأنابوا إلى ربهم , وبلغ بهم من عظيم الندم ؛أن ضاق عليهم كل شيء حتى أنفسهم لم يبق فيها متسع لهم , في حال رهيبة من الحزن , مع صدق الالتجاء إلى الله أن يتجاوز عنهم ؛أتراهم تيب عليهم في يومهم أو في أسبوعهم أو في شهرهم ؟!إنها خمسين ليلة من التضرع والبكاء وأحدهم لم يزل باكيا منذ يومه ذاك ليس به حراك إلى شيء , وهم في وجلأن ترد توبتهم ؛ ليعلم العبد بعد ذلك كله أن توبة الله لا تكون إلا للصادقين وحدهم (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) َيا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (119) [التوبة]**

**قال الحسن رضي الله عنه :" يا سبحان الله ! والله ما أكلوا مالا حراما ولا أصابوا دما حراما ولا أفسدوا في الأرض غير أنهم أبطأوا عن شيء من الخير والجهاد في سبيل الله وقد - والله - جاهدوا وجاهدوا وجاهدوا فبلغ منهم ما سمعتم فهكذا يبلغ الذنب من المؤمن"[1]**

**فليست التوبة كلمات تقال ولا مشاعر عابرة بل هي حال تخالط القلب فتجعله في كل أحواله منيبا أوابا أواها عندئذ ينال ما وعده الله للمنيبين (وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)) [سورة ق]**

**ومن أراد صدق توبته فليبعد كل البعد عن ما يعيده إلى معصيته , وليحرس توبته من أن تطولها يد تفسدها عليه .جاعلا من معصيته حافزا للمسارعة في الخيرات وعمل الصالحات والإكثار من الحسنات**

**فإنهن مذهبات للسيئات ؛فالله سبحانه ذكر أخذ الزكاة من أموالهم في ثنايا الحديث عن التائبين ونبه في معرض كلامه عن قبوله للتوبة أنه يأخذ الصدقات ؛ وفي هذا إشارة ـ والله أعلم ـ**

**أن مما يعين على قبولها أن يبذل معها العبد شيئا من حر ماله برهانا على الصدق فيها (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104)) , وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ (كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ 000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] الدر المنثور 4 /315**

**وَيُبَاعِدُنِي عَنْ النَّارِ قَالَ لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ... ثُمَّ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ))[1]**

**وتوبة الصادقين ليست عن ذنوب جنتها أيديهم فقط بل هم يتعاهدونها كلما عرضت لقلوبهم غفلة طلبا لنقائها وحرصا على صفائها ومن ذلك قَوْله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي , وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِر اللَّه فِي الْيَوْم مِائَة مَرَّة )[2],وتراهم يتوبون من طاعاتهم يا سبحان الله! أطاعة يتاب منها كيف يحصل ذلك؟ نعم..لأن طاعتهم لا تليق في نظرهم لمقام ربهم فهم أحقر في نفوسهم من أن يبلغوا كمال مراده فهاهم بعد ليل قضوه سجدا وقياما يستغفرون كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ) " فمن عجز عن مسابقة المحبين في ميدان مضمارهم فلا يعجز عن مشاركة المذنبين في استغفارهم و اعتذارهم . صحائف التائبين خدودهم , و مدادهم دموعهم قال بعضهم : إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا الله بدموعهم"[3]**

**وأشرف أوقاتها عند نزول التواب إلى السماء الدنيا (( ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول : هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فأجيب دعوته إلى أن ينفجر الفجر ))[4]**

**"نحـن الــذين إذا أتانا سـائل \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* نوليه إحسانا و حسن تكرم**

**و نقول في الأسحار هل من تائب \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* مستغفـر لينـال خير المغنم**

**كان بعض الصالحين يقوم الليل فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته يا أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون ألا تقومون فترحلون فإذا سمع الناس صوته و ثبوا من فرشهم فيسمع من هنا باك , و من هنا داع, و من هنا تال , و من هنا متوضىء فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى**

**يا نفس قومي فقد نام الورى \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* إن تصنعي الخير فذو العرش يرى**

**000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] الترمذي في الإيمان ح 2541 قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**

**[2] وَالْمُرَاد هُنَا مَا يَتَغَشَّى الْقَلْب , قَالَ الْقَاضِي : قِيلَ : الْمُرَاد الْفَتَرَات وَالْغَفَلَات عَنْ الذِّكْر الَّذِي كَانَ شَأْنه الدَّوَام عَلَيْهِ , فَإِذَا أَفْتَرَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا , وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ**

**[3]لطائف المعارف :43**

**[4] متفق عليه واللفظ لمسلم**

**و أنت يا عين دعي عنك الكرى \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* عند الصباح يحمد القوم السرى" [1]**

**قال الأحنف بن قيس : عرضت نفسي على القرآن فلم أجدني بآية أشبه مني بهذه الآية (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم)[2]**

**ومن صدقت توبته عظمت عند الله محبته (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وكان ساعة إذ من المفلحين (فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُفْلِحِينَ (67)) ونال دعوات المقربين من الملائكة وحملة العرش (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ**

**الْجَحِيمِ (7) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (8) وَقِهِمْ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(9) ) [غافر] .فأصبح من أهل الجنة الفائزين (إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً (60) )**

**(رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة:128] ( اللهُمَّ َتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [3].**

**# ما يتاب منه :**

**قال العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله: في المدارج [فَصْلٌ فِي أَجْنَاسِ مَا يُتَابُ مِنْهُ] وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ اسْمَ التَّائِبِ حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْهَا وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ جِنْسًا مَذْكُورَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هِيَ أَجْنَاسُ الْمُحَرَّمَاتِ: الْكُفْرُ، وَالشِّرْكُ، وَالنِّفَاقُ، وَالْفُسُوقُ، وَالْعِصْيَانُ، وَالْإِثْمُ، وَالْعُدْوَانُ، وَالْفَحْشَاءُ، وَالْمُنْكَرُ، وَالْبَغْيُ، وَالْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ، وَاتِّبَاعُ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ فَهَذِهِ الِاثْنَا عَشَرَ جِنْسًا عَلَيْهَا مَدَارُ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَإِلَيْهَا انْتِهَاءُ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِمْ إِلَّا أَتْبَاعَ الرُّسُلِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ،اهـ .(4) 00000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] لطائف المعارف :43 [2] الدر المنثور 4 / 278**

**[3] أبو داود في الصلاة ، باب التشهد 1/254 (969) ، تمام المنة ص225**

**انظر : الأنترنت – موقع صيد الفوائد بقلم / خالد بن محمد السليم\*/ عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم .**

**(4)مدارج السالكين لابن القيم**

**وسئل ابن تيمية : فيما يُستغفر ويتاب منه ؟**

**فأجاب : ومما يستغفر ويتاب منه ما في النفس من الأمور التي لو قالها، أو فعلها عذب، قال تعالى‏:‏ ‏{‏‏وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ‏}‏‏‏[‏البقرة 284‏]‏‏.‏**

**فهو يغفر لمن يرجع عما في نفسه فلم يتكلم به ولم يعمل كالذي همّ بالسيئة ولم يعملها، وإن تركها لله كتبت له حسنة، وهذا مما يستغفر منه ويتوب، فإن الاستغفار والتوبة من كل ما كان سببا للذم والعقاب، وإن كان لم يحصل العقاب ولا الذم، فإنه يفضي إليه فيتوب من ذلك، أي يرجع عنه، حتى لا يفضي إلى شر فيستغفر الله منه، أي يطلب منه أن يغفر له فلا يشقيه به، فإنه وإن لم يعاقب عليه فقد ينقص به، فالذي يهم بالسيئات، وإن كان لا يكتب عليه سيئة، لكن اشتغل بها عما كان ينفعه فينقص بها عمن لم يفعلها واشتغل بما ينفعه عنها، وقد بسطنا في غير هذا الموضع؛ أن فعل الإنسان وقوله، إما له وإما عليه، لا يخلو من هذا أو هذا، فهو يستغفر الله ويتوب مما عليه، وقد يظن ظنون سوء باطلة، وإن لم يتكلم بها فإذا تبين له فيها، استغفر الله وتاب، وظلمه لنفسه يكون بترك واجب، كما يكون بفعل محرم، فقوله تعالى ‏{‏‏وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ‏}‏‏ ‏[‏النساء 110‏]‏ من عطف العام على الخاص وكذلك قوله ‏{‏‏وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ‏}‏‏ ‏[‏آل عمران 135‏]‏‏.‏**

**وقد قيل في قوله تعالى ‏{‏‏وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ‏}‏‏ ‏[‏آل عمران 135‏]‏ قيل الفاحشة‏:‏ الزنا وقيل كل كبيرة وظلم النفس المذكور معها، قيل هو‏:‏ فاحشة أيضاً وقيل هي الصغائر‏.**

**‏‏ وهذا يوافق قول من قال‏:‏ الفاحشة هي الكبيرة، فيكون الكلام قد تناول الكبيرة والصغيرة، ومن قال‏:‏ الفاحشة الزنا، يقول ظلم النفس يدخل فيه سائر المحرمات، وقيل الفاحشة‏:‏ الزنا وظلم النفس ما دونه، من اللمس والقبلة والمعانقة، وقيل‏:‏ هذا هو الفاحشة، وظلم النفس‏:‏ المعاصي وقيل الفاحشة‏:‏ فعل وظلم النفس، قول والتحقيق أن ظلم النفس جنس عام، يتناول كل ذنب‏.‏**

**وفى الصحيحين أن أبا بكر قال " يا رسول الله علمني دعاءاً أدعو به في صلاتي فقال: قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم‏"‏‏‏.‏**

**والتحقيق أن ‏[‏ظلم النفس‏]‏ جنس عام يتناول كل ذنب، وفي الصحيحين أن أبا بكر قال‏"‏‏ يا رسول الله، علمني دعاءً أدعو به في صلاتي فقال‏:‏ ‏‏قل‏:‏ اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم‏"‏‏، وفي صحيح مسلم، وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في استفتاحه "اللهم أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت‏"‏‏‏.‏**

**وقد قال أبو البشر وزوجته‏:‏ ‏{‏‏قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وإن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ‏}‏‏ ‏[‏الأعراف‏:‏23‏]‏، وقال موسى ‏:‏‏{‏‏رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ‏}‏‏ ‏[‏القصص‏:‏ 16‏]‏، وقال ذو النون يونس ‏:‏‏{لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ‏}‏‏ ‏[‏الأنبياء‏:‏ 87‏]‏، وقالت بلقيس‏:‏ ‏{‏‏رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ‏}‏‏ ‏[‏النمل‏:‏44‏]‏‏.‏**

**وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عن أهل القرى المعذبين ‏:‏‏{‏‏وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ}‏‏‏[‏هود‏:‏101‏]‏، وأما قوله‏:‏ ‏{‏‏ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا‏}‏‏ ‏[‏آل عمران‏:‏147‏]‏، فقد قيل‏:‏ إن الذنوب هي الصغائر، والإسراف هو الكبائر‏.**

**‏‏ و‏[‏التحقيق‏]‏ أن ‏[‏الذنوب‏]‏ اسم جنس، و‏[‏الإسراف‏]‏ تعدي الحد، ومجاوزة القصد، كما في لفظ الإثم والعدوان فالذنوب كالإثم، والإسراف كالعدوان، كما في قوله‏:‏ ‏{‏‏غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ‏}‏‏ ‏[‏الأنعام‏:‏145‏]‏، ومجاوزة قدر الحاجة، فالذنوب مثل إتباع الهوى بغير هدى من الله، فهذا كله ذنب، كالذي يرضى لنفسه، ويغضب لنفسه، فهو متبع لهواه، و‏‏الإسراف‏‏ كالذي يغضب لله، فيعاقب بأكثر مما أمر الله‏.‏**

**وقد أخبر عمن قبلهم بقوله‏:‏ ‏{‏‏وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ‏}‏‏ ‏[‏آل عمران‏:‏146‏]‏، وقد قيل على الصحيح، المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يقتل في معركة فقد قتل أنبياء كثيرون، ‏{‏‏فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إلَّا أن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا‏}‏‏ الآية‏.**

**‏‏ فجمعوا بين الصبر والاستغفار وهذا هو المأمور به في المصائب الصبر عليها والاستغفار من الذنوب التي كانت سببها‏.**

**‏‏ والقتال كثيرا ما يقاتل الإنسان فيه لغير الله كالذي يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء‏.‏**

**فهذا كله ذنوب والذي يقاتل لله قد يسرف فيقتل من لا يستحق القتل ويعاقب الكفار بأشد مما أمر به قال الله تعالى‏:‏ ‏{‏‏وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً‏}‏‏ ‏[‏الإسراء 33‏]‏‏.**

**‏‏ وقال‏:‏ ‏{‏‏وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً‏}‏‏ ‏[‏الفرقان 67‏]‏‏.‏ وقال‏:‏ ‏{‏‏وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ‏}‏‏ ‏[‏الأعراف 31‏]‏‏. فالإسراف مجاوزة الحد‏.**

**وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أيضاً ‏:‏**

**الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه؛ إلى الفعل المحبوب من العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل ‏;‏ فإن العابد لله والعارف بالله في كل يوم بل في كل ساعة بل في كل لحظة يزداد علماً بالله، وبصيرة في دينه وعبوديته بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار ‏;‏ بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية‏.**

**‏‏ وقد ثبتت‏:‏ دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد واقترانها بشهادة أن لا إله إلا الله، من أولهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أولهم، ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد، والاستغفار للخلق كلهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكل عامل مقام معلوم‏.**

**‏‏ فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين؛ تذهب الشرك كله، دقه وجله، خطأه وعمده، أوله وآخره، سره وعلانيته وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه‏.‏**

**والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قول‏:‏ لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء قول‏:‏ أستغفر الله‏. فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه ولإخوانه من المؤمنين‏.‏**

**وقال‏:‏ إياك والنظر في كتب أهل الفلسفة الذين يزعمون فيها أنه كلما قوي نور الحق وبرهانه في القلوب، خفي عن المعرفة، كما يبهر ضوء الشمس ‏[‏عيون‏]‏ الخفافيش بالنهار‏.‏**

**فاحذر مثل هؤلاء وعليك بصحبة أتباع الرسل، المؤيدين بنور الهدى، وبراهين الإيمان، أصحاب البصائر في الشبهات والشهوات، الفارقين بين الواردات الرمانية والشيطانية العالمين العاملين ‏{‏‏أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}‏‏‏[‏المجادلة 22‏]‏‏.**

**‏‏ وقال‏:‏ التوبة من أعظم الحسنات، والحسنات كلها مشروط فيها الإخلاص لله، وموافقة أمره بإتباع رسوله، والاستغفار من أكبر الحسنات، وبابه واسع؛ فمن أحس بتقصير في قوله، أو عمله، أو حاله، أو رزقه ، أو تقلب قلب؛ فعليه بالتوحيد والاستغفار ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص‏.‏**

**وكذلك إذا وجد العبد تقصيراً في حقوق القرابة والأهل والأولاد والجيران والإخوان، فعليه بالدعاء لهم والاستغفار‏.‏**

**قال حذيفة بن اليمان للنبي صلى الله عليه وسلم‏ "إن لي لساناً ذرباً على أهلي‏.‏ فقال له ‏:‏‏‏أين أنت من الاستغفار ‏؟‏ إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة‏".(1)**

**وقال القرطبي : الأشياء التي يتاب منها وكيف التوبة منها .**

**قال العلماء : الذنب الذي تكون منه التوبة لا يخلو ، إما أن يكون حقا لله أو للآدميين . فإن كان حقا لله كترك صلاة فإن التوبة لا تصح منه حتى ينضم إلى الندم قضاء ما فات منها . وهكذا إن كان ترك صوم أو تفريطا في الزكاة .**

**وإن كان ذلك قتل نفس بغير حق فأن يمكن من القصاص إن كان عليه وكان مطلوبا به . وإن كان قذفا يوجب الحد فيبذل ظهره للجلد إن كان مطلوبا به . فإن عفي عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالإخلاص . وكذلك إن عفي عنه في القتل بمال فعليه أن يؤديه إن كان واجدا له ، قال الله تعالى : {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان }. وإن كان ذلك حدا من حدود الله كائنا ما كان فإنه إذا تاب إلى الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه . وقد نص الله تعالى على سقوط الحد عن المحاربين إذا تابوا قبل القدرة عليهم . وفي ذلك دليل على أنها لا تسقط عنهم إذا تابوا بعد القدرة عليهم ; حسب ما تقدم بيانه . وكذلك الشراب والسراق والزناة إذا أصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم ، ثم رفعوا إلى الإمام فلا ينبغي له أن يحدهم . وإن رفعوا إليه فقالوا : تبنا لم يتركوا ، وهم في هذه الحالة كالمحاربين إذا غلبوا . هذا مذهب الشافعي . فإن كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه والخروج عنه - عينا كان أو غيره - إن كان قادرا عليه ، فإن لم يكن قادرا فالعزم أن يؤديه إذا قدر في أعجل وقت وأسرعه .**

**وإن كان أضر بواحد من المسلمين وذلك الواحد لا يشعر به أو لا يدري من أين أتي ، فإنه يزيل ذلك الضرر عنه ، ثم يسأله أن يعفو عنه ويستغفر له ، فإذا عفا عنه فقد سقط الذنب عنه . وإن أرسل من يسأل ذلك له ، فعفا ذلك المظلوم عن ظالمه - عرفه بعينه أو لم يعرفه - فذلك صحيح . وإن أساء رجل إلى رجل بأن فزعه بغير حق ، أو غمه أو لطمه ، أو صفعه بغير حق ، أو ضربه بسوط فآلمه ، ثم جاءه مستعفيا نادما على ما كان منه ، عازما على ألا يعود ، فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفا عنه ، سقط عنه ذلك الذنب . وهكذا إن كان شانه بشتم لا حد فيه .(2)**

**0000000000000000000000000000000000000**

**(1)مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى - الجزء الحادي عشر.**

**(2)الأنترنت – موقع تفسير القرطبي**

**# التوبة خير وعدمها تولي وعذاب**

**قال تعالى : { وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم(3) } التوبة**

**قال أبو جعفرالطبري : يقول تعالى ذكره: (فإن تبتم)، من كفركم، أيها المشركون, ورجعتم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد فالرجوع إلى ذلك (خير لكم)، من الإقامة على الشرك في الدنيا والآخرة (وإن توليتم)، يقول: وإن أدبرتم عن الإيمان بالله وأبيتم إلا الإقامة على شرككم (فاعلموا أنكم غير معجزي الله)، يقول: فأيقنوا أنكم لا تُفِيتون الله بأنفسكم من أن يحلّ بكم عذابه الأليم وعقابه الشديد، على إقامتكم على الكفر, كما فعل بمن قبلكم من أهل الشرك من إنـزال نقمه به، وإحلاله العذاب عاجلا بساحته (وبشر الذين كفروا)، يقول: واعلم، يا محمد، الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمر ربهم (بعذاب)، موجع يحلُّ بهم. (1)**

**وقال القرطبي : فإن تبتم أي عن الشرك فهو خير لكم أي أنفع لكم وإن توليتم أي عن الإيمان فاعلموا أنكم غير معجزي الله أي فائتيه ; فإنه محيط بكم ومنزل عقابه عليكم (2)**

**بعد التهديد يعود سياق السورة للتوبة وتعطي كل صنف من أصناف البشرية التوبة الخاصة به قبل الوداع الأخير وهذا أجمل ختام للثلث الأول من القرآن بعد السور السبع الطوال بفتح باب التوبة:**

**1. توبة المنافقين والمرتدّين: (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) آية 74**

**2. توبة المترددين: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) آية 102**

**3. تذكرة للجميع بالتوبة: (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) آية 104**

**00000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – تفسير الطبري**

**(2)الأنترنت – تفسير القرطبي**

**4. توبة على النبي والمهاجرين والأنصار: (لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) آية117**

**5. توبة أخيرة: (وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) آية 118 للثلاثة الذين خلّفوا وتقاعسوا عن غزوة تبوك.(1)**

**#وقال تعالى { يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يكن خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير(74) } التوبة**

**في التفسير الميسر : يحلف المنافقون بالله أنهم ما قالوا شيئًا يسيء إلى الرسول وإلى المسلمين، لكنهم كاذبون؛ فلقد قالوا كلمة الكفر وارتدوا بها عن الإسلام وحاولوا الإضرار برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، فلم يمكنهم الله من ذلك، وما وجد المنافقون شيئًا يعيبونه، وينتقدونه، إلا أن الله -تعالى- تفضل عليهم، فأغناهم بما فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة، فإن يرجع هؤلاء الكفار إلى الإيمان والتوبة فهو خير لهم، وإن يعرضوا، أو يستمروا على حالهم، يعذبهم الله العذاب الموجع في الدنيا على أيدي المؤمنين، وفي الآخرة بنار جهنم، وليس لهم منقذ ينقذهم ولا ناصر يدفع عنهم سوء العذاب.**

**وقال طنطاوي في الوسيط: بين سبحانه ما كان عليه المنافقون من كذب وفجور ومن خيانه وغدر وفتح امامهم باب التوبه وانذرهم بالعذاب الاليم اذا ما استمروا فى نفاقهم فقال سبحانه يحلفون بالله ما قالوا ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الايه روايات منها ما رواه ابن جرير عن هشام بن عروه عن ابيه قال " نزلت هذه الايه يحلفون بالله ما قالوا الايه فى الجلاس بن سويد بن الصامت اقبل هو ابن امراته مصعب من قباء فال الجلاس ان كان ما يقول محمد حقا لنحن اشر من حمرنا هذه التى نحن عليها فقال مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت قال مصعب فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم وخشيت ان ينزل فى القران او تصيبنى قارعه فقلت يا رسول الله اقبلت انا والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافه ان اخلط بخطيئه او تصيبنى قارعه ما اخبرتك**

**00000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع الكلم الطيب**

**قال مصعب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الجلاس فقال له اقلت الذى قال مصعب فحلف الجلاس بانه ما قال ذلك فانزل الله الاية "**

**وقال ابن كثير : قال قتاده نزلت في عبد الله بن ابي وذلك انه اقتتل رجلان جهني وانصاري فعلا الجهني على الانصاري فقال عبد الله للانصار الا تنصروا اخاكم والله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل " سمن كلبك ياكلك " وقال {لئن رجعنا الى المدينه ليخرجن الاعز منها الاذل }المنافقون 8 فسعى بها رجل من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فساله فجعل يحلف بالله ما قاله فانزل الله فيه هذه الاية**

**وقال القرطبى : قوله تعالى {فان يتوبوا يك خيرا لهم } روي ان الجلاس قام حين نزلت الايه فاستغفر وتاب فدل هذا على توبه الكافر الذي يسر الكفر ويظهر الايمان ; وهو الذي يسميه الفقهاء الزنديق وقد اختلف في ذلك العلماء ; فقال الشافعي تقبل توبته وقال مالك توبه الزنديق لا تعرف ; لانه كان يظهر الايمان ويسر الكفر ولا يعلم ايمانه الا بقوله وكذلك يفعل الان في كل حين يقول انا مومن وهو يضمر خلاف ما يظهر ; فاذا عثر عليه وقال تبت لم يتغير حاله عما كان عليه فاذا جاءنا تائبا من قبل نفسه قبل ان يعثر عليه قبلت توبته ; وهو المراد بالايه**

**و قوله تعالى {وان يتولوا } اي يعرضوا عن الايمان والتوبه يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل وفي الاخره بالنار وما لهم في الارض من ولي اي مانع يمنعهم ولا نصير اي معين**

**وقال ابن عاشور : لما كان معظم ما اخذ على المنافقين هو كلمات داله على الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من دلائل الكفر وكانوا اذا نقل ذلك عنهم تنصلوا منه بالايمان الكاذبه عقبت آية الامر بجهادهم بالتنبيه على ان ما يتنصلون به تنصل كاذب وان لا ثقه بحلفهم وعلى اثبات انهم قالوا ما هو صريح في كفرهم فجملة يحلفون مستانفه استئنافا بيانيا يثيره الامر بجهادهم مع مشاهدة ظاهر احوالهم من التنصل مما نقل عنهم ان اعتبر المقصود من الجمله تكذيبهم في حلفهم وقد تكون الجمله في محل التعليل للامر بالجهاد ان اعتبر المقصود منها قوله ولقد قالوا كلمه الكفر وما بعده وان ذلك انما اخر للاهتمام بتكذيب ايمانهم ابتداء واتي بالمقصود في صورة جمله حاليه ومعلوم ان القيد هو المقصود من الكلام المقيد ويرجح هذا ان معظم ما في الجمله هو شواهد كفرهم ونقضهم عهد الاسلام اذ لو كان المقصود خصوص تكذيبهم فيما حلفوا لاقتصر على اثبات مقابله وهو ولقد قالوا كلمه الكفر ولم يكن لما بعده مزيد اتصال به....**

**فلما امر بجهادهم والغلظه عليهم وتوعدهم بالمصير الى النار فرع على ذلك الاخبار بان التوبه مفتوحه لهم وان تدارك امرهم في مكنتهم لان المقصود من الامر بجهادهم قطع شافه مضرتهم او ان يصلح حالهم والتوبة هي اخلاصهم الايمان والضمير يعود الى الكفار والمنافقين والضمير في يك عائد الى مصدر يتوبوا وهو التوب ، والتولي الاعراض والمراد به الاعراض عن التوبه والعذاب في الدنيا عذاب الجهاد والاسر وفي الاخره عذاب النار وجيء بفعل يك في جواب الشرط دون ان يقال فان يتوبوا فهو خير لهم لتاكيد وقوع الخير عند التوبه والايماء الى انه لا يحصل الخير الا عند التوبه لان فعل التكوين موذن بذلك وحذف نون يكن للتخفيف لانها لسكونها تهيات للحذف وحسنه وقوع حركه بعدها والحركه ثقيله فلذلك شاع حذف هذه النون في كلامهم كقوله {وان تك حسنه يضاعفها } في سوره النساء 40 وجمله {وما لهم في الارض من ولي ولا نصير } عطف على جمله {يعذبهم الله} الخ فتكون جوابا ثانيا للشرط ولا يريبك انها جمله اسميه لا تصلح لمباشره اداه الشرط بدون فاء رابطه لانه يغتفر في التوابع ما لا يغتفر في المتبوعات فان حرف العطف كاف في ربط الجمله تبعا للجمله المعطوف عليها والمعنى انهم ان تولوا لم يجدوا من ينصرهم من القبائل اذ لم يبق من العرب من لم يدخل في الاسلام الا من لا يعبا بهم عددا وعددا والمراد نفي الولي النافع كما هو مفهوم الولي واما من لا ينفع فهو حبيب وودود وليس بالولي(1)**

**#التوبة تنجي صاحبها من القتل والأخذ000 بل تخلي سبيله**

**قال تعالى : { فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم(5) } التوبة**

**قال السعدي : يقول تعالى " فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ " أي: التي حرم فيها قتال المشركين المعاهدين, وهي أشهر التيسير الأربعة, وتمام المدة, لمن له مدة أكثر منها, فقد برئت منهم الذمة." فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ " في أي مكان وزمان." وَخُذُوهُمْ " أسرى " وَاحْصُرُوهُمْ " أي: ضيقوا عليهم, فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد اللّه وأرضه, التي جعلها معبدا لعباده. فهؤلاء, ليسوا أهلا لسكناها, ولا يستحقون منها شبرا, لأن الأرض أرض اللّه, وهم أعداؤه, المنابذون له ولرسله, المحاربون, الذين يريدون أن تخلو الأرض من دينه, ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره, ولو كره الكافرون." وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ " أي: كل ثنية وموضع, يمرون عليه, ورابطوا في جهادهم, وابذلوا غاية مجهودكم في ذلك, ولا تزالوا على هذا الأمر, حتى يتوبوا من شركهم. ولهذا قال: " فَإِنْ تَابُوا " من شركهم " وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ " أي: أدوها بحقوقها " وَآتُوا الزَّكَاةَ " لمستحقيها " فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ " أي: اتركوهم, وليكونوا مثلكم, لهم ما لكم, وعليهم ما عليكم." إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " يغفر الشرك فما دونه, للتائبين, ويرحمهم, بتوفيقهم للتوبة, ثم قبولها منهم.** **وفي هذه الآية, دليل على أن من امتنع من أداء الصلاة أو الزكاة, فإنه يقاتل حتى يؤديها, كما استدل بذلك أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه (2)**

**00000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع {يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمه الكفر000}**

**(2)الأنترنت – موقع طريف الإسلام - تفسير السعدي – سورة التوبة**

**وقال تعالى :{ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون} التوبة/11**

**قال السمرقندي: قوله تعالى: {فَإِن تَابُواْ} من الشرك. {وَأَقَامُواْ الصلاة}؛ يعني: أقروا بهماوفعلوهما؛ {فَإِخوَانُكُمْ في الدين}، يعني: هم مؤمنون مثلكم.{وَنُفَصّلُ الآيات}، يعني: نبيَّن العلامات {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} أنه من الله تعالى. اهـ.**

**وقال القرطبي: قوله تعالى: {فَإِن تَابُواْ} أي عن الشرك والتزموا أحكام الإسلام. {فَإِخْوَانُكُمْ} أي فهم إخوانكم {فِي الدين}. قال ابن عباس: حرّمت هذه دماءَ أهل القبلة.**

**وقال ابن زيد: افترض الله الصلاة والزكاة وأبَى أن يفرّق بينهما، وأبى أن يقبل الصَّلاة إلاَّ بالزكاة.**

**وقال ابن مسعود: أُمِرتم بالصَّلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له.**

**وفي حديث أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «من فرّق بين ثلاث فرّق الله بينه وبين رحمته يوم القيامة من قال أطيع الله ولا أطيع الرسول والله تعالى يقول: {أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرسول} ومن قال أُقيم الصَّلاة ولا أُوتي الزكاة والله تعالى يقول: {وَأَقِيمُواْ الصلاة وَآتُواْ الزكاة} ومن فرّق بين شكر الله وشكر والديه والله عزّ وجل يقول: {أَنِ اشكر لِي وَلِوَالِدَيْكَ}».**

**وقال أبو حيان:**

**{فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين} أي فإنْ تابوا عن الكفر ونقض العهد والتزموا أحكام الإسلام فإخوانكم، أي: فهم إخوانكم، والإخوان، والإخوة جمع أخ من نسب أو دين.**

**ومن زعم أنّ الإخوة تكون في النسب، والإخوان في الصداقة، فقد غلط.**

**قال تعالى: {إنما المؤمنون إخوة} وقال: أو بيوت إخوانكم، وعلق حصول الأخوة في الدين على الالتباس بمجموع الثلاثة، ويظهر أنّ مفهوم الشرط غير مراد.**

**{ونفصل الآيات لقوم يعلمون} أي نبيّنها ونوضحها. وهذه الجملة اعتراض بين الشرطين، بين قوله: {فإن تابوا}، وقوله: {وإن نكثوا}، بعثًا وتحريضًا على تأمل ما فصل تعالى من الأحكام، وقال لقوم يعلمون لأنه لا يتأمل تفصيلها إلا من كان من أهل العلم والفهم. اهـ.**

**وقال الألوسي:**

**{فَإِن تَابُواْ} عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم كنقض العهد وغيره، والفاء للإيذان بأن تقريعهم بما نعى عليهم من فظائع الأعمال مزجرة عنها ومظنة للتوبة {وَأَقَامُواْ الصلاة وَءاتَوُاْ الزكواة} على الوجه المأمور به {فإخوانكم} أي فهم اخوانكم {فِى الدين} لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، والجار والمجارور متعلق باخوانكم كما قال أبو البقاء لما فيه من معنى الفعل، قيل: والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب الشرطية السابقة مع اتحاد الشرط فيهما لما أن الأولى سيقت إثر الأمر بالقتل ونظائره فوجب أن يكون جوابها أمرًا بخلاف هذه، وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء وأشباهه فلابد من كون جوابها حكمًا البتة، وهذه الآية أجلب لقلوبهم من تلك الآية إذ فرق ظاهر بين تخلية سبيلهم وبين إثبات الأخوة الدينية لهم، وبها استدل على تحريم دماء أهل القبلة، وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وجاء في رواية ابن جرير. وأبي الشيخ عنه أنها حرمت قتال أو دماء أهل الصلاة والمآل واحد، واستدل بها بعضهم على كفر تارك الصلاة إذ مفهومها نفي الأخوة الدينية عنه، وما بعد الحق إلا الضلال، ويلزمه القول بكفر مانع الزكاة أيضًا بعين ما ذكره، وبعض من لا يقول باكفارهما التزم تفسير إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالتزامهما والعزم على إقامتهما ولا شك في كفر من لم يلتزمهما بالاتفاق.**

**وذكر بعض جلة الأفاضل أنه تعالى علق حصول الأخوة في الدين على مجموع الأمور الثلاثة التوبة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والمعلق على الشيء بكلمة {إن} ينعدم عند عدم ذلك الشيء فيلزم أنه متى لم توجد هذه الثلاثة لا تحصل الأخوة في الدين وهو مشكل، لأن المكلف المسلم لو كان فقيرًا أو كان غنيًا لكن لم ينقض عليه الحول لا يلزمه إيتاء الزكاة فإذا لم يؤتها فقد انعدم عنه ما توقف عليه حصول أخوة الدين فيلزم أن لا يكون مؤمنًا، إلا أن يقال: التعليق بكلمة {إن} إنما يدل على مجرد كون المعلق عليه مستلزمًا ما علق عليه ولا يدل على انعدام المعلق عليه بانعدامه بل يستفاد ذلك من دليل خارجي لجواز أن يكون المعلق لازمًا أعم فيتحقق بدون تحقق ما جعل ملزومًا له، ولو سلم أن نفس التعليق يدل على انعدام المعلق عند انعدام المعلق عليه، لكن لا نسلم أنه يلزم من ذلك أن لا يكون المسلم الفقير مؤمنًا بعدم إيتاء الزكاة وإنما يلزم ذلك أن لو كان المعلق عليه ايتاؤها على جميع التقادير وليس كذلك، بل المعلق عليه هو الايتاء عند تحقق شرائط مخصوصة مبينة بدلائل شرعية انتهى.**

**وأنت تعلم ما في القول بمفهوم الشرط من الخلاف والحنفية يقولون به، والظاهر أن هذا البحث كما يجري في إيتاء الزكاة يجري في إقامة الصلاة. واستدل ابن زيد باقترانهما على أنه لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة.**

**وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له {وَنُفَصّلُ الآيات} أي نبينها، والمراد بها إما ما مر من الآيات المتعلقة بأحوال المشركين من الناكثين وغيرهم وأحكامهم حالتي الكفر والإيمان واما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجًا أوليًا {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} ما فصلنا أو من ذوي العلم على أن الفعل متعد ومفعوله مقدر أو منزل منزلة اللازم، والعلم كما قيل كناية عن التأمل والتفكر (1)**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع نداء الإيمان**

**#التوبة من الربا تضمن لصاحبها رأس ماله ويسلم من حرب الله له**

**قال تعالى : { فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون } البقرة/279**

**قال أبو جعفر: " إن تبتم " فتركتم أكلَ الربا وأنبتم إلى الله عز وجل " فلكم رؤوس أموالكم " من الديون التي لكم على الناس، دون الزيادة التي أحدثتموها على ذلك ربًا منكم، كما:**

**حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: " وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم "، والمال الذي لهم على ظهور الرجال، جعل لهم رءوس أموالهم حين نـزلت هذه الآية، فأما الربح والفضل فليس لهم، ولا ينبغي لهم أن يأخذوا منه شيئًا. (1)**

**وقال ابن كثير : قال تعالى {وان تبتم فلكم رءوس اموالكم لا تظلمون }اي باخذ الزياده ولا تظلمون اي بوضع رووس الاموال ايضا بل لكم ما بذلتم من غير زياده عليه ولا نقص منه وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن الحسين بن اشكاب حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن شبيب بن غرقده البارقي عن سليمان بن الاحوص عن ابيه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجه الوداع فقال " الا ان كل ربا كان في الجاهليه موضوع عنكم كله لكم رووس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون واول ربا موضوع ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله "**

**وقال ابن عاشور : {فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله }يعني ان تمسكتم بالشرط فقد انتقض الصلح بيننا فاعلموا ان الحرب عادت جذعه فهذا كقوله {واما تخافن من قوم خيانه فانبذ اليهم على سواء }وتنكير حرب لقصد تعظيم امرها ولاجل هذا المقصد عدل عن اضافه الحرب الى الله وجيء عوضا عنها بمن ونسبت الى الله لانها باذنه على سبيل مجاز الاسناد والى رسوله لانه المبلغ والمباشر وهذا هو الظاهر فاذا صح ما ذكر في سبب نزولها فهو من تجويز الاجتهاد للنبيء صلى الله عليه وسلم في الاحكام اذ قبل من ثقيف النزول على اقتضاء ما لهم من الربا عند اهل مكه وذلك قبل ان ينزل قوله تعالى {وذروا ما بقى من الربوا} فيحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم راى الصلح مع ثقيف على دخولهم في الاسلام مع تمكينهم مما لهم قبل قريش من اموال الربا الثابته في ذممهم قبل التحريم مصلحه اذ الشان ان ما سبق التشريع لا ينقض كتقرير انكحه المشركين فلم يقره الله على ذلك وامر بالانكفاف عن قبض مال الربا بعد التحريم ولو كان العقد قبل التحريم ولذلك جعلهم على خيرة من امرهم في الصلح الذي عقدوه ودلت الايه على ان مجرد العقد الفاسد لا يوجب فوات التدارك الا بعد القبض ولذلك جاء قبلها فله ما سلف وجاء هنا وذروا ما بقي من**

**00000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع تفسير الطبري – سورة البقرة**

**الربوا الى قوله وان تبتم فلكم رووس اموالكم وهذه الايه اصل عظيم في البيوع الفاسده تقتضي نقضها وانتقال الضمان بالقبض والفوات بانتقال الملك والرجوع بها الى رووس الاموال او الى القيم ان فاتت لان القيمه بدل من راس المال ورووس الاموال اصولها فهو من اطلاق الراس على الاصل وفي الحديث " راس الامر الاسلام " ومعنى لا تظلمون ولا تظلمون لا تاخذون مال الغير ولا ياخذ غيركم اموالكم وقرا الجمهور فاذنوا بهمزه وصل وفتح الذالل امرا من اذن وقراه حمزه وابو بكر وخلف فاذنوا بهمزه قطع بعدها الف وبذال مكسوره امرا من اذن بكذا اذا اعلم به اي فاذنوا انفسكم ومن حولكم (1)**

**#التائب من فتنة المؤمنين والمؤمنات يعافيه الله من العذاب**

**قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ } البروج(10)**

**قال ابن عاشور : إن كان هذا جواباً للقسم على قول بعض المفسرين كما تقدم كان ما بين القسم وما بين هذا كلاماً معترضاً يقصد منه التوطئة لوعيدهم بالعذاب والهلاك بذكر ما توعّد به نظيرهم ، وإن كان الجواب في قوله : { قتل أصحاب الأخدود } [ البروج : 4 ] كان قوله : { إن الذين فتنوا المؤمنين } بمنزلة الفذلكة لما أقسم عليه إذ المقصود بالقسم وما أقسمَ عليه هو تهديد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات من مشركي قريش وتأكيد الخبر ب { إنَّ } للرد على المشركين الذين ينكرون أن تكون عليهم تبعةً من فتن المؤمنين .**

**{والذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات } : هم مشركو قريش وليس المراد أصحاب الأخدود لأنه لا يلاقي قوله : { ثم لم يتوبوا } إذ هو تعريض بالترغيب في التوبة ، ولا يلاقي دخول الفاء في خبر { إنَّ } من قوله : { فلهم عذاب جهنم } كما سيأتي .**

**وقد عُدّ من الذين فتنوا المؤمنين أبو جهل رأسُ الفتنة ومِسْعَرها ، وأميةُ بن خلف وصفوانُ بن أمية ، والأسودُ بن عبد يغوث ، والوليدُ بن المغيرة ، وأمُّ أنْمار ، ورجل من بني تَيْم .**

**والمفتونون : عد منهم بلالُ بن رباح كان عبداً لأمية بن خلف فكان يعذبه ، وأبو فُكيهة كان عبداً لصفوان بن أمية ، وخَبَّابُ بن الأرتِّ كان عبداً لأمّ أنمار ، وعَمّار بن ياسر ، وأبوه ياسِر ، وأخوه عبد الله كانوا عبيداً لأبي حذيفة بن المغيرة فوكَل بهم أبا جهل ، وعامرُ بن فُهيرة كان عبداً لرجل من بني تَيْم .** **000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع { فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍۢ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ}**

**والمؤمنات المفتونات منهنّ : حَمَامَةُ أمُّ بلال أمَةُ أمية بن خلف . وزِنِّيرَة ، وأمُّ عنَيْس كانت أمة للأسود بن عبد يغوث والنهدية . وابنتها كانتا للوليد بن المغيرة ، ولطيفةُ ، ولبينةُ بنت فهيرة كانت لعُمر بن الخطاب قبل أن يسلم كان عمر يَضربها ، وسُمية أمُّ عمار بن ياسر كانت لعمّ أبي جهل .**

**وفُتِن ورجَع إلى الشرك الحارثُ بن ربيعة بن الأسود ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعليُّ بن أمية بن خلف ، والعاصي بن المنبه بن الحجاج .**

**وعَطفُ { المؤمنات } للتنويه بشأنهن لئلا يظنّ أن هذه المزية خاصة بالرجال ، ولزيادة تفظيع فعل الفاتنين بأنهم اعتدَوا على النساء والشأن أن لا يتعرض لهن بالغلظة .**

**وجملة : { ثم لم يتوبوا } معترضة . و { ثُمّ } فيها للتراخي الرتبي لأن الاستمرار على الكفر أعظم من فتنة المؤمنين .**

**وفيه تعريض للمشركين بأنهم إن تابوا وآمنوا سلِمُوا من عذاب جهنم .**

**والفَتْن : المعاملة بالشدة والإِيقاع في العناء الذي لا يجد منه مخلصاً إلا بعناء أو ضرّ أخف أو حيلة ، وتقدم عند قوله تعالى : { والفتنة أشد من القتل } في سورة البقرة ( 191 ) .**

**ودخول الفاء في خبر ( إنّ ) من قوله : فلهم عذاب جهنم } لأنّ اسم ( إن ) وقعَ مَوصولاً والموصول يضمَّن معنى الشرط في الاستعمال كثيراً : فتقدير : إن الذين فتنوا المؤمنين ثم إنْ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ، لأن عطف قوله : { ثم لم يتوبوا } مقصود به معنى التقييد فهو كالشرط .**

**وجملة : { ولهم عذاب الحريق } عطف في معنى التوكيد اللفظي لجملة : { لهم عذاب جهنم } . واقترانُها بواو العطف للمبالغة في التأكيد بإيهام أن من يريد زيادة تهديدهم بوعيد آخر فلا يُوجد أعظم من الوعيد الأول . مع ما بين عذاب جهنم وعذاب الحريق من اختلاف في المدلول وإن كان مآل المدلولين واحداً . وهذا ضرب من المغايرة يحسن عطف التأكيد .**

**على أن الزج بهم في عذاب جهنم قبل أن يذوقوا حريقها لما فيه من الخزي والدفع بهم في طريقهم قال تعالى : { يوم يدعون إلى نار جهنم دعّاً } [ الطور : 13 ] فحصل بذلك اختلاف ما بين الجملتين .**

**ويجوز أن يراد بالثاني مضاعفة العذاب لهم كقوله تعالى : { الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه زدناهم عذاباً فوق العذاب } [ النحل : 88 ] ..(1)**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000000 (1)الأنترنت – موقع تفسير ابن عاشور**

**وقال البقاعي: ولذلك قال مستأنفاً جواباً لمن يقول: فما فعل بهم؟ مؤكداً لإنكار الكفار ذلك: {إن الذين فتنوا} أي خالطوا من الأذى بما لا تحتمله القوى فلابد أن يميل أو يحيل في أي زمان كان ومن أي قوم كانوا { المؤمنين والمؤمنات} أي ذوي الرسوخ في وصف الإيمان.**

**ولما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان، عبر بأداة التراخي فقال: {ثم لم يتوبوا} أي عن ذنوبهم وكفرهم.**

**ولما كان سبحانه لا يعذب أحدا إلا بسبب، سبب عن ذنبهم وعدم توبتهم قوله: {فلهم} أي خاصة لأجل كفرهم {عذاب جهنم} أي الطبقة التي تلقى داخلها بغاية الكراهة والتجهم، هذا في الآخرة {ولهم} أي مع ذلك في الدارين لأجل فتنتهم لأولياء الله {عذاب الحريق} أي العذاب الذي من شأنه المبالغة في الإحراق بما أحرقوا من قلوب الأولياء، وقد صدق سبحانه قوله هذا فيمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم بإهلاكهم شر إهلاك مغلوبين مقهورين مع أنهم كانوا قاطعين بأنهم غالبون كما فعل بمن كان قبلهم، فدل ذلك على أنه على كل شيء قدير، فدل على أنه يبدئ ويعيد.**

**ولما ذكر عقاب المعاندين بادئاً به لأن المقام له، أتبعه ثواب العابدين، فقال مؤكداً لما لأعدائهم من إنكار ذلك: {إن الذين آمنوا} أي أقروا بالإيمان ولو على أدنى الوجوه من المقذوفين في النار وغيرهم من كل طائفة في كل زمان {وعملوا الصالحات} تصديقاً لإيمانهم وتحقيقاً له.**

**ولما كان الله سبحانه من رحمته قد تغمد أولياءه بعنايته ولم يكلهم إلى أعمالهم لم يجعلها سبب سعادتهم فلم يقرن بالفاء قوله: {لهم} أي جزاء مقاساتهم لنيران الدنيا من نار الأخدود الحسية التي ذكرت، ومن نيران الغموم والأحزان المعنوية التي يكون المباشر لأسبابها غيره سبحانه فيكون المقاسي لها مع حفظه للدين كالقابض على الجمر {جنّات} أي فضلاً منه {تجري} وقرب منالها بالجار فقال: {من تحتها} أي تحت غرفها وأسرتها وجميع أماكنها {الأنهار} يتلذذون ببردها في نظير ذلك الحر الذي صبروا عليه في الدنيا ويروقهم النظر إليها مع خضرة الجنان والوجوه الحسان الجالبة للسرور الجالية للأحزان.**

**ولما ذكر هذا الذي يسر النفوس ويذهب البؤس، فذلكه بقوله: {ذلك} أي الأمر العالي الدرجة العظيم البركة {الفوز} أي الظفر بجميع المطالب لا غيره {الكبير} كبراً لا تفهمون منه أكثر من ذكره بهذا الوصف على سبيل الإجمال، وذلك أن من كبره أن هذا الوجود كله يصغر عن أصغر شيء منه. اهـ.**

**وقال الفخرالرازي : {إِنَّ الَّذينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عذاب جَهَنَّمَ}**

**اعلم أنه سبحانه لما ذكر قصة أصحاب الأخدود، أتبعها بما يتفرع عليها من أحكام الثواب والعقاب فقال: {إِنَّ الذين فَتَنُواْ المؤمنين} وهاهنا مسائل:**

**المسألة الأولى: يحتمل أن يكون المراد منه أصحاب الأخدود فقط، ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك وهذا أولى لأن اللفظ عام والحكم عام فالتخصيص ترك للظاهر من غير دليل.**

**المسألة الثانية: أصل الفتنة الابتلاء والامتحان، وذلك لأن أولئك الكفار امتحنوا أولئك المؤمنين وعرضوهم على النار وأحرقوهم، وقال بعض المفسرين الفتنة هي الإحراق بالنار وقال ابن عباس ومقاتل: {فَتَنُواْ المؤمنين} حرقوهم بالنار، قال الزجاج: يقال فتنت الشيء أحرقته والفتن أحجار سود كأنها محترقة، ومنه قوله تعالى: {يوم هُمْ على النار يُفْتَنُونَ} [الذاريات: 13].**

**المسألة الثالثة: قوله تعالى: {ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ} يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة، ويدل على أن توبة القاتل عمداً مقبولة خلاف ما يروى عن ابن عباس.**

**المسألة الرابعة: في قوله: {فَلَهُمْ عذاب جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عذاب الحريق} قولان:**

**الأول: أن كلا العذابين يحصلان في الآخرة، إلا أن عذاب جهنم وهو العذاب الحاصل بسبب كفرهم، وعذاب الحريق هو العذاب الزائد على عذاب الكفر بسبب أنهم أحرقوا المؤمنين، فيحتمل أن يكون العذاب الأول عذاب برد والثاني عذاب إحراق وأن يكون الأول عذاب إحراق والزائد على الإحراق أيضًا إحراق، إلا أن العذاب الأول كأنه خرج عن أن يسمى إحراقاً بالنسبة إلى الثاني، لأن الثاني قد اجتمع فيه نوعا الإحراق فتكامل جدًّا فكان الأول ضعيفاً، فلا جرم لم يسم إحراقاً.**

**القول الثاني: أن قوله: {فَلَهُمْ عذاب جَهَنَّمَ} إشارة إلى عذاب الآخرة: {وَلَهُمْ عذاب الحريق} إشارة إلى ما ذكرنا أن أولئك الكفار ارتفعت عليهم نار الأخدود فاحترقوا بها.**

**وقال القرطبي: قوله تعالى: {إِنَّ الذين فَتَنُواْ المؤمنين والمؤمنات} أي حَرَّقوهم بالنار.**

**والعرب تقول: فَتن فلانٌ الدرهمَ والدينارَ، إذا أدخله الكور، لينظر جودته. ودينار مفتون. ويسمى الصائغ الفتان، وكذلك الشيطان، وورِق فتين، أي فضة محترقة. ويقال للحَرّة فتين، أي كأنها أحرقت حجارتها بالنار، وذلك لسوادها.**

**{ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ} أي من قبيح صنيعهم مع ما أظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الآيات والبينات على يد الغلام. {فَلَهُمْ عذاب جَهَنَّمَ} لكفرهم. {وَلَهُمْ عذاب الحريق} في الدنيا لإحراقهم المؤمنين بالنار. (1)**

**000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت – موقع نداء الإيمان**

**#المنافقون يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون**

**قال تعالى : { أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون(126) } التوبة**

**قال طنطاوي في الوسيط : قوله اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مره او مرتين توبيخ لهم على قسوة قلوبهم وانطماس بصيرتهم وغفلتهم عما يدعو الى الاعتبار والاتعاظ اى ابلغ الجهل والسفه وعمى البصيره بهولاء انهم صاروا لا يعتبرون ولا يتعظون بما حاق من فتن واختبارات وابتلاءات تنزل بهم فى كل عام مرة او مرتين ومن هذه الفتن والامتحانات كشف مكرهم عن طريق اطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يضمرونه من سوء وما يقولونه من منكر وما يفعلونه من افعال خبيثه وحلول المصائب والامراض بهم ومشاهدتهم لانتصار المومنين وخذلان الكافرين**

**وقال الالوسى :والمراد من المرة والمرتين على ما صرح به بعهضم مجرد التكثير لا بيان الوقوع على حسب العدد المذكور وقوله ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون بيان لرسوخهم فى الجهل والجحود اى ثم بعد كل هذه الفتن النازله بهم لا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ويتعظون بل يصرون على مسالكهم الخبيثه واعمالهم القبيحه مع ان من شان الفتن والمصائب والمحن انها تحمل على الاعتبار والاتعاظ والرجوع عن طريق الشر الى طريق الخير**

**وقال البغوى : قوله اولا يرون قرا حمزه ويعقوب " ترون " بالتاء على خطاب النبي المومنين وقرا الاخرون بالياء خبر عن المنافقين المذكورين انهم يفتنون يبتلون في كل عام مره او مرتين بالامراض والشدائد وقال مجاهد بالقحط والشده وقال قتاده بالغزو والجهاد وقال مقاتل بن حيان يفضحون باظهار نفاقهم وقال عكرمه ينافقون ثم يومنون ثم ينافقون وقال يمان ينقضون عهدهم في السنه مره او مرتين ثم لا يتوبون من نقض العهد ولا يرجعون الى الله من النفاق ولا هم يذكرون اي لا يتعظون بما يرون من تصديق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين**

**وقال ابن كثير : يقول تعالى اولا يرى هولاء المنافقون انهم يفتنون اي يختبرون في كل عام مره او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون اي لا يتوبون من ذنوبهم السالفه ولا هم يذكرون فيما يستقبل من احوالهم قال مجاهد يختبرون بالسنة والجوع وقال قتادة بالغزو في السنة مرة او مرتين وقال شريك عن جابر هو الجعفي عن ابي الضحى عن حذيفه اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مره او مرتين قال كنا نسمع في كل عام كذبة او كذبتين فيضل بها فئام من الناس كثير رواه ابن جرير وفي الحديث عن انس " لا يزداد الامر الا شده ولا يزداد الناس الا شحا وما من عام الا والذي بعده شر منه " سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم**

**وقال الطبرى : قال ابو جعفر اختلفت القراء في قراءه قوله اولا يرون فقراته عامه قراه الامصار او لا يرون بالياء بمعنى او لا يرى هولاء الذين في قلوبهم مرض النفاق وقرا ذلك حمزه او لا ترون بالتاء بمعنى او لا ترون انتم ايها المومنون انهم يفتنون قال ابو جعفر والصواب عندنا من القراءه في ذلك الياء على وجه التوبيخ من الله لهم لاجماع الحجه من قراه الامصار عليه وصحه معناه، فتاويل الكلام اذا : او لا يرى هولاء المنافقون ان الله يختبرهم في كل عام مره او مرتين بمعنى انه يختبرهم في بعض الاعوام مره وفي بعضها مرتين ثم لا يتوبون يقول ثم هم مع البلاء الذي يحل بهم من الله والاختبار الذي يعرض لهم لا ينيبون من نفاقهم ولا يتوبون من كفرهم ولا هم يتذكرون بما يرون من حجج الله ويعاينون من اياته فيتعظوا بها ولكنهم مصرون على نفاقهم (1)**

**#من قال كلمة الكفر وكفربالله ثم تاب كان خيرا له**

**قال تعالى : { يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّۢ وَلَا نَصِيرٍ} (74) } التوبة**

**قال طنطاوي في الوسيط : ثم ختم سبحانه الايه الكريمه بترغيبهم وترهيبهم فقال فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخره اى فان يتب هولاء المنافقون عن نفاقهم وشقاقهم وقبائح اقوالهم وافعالهم يكن المتاب خيرا لهم فى دنياهم واخرتهم " وان يتولوا " ويعرضوا عن الحق ويستمروا فى ضلالهم يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخره اما عذاب الدنيا فمن مظاهره حذرهم وخوفهم من ان يطلع المومنين على اسرارهم وجبنهم عن مجابهه الحقائق وشعورهم بالضعف امام قوة المسلمين واحساسهم بالعزله والمقاطعه من جانب المومنين ومعاقبه الرسول صلى الله عليه وسلم اياهم بالعقوبه المناسبه لجرمهم واما عذاب الاخره فهو اشد وابقى بسبب اصرارهم على النفاق واعراضهم عن دعوه الحق وقوله وما لهم في الارض من ولي ولا نصير تذييل قصد به تيئيسهم من كل معين او ناصر اى ان هولاء المنافقين ليس لهم احد فى الارض يدفع عنهم عذاب الله او يحميهم من عقابه لان عقاب الله لن يدفعه دافع الا هو فعليهم ان يثوبوا الى رشدهم وان يتوبوا الى ربهم قبل ان يحل بهم عذابه**

**وقال البغوى : يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمه الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخره وما لهم في الارض من ولي ولا نصير قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجره فقال " انه سياتيكم انسان فينظر اليكم بعيني شيطان فاذا جاء فلا تكلموه " فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال " علام تشتمني انت واصحابك " فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله عز وجل هذه الايه وقال الكلبي نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك**

**000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع { اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مره او مرتين ثم لا يتوبون }**

**فذكر المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال جلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال اجل ان محمدا لصادق وانتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينه اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب علي يا رسول الله وامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون امين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الايه حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله عز وجل قد عرض علي التوبه صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله ذلك منه وحسنت توبته**

**وقال ابن كثير : ثم دعاهم الله تبارك وتعالى الى التوبه فقال {فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخره }اي وان يستمروا على طريقهم يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا اي بالقتل والهم والغم والاخره اي بالعذاب والنكال والهوان والصغار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير اي وليس لهم احد يسعدهم ولا ينجدهم ولا يحصل لهم خيرا ولا يدفع عنهم شرا**

**وقال القرطبى : قوله تعالى {فان يتوبوا يك خيرا لهم }روي ان الجلاس قام حين نزلت الايه فاستغفر وتاب فدل هذا على توبه الكافر الذي يسر الكفر ويظهر الايمان ; وهو الذي يسميه الفقهاء الزنديق وقد اختلف في ذلك العلماء ; فقال الشافعي تقبل توبته وقال مالك توبه الزنديق لا تعرف ; لانه كان يظهر الايمان ويسر الكفر ولا يعلم ايمانه الا بقوله وكذلك يفعل الان في كل حين يقول انا مومن وهو يضمر خلاف ما يظهر ; فاذا عثر عليه وقال تبت لم يتغير حاله عما كان عليه فاذا جاءنا تائبا من قبل نفسه قبل ان يعثر عليه قبلت توبته ; وهو المراد بالايه والله اعلم السادسه قوله تعالى وان يتولوا اي يعرضوا عن الايمان والتوبه يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل وفي الاخره بالنار وما لهم في الارض من ولي اي مانع يمنعهم ولا نصير اي معين وقد تقدم**

**وقال الطبرى : قال ابو جعفر : واما قوله {فان يتوبوا يك خيرا لهم } يقول تعالى ذكره فان يتب هولاء القائلون كلمه الكفر من قيلهم الذي قالوه فرجعوا عنه يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق وان يتولوا يقول وان يدبروا عن التوبه فياتوها ويصروا على كفرهم يعذبهم الله عذابا اليما يقول يعذبهم عذابا موجعا في الدنيا اما بالقتل واما بعاجل خزي لهم فيها ويعذبهم في الاخره بالنار**

**وقال ابن عاشور : التفريع على قوله : { جاهد الكفار والمنافقين } [ التوبة : 73 ] على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد والعكس فلمّا أمر بجهادهم والغِلظة عليهم وتوعّدهم بالمصير إلى النار ، فرّع على ذلك الإخبارَ بأنّ التوبة مفتوحة لهم وأنَّ تدارك أمرهم في مكنتهم ، لأنّ المقصود من الأمر بجهادهم قطع شافة مضرّتهم أو أن يصلح حالهم .**

**والتوبة هي إخلاصهم الأيمانَ . والضمير يعود إلى الكفّار والمنافقين ، والضمير في { يك } عائد إلى مصدر { يتوبوا } وهو التوبُ .**

**والتولّي : الإعراض والمراد به الإعراض عن التوبة . والعذاب في الدنيا عذاب الجهاد والأسر ، وفي الآخرة عذاب النار .**

**وجيء بفعل { يك } في جواب الشرط دون أن يقال فإن يتوبوا فهو خيرٌ لهم لتأكيد وقوع الخَيْر عند التوبة ، والإيماءِ إلى أنّه لا يحصل الخير إلاّ عند التوبة لأنّ فعل التكوين مؤذن بذلك .**

**وحَذف نون «يكن» للتخفيف لأنّها لسكونها تهيّأت للحذف وحسَّنه وقوع حركة بعدها والحركة ثقيلة فلذلك شاع حذف هذه النون في كلامهم كقوله:{ وإن تك حسنة يضاعفها } في سورة النساء ( 40 ).**

**وجملة : وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير } عطف على جملة { يعذبهم الله } الخ فتكون جواباً ثانياً للشرط ، ولا يريبك أنّها جملة اسمية لا تصلح لمباشرة أداة الشرط بدون فاء رابطة . لأنّه يغتفر في التوابع ما لا يغتفر في المتبوعات فإنّ حرف العطف كاف في ربط الجملة تبعاً للجملة المعطوف عليها .**

**والمعنى أنّهم إن تولّوا لم يجدوا من ينصرهم مِن القبائل إذ لم يبق من العرب من لم يدخل في الإسلام إلاّ من لا يعبأ بهم عَدداً وعُدداً ، والمراد نفي الولي النافع كما هو مفهوم الولي وأمّا من لا ينفع فهو حبيب وودود وليس بالولي .(1)**

**# أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم**

**قال تعالى : { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }74 المائدة**

**قال ابن كثير :يقول تعالى حاكماً بتكفير فرق النصارى ممن قال منهم بأن المسيح هو اللّه، - تعالى اللّه عن قولهم وتنزه وتقدس علواً كبيراً - هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد اللّه ورسوله، وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أن قال { إني عبد اللّه} ، ولم يقل إني أنا اللّه ولا ابن اللّه، بل قال: { إني عبد الّله آتاني الكتاب وجعلني نبياً} ، وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته آمراً لهم بعبادة اللّه ربه وربهم وحده لا شريك له، ولهذا قال تعالى: { وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا اللّه ربي وربكم إنه من يشرك باللّه} أي فيعبد معه غيره { فقد حرم اللّه عليه الجنة ومأواه النار} أي فقد أوجب له النار وحرم عليه الجنة 00000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع { يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمه الكفر وكفروا بعد اسلامهم}**

**، كما قال تعالى: { إن اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} وفي الصحيح أن النبي صلى اللّه عليه وسلم بعث منادياً ينادي في الناس: (إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة) وفي لفظ (مؤمنة) ولهذا قال تعالى: { وما للظالمين من أنصار} أي وماله عند اللّه ناصر ولا معين ولا منقذ مما هو فيه. وقوله: { لقد كفر الذين قالوا إن اللّه ثالث ثلاثة} الصحيح أنها أنزلت في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد، ثم اختلفوا في ذلك، فقيل: المراد بذلك كفارهم في قولهم بالأقانيم الثلاثة، وهو أقنوم الأب، وأقنوم الأبن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الإبن، تعالى اللّه عن قولهم علواً كبيراً. قال ابن جرير وغيره: والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم، وهم مختلفون فيها اختلافاً متبايناً، ليس هذا موضع بسطه، وكل فرقة منهم تكفر الأخرى، والحق أن الثلاثة كافرة. وقال السدي وغيره : نزلت في جعلهم المسيح وأمه إلهين مع اللّه، فجعلوا اللّه ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار، وهي كقوله تعالى: { وإذ قال اللّه يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون اللّه قال سبحانك} الآية، وهذا القول هو الأظهر، واللّه أعلم. قال اللّه تعالى: { وما من إله إلا إله واحد} أي ليس متعدداً بل هو وحده لا شريك له، إله جميع الكائنات وسائر الموجودت، ثم قال تعالى متوعداً لهم ومتهدداً: { وإن لم ينتهوا عما يقولون} أي من هذا الإفتراء والكذب { ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم} أي في الآخرة من الأغلال والنكال، ثم قال: { أفلا يتوبون إلى اللّه ويستغفرونه واللّه غفور رحيم} وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم، وهذا الإفتراء والكذب والإفك يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه، وقوله تعالى: { ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل} أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام، كما قال: { إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل} ، وقوله: { وأمه صديقة} أي مؤمنة به مصدقة له، وهذا أعلى مقاماتها، فدل على أنها ليست بنبية كما زعمه ابن حزم وغيره ممن ذهب إلى نبوة سارة أم إسحاق ونبوة أم موسى ونبوة أم عيسى استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم، وبقوله: { وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه} ، وهذا معنى النبوة، والذي عليه الجمهور أن اللّه لم يبعث نبياً إلا من الرجال، قال اللّه تعالى: { وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى} ، وقد حكى الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه اللّه الإجماع على ذلك، وقوله تعالى: { كانا يأكلان الطعام} أي يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس، وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة عليهم لعائن اللّه المتتابعة إلى يوم القيامة، ثم قال تعالى: { انظر كيف نبين لهم الآيات} أي نوضحها ونظهرها، { ثم انظر أنّى يؤفكون} أي ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون، وبأي قول يتمسكون، وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون؟.**

**وقال الطبري :الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى : { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّه وَيَسْتَغْفِرُونَهُ } يَقُول تَعَالَى ذِكْره : أَفَلَا يَرْجِع هَذَانِ الْفَرِيقَانِ الْكَافِرَانِ , الْقَائِل أَحَدهمَا : إِنَّ اللَّه هُوَ الْمَسِيح اِبْن مَرْيَم ; وَالْآخَر الْقَائِل : إِنَّ اللَّه ثَالِث ثَلَاثَة , عَمَّا قَالَا مِنْ ذَلِكَ , وَيَتُوبَانِ بِمَا قَالَا وَقَطَعَا بِهِ مِنْ كُفْرهمَا , وَيَسْأَلَانِ رَبّهمَا الْمَغْفِرَة مِمَّا قَالَا .' وَاَللَّه غَفُور لِذُنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْ خَلْقه , الْمُنِيبِينَ إِلَى طَاعَته بَعْد مَعْصِيَتهمْ , رَحِيم بِهِمْ فِي قَبُوله تَوْبَتهمْ وَمُرَاجَعَتهمْ إِلَى مَا يُحِبّ مِمَّا يَكْرَه , فَيَصْفَح بِذَلِكَ مِنْ فِعْلهمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْ إِجْرَامهمْ قَبْل ذَلِكَ .وَاَللَّه غَفُور لِذُنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْ خَلْقه , الْمُنِيبِينَ إِلَى طَاعَته بَعْد مَعْصِيَتهمْ , رَحِيم بِهِمْ فِي قَبُوله تَوْبَتهمْ وَمُرَاجَعَتهمْ إِلَى مَا يُحِبّ مِمَّا يَكْرَه , فَيَصْفَح بِذَلِكَ مِنْ فِعْلهمْ عَمَّا سَلَفَ مِنْ إِجْرَامهمْ قَبْل ذَلِكَ .' (1)**

**#التوبة على الله لمن عملوا السيئات بجهالة إذا تابوا من قريب**

**قال تعالى : { إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماحكيما(17) } النساء**

**قال ابن تيمية : إذا أذنب العبد وهو يعلم أنه يعصي الله ويخالف أمره ويعرض نفسه للعقوبة ، ثم تاب توبة صادقة تاب الله عليه وغفر له مهما كان ذنبه عظيما ، وإذَا تَابَ الْعَبْدُ مِنْ الذَّنْبِ غَفَرَهُ اللَّهُ لَهُ ، شِرْكًا كَانَ أَوْ غَيْرَ شِرْكٍ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ( يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ) " (2)**

**وقال ابن القيم رحمه الله :" إذا تاب العبد توبة نصوحاً صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات وأعادت عليه ثواب حسناته " (3)**

**ولمقصود بالجهالة في الآية : الإقدام على معصية الله ، وليس المقصود أنه لا يعلم من الأصل أن ما يفعله ذنب ومعصية ، فهذا إن تاب من قريب تاب الله عليه ، وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ، وهذا من فضل الله وواسع رحمته بعباده .**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :**

**" قال أبو العالية : سألت أصحاب محمد عن هذه الآية فقالوا لي : كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ، وكذلك قال سائر المفسرين .**

**0000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت – موقع { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّه وَيَسْتَغْفِرُونَهُ }**

**(2)"مجموع الفتاوى" (18/ 340) .**

**(3)"الوابل الصيب" (ص: 12) .**

**قال مجاهد : كل عاص فهو جاهل حين معصيته ، وقال الحسن وقتادة وعطاء والسدي وغيرهم : إنما سموا جهالا لمعاصيهم ، لا أنهم غير مميزين .**

**وقال الزجاج : ليس معنى الآية أنهم يجهلون أنه سوء ؛ لأن المسلم لو أتى ما يجهله كان كمن لم يواقع سوءا ؛ وإنما يحتمل أمرين : ( أحدهما ) : أنهم عملوه وهم يجهلون المكروه فيه . والثاني : أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بأن عاقبته مكروهة ، وآثروا العاجل على الآجل ؛ فسموا جهالا لإيثارهم القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة .والمقصود هنا أن كل عاص لله فهو جاهل ، وكل خائف منه فهو عالم "(1)**

**وقالت اللجنة الدائمة للافتاء : لا يمنع التوبة إقدام الإنسان على المعصية وهو يعلم أنها معصية ، ويشترط للتوبة ثلاثة شروط : الإقلاع عن المعصية ، والندم على ما مضى ، والعزم على عدم العودة إلى المعصية ، وإن كان هناك حق لآدمي وجب رده إليه أو استباحته منه ، وكل من عصى الله فهو جاهل "(2)**

**وقوله تعالى : ( وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ) آل عمران/ 135 .**

**لا يخالف ما تقدم ، ومعنى الآية : أن من صفات عباد الله المتقين أنهم إذا صدر منهم أعمال سيئة كبيرة ، أو ما دون ذلك ، بادروا إلى التوبة والاستغفار ، وذكروا ربهم ، وما توعد به العاصين ووعد به المتقين ، فسألوه المغفرة لذنوبهم ، والستر لعيوبهم ، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها ، فلهذا قال : ( ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ) .**

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :**

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" إِذَا أَصَرَّ عَلَى الصَّغِيرَةِ صَارَتْ كَبِيرَةً وَإِذَا تَابَ مِنْهَا غُفِرَتْ ... وَإِذَا تَابَ تَوْبَةً صَحِيحَةً غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ ، فَإِنْ عَادَ إلَى الذَّنْبِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتُوبَ أَيْضًا . وَإِذَا تَابَ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ أَيْضًا " .(3)**

**#وقال تعالى : { وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما(18) } النساء**

**0000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) "مجموع الفتاوى" (7 /22) .**

**(2) "فتاوى اللجنة الدائمة" (24 /308-309) .**

**(3)"مجموع الفتاوى" (11 /700) ، الأنترنت – موقع الإسلام سؤال وجواب**

**ورد في التفسير الميسر : وليس قَبول التوبة للذين يُصِرُّون على ارتكاب المعاصي، ولا يرجعون إلى ربهم إلى أن تأتيهم سكرات الموت، فيقول أحدهم: إني تبت الآن، كما لا تُقبل توبة الذين يموتون وهم جاحدون، منكرون لوحدانية الله ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. أولئك المصرُّون على المعاصي إلى أن ماتوا، والجاحدون الذين يموتون وهم كفار، أعتدنا لهم عذابًا موجعًا.**

**وقال البغوى : وليست التوبه للذين يعملون السيئات يعني المعاصي حتى اذا حضر احدهم الموت ووقع في النزع قال اني تبت الان وهي حاله السوق حين تساق روحه لا يقبل من كافر ايمان ولا من عاص توبه قال الله تعالى " فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا " غافر 85 ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين ادركه الغرق ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا اي هيانا واعددنا لهم عذابا اليما**

**وقال ابن كثير : ولهذا قال تعالى وليست التوبه للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وهذا كما قال تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا الايتين غافر 84 85 وكما حكم تعالى بعدم توبه اهل الارض اذا عاينوا الشمس طالعه من مغربها كما قال تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا الايه الانعام 158 وقوله ولا الذين يموتون وهم كفار الايه يعني ان الكافر اذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته ولا يقبل منه فديه ولو بملء الارض ذهبا قال ابن عباس وابو العاليه والربيع بن انس ولا الذين يموتون وهم كفار قالوا نزلت في اهل الشرك**

**وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان قال حدثني ابي عن مكحول ان عمر بن نعيم حدثه عن اسامه بن سلمان ان ابا ذر حدثهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ان الله يقبل توبه عبده او يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب " قيل وما وقوع الحجاب قال " ان تخرج النفس وهي مشركه " ; ولهذا قال تعالى اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اي موجعا شديدا مقيما (1)**

**# كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**

**000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع { وليست التوبه للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت}**

**قال تعالى : {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (54) (الأنعام)**

**قوله {ثم تاب من بعده واصلح } عليه الا اذا اريد ثم تفطن الى انه عمل سوءا والضمير في قوله من بعده عائد الى سوءا اي بعد السوء اي بعد عمله ولك ان تجعله عائدا الى المصدر المضمون في عمل مثل اعدلوا هو اقرب للتقوى المائده 8 ومعنى اصلح صير نفسه صالحه او اصلح عمله بعد ان اساء وقد تقدم عند قوله تعالى فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه في سوره المائده 39 وعند قوله الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا في سوره البقره 160 وجمله فانه غفور رحيم دليل جواب الشرط اي هو شديد المغفره والرحمه وهذا كنايه عن المغفره لهذا التائب المصلح**

**تأمل أخي هذه الآية : " كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " [الأنعام: 54] وانظر كيف جمع الله جل وعلا بين ما كتبه على نفسه من الرحمة وبين توبته على عباده.. ولذلك ختم الآية بالجمع بين صفتي الرحمة والغفران**

**إن رحمة الله جل وعلا قد وسعت كل شيء.. وإن معالمها ومظاهرها في كل شيء.. فبرحمته خلق وأوجد.. وبها أحيا وأعطى.. وبها رزق وأشفى.. وبها يتوب على عباده ويغفر.. فكيف يعرض مسلم عن التوبة إلى الله والرجوع إليه وهو يدرك أن رحمة الله سبقت غضبه.. وأنه ما دخل الجنة من دخل.. ومما نجا من النار من نجا إلا برحمته وغفرانه.. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لا لن يُدخِلَ أحدًا عملُهُ الجنَّةَ قالوا : ولا أنتَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قالَ : لا ، ولا أنا ، إلَّا أن يتغمَّدَنِيَ اللَّهُ بِفَضلٍ ورَحمةٍ » ( صحيح البخاري) .**

**أقبل على الله يقبل عليك.. فإنه سبحانه يقبل العفو.. ويغفر الذنب بل إنه سبحانه يفرح بتوبتك أيما فرح.. فلا تحرم نفسك من رحمة الله بإعراضك عن التوبة .**

**إن من أدرك أن رحمة الله تسع ذنبه.. وأن الله جل وعلا قد أوجب عليه الرجوع إليه.. وأنه موعود بقبول توبته بل وإثابته عليها.. ثم لا يزال يتردد في التوبة والاستغفار.. لقليل العزم.. مغبون !**

**قال تعالى : "وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ \* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ \* لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ " [الزمر: 33-35] .**

**فانظر رعاك الله كيف قسم الله أعمال المتقين إلى عملين : الأول عمل سيئ والثاني عمل حسن, وبين سبحانه أنه جزاهم على الإحسان إحسانًا.. وكفر عنهم السيئات.. وهذا من رحمته سبحانه بهم ولو حاسبهم على ما عملوا لاستحقوا العقاب.. وهذا يؤكد رحمة الله تعالى .(1) (1) الأنترنت – موقع الكلم الطيب**

**وقال ابن عاشور : وقوله انه من عمل منكم سوءا بجهاله قراه نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بفتح الهمزه على انه بدل من الرحمه بدل اشتمال لان الرحمه العامه تشتمل على غفران ذنب من عمل ذنبا ثم تاب واصلح وقراه الباقون بكسر الهمزه على ان يكون استئنافا بيانيا لجواب سوال متوقع عن مبلغ الرحمه ومن شرطيه وهي ادل على التعميم من الموصوله والباء في قوله بجهاله للملابسه اي ملتبسا بجهاله والمجرور في موضع الحال من ضمير عمل والجهاله تطلق على انتفاء العلم بشيء ما وتطلق على ما يقابل الحلم وقد تقدم في قوله تعالى انما التوبه على الله للذين يعملون السوء بجهاله في سوره النساء 17 والمناسب هنا هو المعنى الثاني اي من عمل سوءا عن حماقه من نفسه وسفاهه لان المومن لا ياتي السيئات الا عن غلبه هواه رشده ونهاه وهذا الوجه هو المناسب لتحقيق معنى الرحمه واما حمل الجهاله على معنى عدم العلم بناء على ان الجاهل بالذنب غير مواخذ فلا قوة لتفريع**

**ورد في التفسير الميسر : وإذا جاءك -أيها النبي- الذين صَدَّقوا بآيات الله الشاهدة على صدقك من القرآن وغيره مستفتين عن التوبة من ذنوبهم السابقة، فأكرِمْهم بردِّ السلام عليهم، وبَشِّرهم برحمة الله الواسعة؛ فإنه جلَّ وعلا قد كتب على نفسه الرحمة بعباده تفضلا أنه من اقترف ذنبًا بجهالة منه لعاقبتها وإيجابها لسخط الله -فكل عاص لله مخطئًا أو متعمدًا فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالمًا بالتحريم- ثم تاب من بعده وداوم على العمل الصالح، فإنه تعالى يغفر ذنبه، فهو غفور لعباده التائبين، رحيم بهم.**

**وقال طنطاوي في الوسيط: السلام والسلامه مصدران من الثلاثي يقال سلم فلان من المرض او من البلاء سلاما وسلامه ومعناهما البراءه والعافيه ويستعمل السلام في التحيه وهو بمعنى الدعاء بالسلامه من كل سوء فهو اية المودة والامان والصفاء والمعنى واذا حضر الى مجالسك يا محمد اولئك الذين يومنون باياتنا ويعتقدون صحتها فقل لهم تحيه لكم من خالقكم وبشاره لكم بمغفرته ورضوانه مادمتم متبعين لهديه ومحافظين على فرائضه كتب ربكم على نفسه الرحمه اى انه سبحانه اوجب على نفسه الرحمه لعباده تفضلا منه وكرما ثم بين سبحانه اصلا من اصول الدين في هذه الرحمه المكتوبه فقال انه من عمل منكم سوءا بجهاله ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم اى انه من عمل منكم عملا تسوء عاقبته متلبسا بجهالة دفعته الى ذلك السوء كغضب شديد ثم تاب من بعد تلك الجهاله واصلح خطاه وندم على ما بدر منه ورد المظالم الى اهلها فالله سبحانه شانه في معاملته لهذا التائب النادم انه غفور رحيم**

**وقال البغوى : قوله عز وجل واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم قال عكرمه نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال عطاء نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وابي عبيده ومصعب بن عمير وحمزه وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابي الارقم وابي سلمه بن عبد الاسد رضي الله عنهم اجمعين كتب ربكم على نفسه الرحمه اي قضى على نفسه الرحمه انه من عمل منكم سوءا بجهاله قال مجاهد لا يعلم حلالا من حرام فمن جهالته ركب الذنب وقيل جاهل بما يورثه ذلك الذنب وقيل جهالته من حيث انه اثر المعصيه على الطاعه والعاجل القليل على الاجل الكثير ثم تاب من بعده رجع عن ذنبه واصلح عمله قيل اخلص توبته فانه غفور رحيم قرا ابن عامر وعاصم ويعقوب " انه من عمل منكم " " فانه غفور رحيم " بفتح الالف فيهما بدلا من الرحمه اي كتب على نفسه انه من عمل منكم ثم جعل الثانيه بدلا عن الاولى كقوله تعالى " ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون " المومنون 35 وفتح اهل المدينه الاولى منهما وكسروا الثانيه على الاستئناف وكسرهما الاخرون على الاستئناف**

**وقال ابن كثير : وقوله واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم اي فاكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمه الله الواسعه الشامله لهم ; ولهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمه اي اوجبها على نفسه الكريمه تفضلا منه واحسانا وامتنانا انه من عمل منكم سوءا بجهاله قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقال معتمر بن سليمان عن الحكم بن ابان عن عكرمه في قوله من عمل منكم سوءا بجهاله قال الدنيا كلها جهاله رواه ابن ابي حاتم ثم تاب من بعده واصلح اي رجع عما كان عليه من المعاصي واقلع وعزم على الا يعود واصلح العمل في المستقبل فانه غفور رحيم**

**الطبرى : قال ابو جعفر اختلف اهل التاويل في الذين عنى الله تعالى ذكره بهذه الايه فقال بعضهم عنى بها الذين نهى الله نبيه عن طردهم وقد مضت الروايه بذلك عن قائليه وقال اخرون عنى بها قوما استفتوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذنوب اصابوها عظام فلم يويسهم الله من التوبه \* (1)**

**#وقال تعالى : { ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم(119) } النحل**

**قال الفخر الرازي : اعلم أن المقصود بيان أن الافتراء على الله ، ومخالفة أمر الله لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة . ولفظ السوء يتناول كل ما لا ينبغي ، وهو الكفر والمعاصي ، وكل من عمل السوء فإنما يفعله بالجهالة ، أما الكفر فلأن أحدا لا يرضى به مع العلم بكونه كفرا ، فإنه ما لم يعتقد كون ذلك المذهب حقا وصدقا ، فإنه لا يختاره ولا يرتضيه ، وأما المعصية فما لم تصر الشهوة غالبة للعقل والعلم لم تصدر عنه تلك المعصية ، فثبت أن كل من عمل السوء فإنما يقدم عليه بسبب الجهالة ، فقال تعالى : إنا قد بالغنا في تهديد أولئك الكفار الذين يحللون ويحرمون بمقتضى الشهوة والفرية على الله تعالى ، ثم إنا بعد ذلك نقول : إن ربك في حق الذين عملوا السوء 000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع { انه من عمل منكم سوءا بجهاله ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم }**

**بسبب الجهالة ، ثم تابوا من بعد ذلك ، أي من بعد تلك السيئة ، وقيل : من بعد تلك الجهالة ، ثم إنهم بعد التوبة عن تلك السيئات أصلحوا ، أي آمنوا وأطاعوا الله .**

**ثم أعاد قوله : ( إن ربك من بعدها ) على سبيل التأكيد . ثم قال : ( لغفور رحيم ) والمعنى : أنه لغفور رحيم لذلك السوء الذي صدر عنهم بسبب الجهالة ، وحاصل الكلام أن الإنسان وإن كان قد أقدم على الكفر والمعاصي دهرا دهيرا وأمدا مديدا ، فإذا تاب عنه وآمن وأتى بالأعمال الصالحة فإن الله غفور رحيم ، يقبل توبته ويخلصه من العذاب .(1)**

**وورد في التفسير الميسر : ثم إن ربك للذين فعلوا المعاصي في حال جهلهم لعاقبتها وإيجابها لسخط الله -فكل عاص لله مخطئًا أو متعمدًا فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالمًا بالتحريم-، ثم رجعوا إلى الله عمَّا كانوا عليه من الذنوب، وأصلحوا نفوسهم وأعمالهم، إن ربك -مِن بعد توبتهم وإصلاحهم- لَغفور لهم، رحيم بهم.**

**وقال طنطاوي في الوسيط: وقوله سبحانه ثم ان ربك للذين عملوا السواء بجهاله بيان لسعه رحمته سبحانه بعباده ورافته بهم والمراد بالجهاله الجهل والسفه اللذان يحملان صاحبهما على ارتكاب ما لا يليق بالعقلاء وليس المراد بها عدم العلم قال مجاهد كل من عصى الله تعالى عمدا او خطا فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال ابن عطيه الجهاله هنا بمعنى تعدى الطور وركوب الراس لا ضد العلم ومنه ما جاء فى الخبر " اللهم انى اعوذ بك من ان اجهل او يجهل على " ومنه قول الشاعر**

**الا لا يجهلن احد علينا \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* فنجهل فوق جهل الجاهلين**

**وقال البغوى : معنى الاصلاح الاستقامه على التوبه ان ربك من بعدها اي من بعد الجهاله لغفور رحيم**

**وقال ابن كثير : ثم اخبر تعالى تكرما وامتنانا في حق العصاة المومنين أن من تاب منهم اليه تاب عليه فقال "ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهاله" قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل "ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا" اي اقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي واقبلوا على فعل الطاعات "ان ربك من بعدها" اي تلك الفعله والزله "لغفور رحيم"**

**00000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع التفسير الكبير الإمام فخر الدين الرازي**

**وقال الطبرى : يقول تعالى ذكره ان ربك للذين عصوا الله فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصيه الله وسفهوا بذلك ثم راجعوا طاعه الله والندم عليها والاستغفار والتوبه منها من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصيه واصلح فعمل بما يحب الله ويرضاه ان ربك من بعدها يقول ان ربك يا محمد من بعد توبتهم له لغفور رحيم**

**وقال ابن عاشور : موقع هذه الايه من اللواتي قبلها كموقع قوله السابق ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا سوره النحل 110 فلما ذكرت احوال اهل الشرك وكان منها ما حرموه على انفسهم وكان المسلمون قد شاركوهم ايام الجاهليه في ذلك ووردت قوارع الذم لما صنعوا كان مما يتوهم علوقه باذهان المسلمين ان يحسبوا انهم سينالهم شيء من غمص لما اقترفوه في الجاهليه فطمان الله نفوسهم بانهم لما تابوا بالاقلاع عن ذلك بالاسلام واصلحوا عملهم بعد ان افسدوا فان الله قد غفر لهم مغفره عظيمه ورحمهم رحمه واسعه ووقع الاقبال بالخطاب على النبي ايماء الى ان تلك المغفره من بركات الدين الذي ارسل به وذكر اسم الرب مضافا الى ضمير النبي للنكته المتقدمه انفا في قوله ثم ان ربك للذين هاجروا والجهاله انتفاء العلم بما يجب والمراد جهالتهم بادله الاسلام و ثم للترتيب الرتبي لان الجمله المعطوفه ب ثم تضمنت حكم التوبه وان المغفره والرحمه من اثارها وذلك اهم عند المخاطبين مما سبق من وعيد اي الذين عملوا السوء جاهلين بما يدل على فساد ما علموه وذلك قبل ان يستجيبوا لدعوة الرسول فانهم في مدة تاخرهم عن الدخول في الاسلام موصوفون بانهم اهل جهاله وجاهليه او جاهلين بالعقاب المنتظر على معصيه الرسول وعنادهم اياه ويدخل في هذا الحكم من عمل حراما من المسلمين جاهلا بانه حرام وكان غير مقصر في جهله وقد تقدم عند قوله تعالى انما التوبه على الله للذين يعملون السوء بجهاله في سوره النساء 17 وقوله ان ربك من بعدها تاكيد لفظي لقوله ثم ان ربك لزيادة الاهتمام بالخبر على الاهتمام الحاصل بحرف التوكيد ولام الابتداء ويتصل خبر ان باسمها لبعد ما بينهما ووقع الخبر بوصف الله بصفه المبالغه في المغفره والرحمه وهو كناية عن غفرانه لهم ورحمته اياهم في ضمن وصف الله بهاتين الصفتين العظيمتين والباء في بجهاله للملابسه وهي في موضع الحال من ضمير عملوا وضمير من بعدها عائد الى الجهاله او الى التوبه (1)**

**#من يعمل السيئات ثم يتوب يغفر الله له**

**قال تعالى : { والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم(153)} الأعراف**

**قال طنطاوي : المعنى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعد فعلهم لها توبه صادقه نصوحا ورجعوا الى الله تعالى معتذرين نادمين مخلصين الايمان له فان الله تعالى من بعد الكبائر التي اقلعوا عنها لساتر عليهم اعمالهم السيئه وغير فاضحهم بها رحيم بهم** **وبكل من كان مثلهم من التائبين 0000000000000000000000000000000000000000000**  **(1)الأنترنت – موقع {ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهاله ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا }**

**وقال ابن كثير : نبه تعالى عباده وارشدهم الى انه يقبل توبة عباده من اي ذنب كان حتى ولو كان من كفر او شرك او نفاق او شقاق ; ولهذا عقب هذه القصه بقوله والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك اي يا محمد يا رسول الرحمه ونبي النور من بعدها اي من بعد تلك الفعله لغفور رحيم**

**وقال الطبرى : هذا خبر من الله تعالى ذكره انه قابل من كل تائب اليه من ذنب اتاه صغيرة كانت معصيته او كبيرة كفرا كانت او غير كفر كما قبل من عبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم يقول جل ثناوه :والذين عملوا الاعمال السيئه ثم رجعوا الى طلب رضى الله بانابتهم الى ما يحب مما يكره والى ما يرضى مما يسخط من بعد سيئ اعمالهم وصدقوا بان الله قابل توبة المذنبين وتائب على المنيبين باخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك " لغفور " لهم يقول لساتر اعمالهم السيئه عليهم وغير فاضحهم بها " رحيم " بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين (1)**

**# إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم**

**قال تعالى : { إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }(34) } المائدة**

**قال البغوى : فمن ذهب الى ان الايه نزلت في الكفار قال معناه الا الذين تابوا من شركهم واسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تبعه عليهم فيما اصابوا في حال الكفر من دم او مال واما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدره عليهم وهو قبل ان يظفر به الامام تسقط عنه كل عقوبه وجبت حقا لله ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فان كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبه قبل القدره عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي القتيل فان شاء عفا عنه وان شاء استوفاه وان كان قد اخذ المال يسقط عنه القطع وان كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القتل والصلب ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي رضي الله عنه وقال بعضهم اذا جاء تائبا قبل القدره عليه لا يكون لاحد عليه تبعه في دم ولا مال الا ان يوجد معه مال بعينه فيرده الى صاحبه وروي عن علي رضي الله عنه في حارثه بن يزيد كان خرج محاربا فسفك الدماء واخذ المال ثم جاء تائبا قبل ان يقدر عليه فلم يجعل علي رضي الله عنه عليه تبعه في دم ولا مال الا ان يوجد معه مال فيرد الى صاحبه اما من تاب بعد القدره عليه فلا يسقط عنه شيء منها وقيل كل عقوبه تجب حقا لله عز وجل من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقه وحد الزنا والشرب تسقط بالتوبه بكل حال والاكثرون على انها لا تسقط 000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت- موقع {والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم}**

**وقال القرطبى : قوله تعالى {الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم } استثنى جل وعز التائبين قبل ان يقدر عليهم واخبر بسقوط حقه عنهم بقوله {فاعلموا ان الله غفور رحيم } اما القصاص وحقوق الادميين فلا تسقط ومن تاب بعد القدره فظاهر الايه ان التوبه لا تنفع وتقام الحدود عليه كما تقدم وللشافعي قول انه يسقط كل حد بالتوبه والصحيح من مذهبه ان ما تعلق به حق الادمي قصاصا كان او غيره فانه لا يسقط بالتوبه قبل القدره عليه وقيل اراد بالاستثناء المشرك اذا تاب وامن قبل القدره عليه فانه تسقط عنه الحدود ; وهذا ضعيف ; لانه ان امن بعد القدره عليه لم يقتل ايضا بالاجماع وقيل انما لا يسقط الحد عن المحاربين بعد القدره عليهم والله اعلم لانهم متهمون بالكذب في توبتهم والتصنع فيها اذا نالتهم يد الامام او لانه لما قدر عليهم صاروا بمعرض ان ينكل بهم فلم تقبل توبتهم ; كالمتلبس بالعذاب من الامم قبلنا او من صار الى حال الغرغره فتاب ; فاما اذا تقدمت توبتهم القدره عليهم فلا تهمه وهي نافعه على ما ياتي بيانه في سوره " يونس " ; فاما الشراب والزناه والسراق اذا تابوا واصلحوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا الى الامام فلا ينبغي له ان يحدهم وان رفعوا اليه فقالوا تبنا لم يتركوا وهم في هذه الحال كالمحاربين اذا غلبوا والله اعلم**

**وقال ابن عاشور : والاستثناء بقوله { الا الذين تابوا }راجع الى الحكمين خزي الدنيا وعذاب الاخره بقرينه قوله {من قبل ان تقدروا عليهم } لان تاثير التوبة في النجاة من عذاب الاخرة لا يتقيد بما قبل القدرة عليهم وقد دلت اداة الاستثناء على سقوط العقوبة عن المحارب في هذه الحالة......**

**وعند جمهور العلماء فليس المستثنى مسكوتا عنه كما يقول الحنفيه ولولا الاستثناء لما دلت الايه على سقوط عقوبه المحارب المذكوره فلو قيل فان تابوا لم تدل الا على قبول التوبه منهم في اسقاط عقاب الاخره ومعنى {من قبل ان تقدروا عليهم }ما كان قبل ان يتحقق المحارب انه ماخوذ او يضيق عليه الحصار او يطارد في جميع البلاد ويضيق عليه فان اتى قبل ذلك كله طائعا نادما سقط عنه ما شرع الله له من العقوبه لانه قد دل على انتقال حاله من فساد الى صلاح فلم تبق حكمة في عقابه ولما لم تتعرض الايه الى غرم ما اتلفه بحرابته علم ان التوبه لا توثر في سقوط ما كان قد تعلق به من حقوق الناس من مال او دم لان ذلك معلوم بادلة اخرى وقوله {فاعلموا ان الله غفور رحيم }تذكير بعد تمام الكلام ودفع لعجب من يتعجب من سقوط العقاب عنهم فالفاء فصيحه عما دل عليه الاستثناء من سقوط العقوبه مع عظم الجرم والمعنى ان عظم عندكم سقوط العقوبه عمن تاب قبل ان يقدر عليه فاعلموا ان الله غفور رحيم وقد دل قوله {فاعلموا }على تنزيل المخاطبين منزلة من لا يعلم ذلك نظرا لاستعظامهم هذا العفو وقد رايت ان شان فعل (اعلم) ان يدل على اهميه الخبر (1)**

**00000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع { الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم }**

**# من يتوب من إيذاء رسول الله والمؤمنين يعافيه الله من مصير الظالمين**

**قال تعالى : { إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير(4) } التحريم**

**قال طنطاوي : ثم وجه سبحانه بعد ذلك خطابه الى حفصه وعائشه فامرهما بالتوبه عما صدر منهما فقال ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ولفظ صغت بمعنى مالت وانحرفت عن الواجب عليهما يقال صغا فلان يصغو ويصغى صغوا اذا مال نحو شىء معين ويقال صغت الشمس اذا مالت نحو الغروب ومنه قوله تعالى {ولتصغى اليه افئده الذين لا يومنون بالاخره }وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فلتوبتكما موجب او سبب فقد مالت قلوبكما عن الحق وانحرفت عما يجب عليكما نحو الرسول صلى الله عليه وسلم من كتمان لسره ومن حرص على راحته ومن احترام لكل تصرف من تصرفاته وجاء الخطاب لهما على سبيل الالتفات من الغيبه الى الخطاب مبالغه فى المعاتبه فان المبالغ فى ذلك يوجه الخطاب الى من يريد معاتبته مباشره وقال سبحانه فقد صغت قلوبكما بصيغه الجمع للقلوب ولم يقل قلبا كما بالتثنيه لكراهه اجتماع تثنيتين فيما هو كالكلمه الواحده مع ظهور المراد وامن اللبس ثم ساق سبحانه ما هو اشد فى التحذير والتاديب فقال {ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملائكه بعد ذلك ظهير }وقوله تظاهرا اصله تتظاهرا فحذفت احدى التاءين تخفيفا والمراد بالتظاهر التعاون والتازر يقال ظاهر فلان فلانا اذا اعانه على ما يريده واصله من** **الظهر ؛ لان من يعين غيره فكانه يشد ظهره ويقوى امره قال تعالى{الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم } وجواب الشرط ايضا محذوف اى وان تتعاونا عليه بما يزعجه ويغضبه من الافراط فى الغيره وافشاء سره فلا يعدم ناصرا ولا معينا بل سيجد الناصر الذى ينصره عليكما فان الله تعالى هو مولاه اى ناصره ومعينه وجبريل كذلك ناصره ومعينه عليكما وصالح المومنين اى وكذلك الصالحون من المومنين من انصاره واعوانه والملائكه بعد ذلك ظهير اى والملائكه بعد نصر الله تعالى له وبعد نصر جبريل وصالح المومنين له مويدونه ومناصرونه وواقفون فى صفه ضدكما وفى هذه الايه الكريمه اقوى الوان النصر والتاييد للرسول صلى الله عليه وسلم واسمى ما يتصوره الانسان من تكريم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن غيرته عز وجل عليه ومن دفاعه عنه صلى الله عليه وسلم وفيها تعريض بان من يحاول اغضاب الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لا يكون من صالح المومنين وقوله وجبريل مبتدا وقوله وصالح المومنين والملائكه معطوف عليه وقوله بعد ذلك متعلق بقوله ظهير الذى هو خبر عن الجميع وقد جاء بلفظ المفرد لان صيغه فعيل يستوى فيها الواحد وغيره فكانه تعالى قال الجمع بعد ذلك مظاهرون له واختير الافراد للاشعار بانهم جميعا كالشىء الواحد فى تاييده ونصرته وبانهم يد واحده على من يعاديه قال صاحب الكشاف فان قلت قوله بعد ذلك تعظيم للملائكه ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المومنين ونصرة الله تعالى اعظم واعظم قلت مظاهره الملائكه من جمله نصرة الله فكانه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم " وخص جبريل بالذكر مع انه من الملائكه للتنويه بمزيد فضله فهو امين الوحى والمبلغ عن الله تعالى الى رسله هذا ومما يدل على ان الخطاب فى قوله تعالى {ان تتوبا الى الله}لحفصه وعائشه ما اخرجه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس انه قال لم ازل حريصا على ان اسال عمر عن المراتين من ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى فيهما {ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما }فلما كان ببعض الطريق قلت يا امير المومنين من المراتان من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى فيهما { ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما } فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس هما حفصه وعائشه**

**وقال ابن كثير : عن ابن عباس قال الله تعالى "ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما" حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوه فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضا فقلت يا امير المومنين من المراتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى "ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما" فقال عمر واعجبا لك يا ابن عباس قال الزهري كره والله ما ساله عنه ولم يكتمه قال هي عائشه وحفصه**

**وقال الطبرى : يقول تعالى ذكره : ان تتوبا الى الله ايتها المراتان فقد مالت قلوبكما الى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجتنابه جاريته وتحريمها على نفسه او تحريم ما كان له حلالا مما حرمه على نفسه بسبب حفصه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التاويل (1)**

**# من لم يتب من السخرية واللمز والتنابز والفسوق فأولئك الذين ظلموا أنفسهم**

**قال تعالى : { ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون(11) } الحجرات**

**ورد في التفسير الميسر : يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشريعته لا يهزأ قوم مؤمنون من قوم مؤمنين؛ عسى أن يكون المهزوء به منهم خيرًا من الهازئين، ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات؛** **عسى أن يكون المهزوء به منهنَّ خيرًا من الهازئات، ولا يَعِبْ بعضكم بعضًا، ولا يَدْعُ بعضكم بعضًا بما يكره من الألقاب، بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه، ومن لم يتب من هذه السخرية واللمز والتنابز والفسوق فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب هذه المناهي(2). (00000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع { ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما}**

**(2)الأنترنت – موقع { ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون}**

**وقال السعدي : وهذا أيضا، من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن لا يسخر قوم من قوم بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "بحسب امرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم"**

**ثم قال: ولا تلمزوا أنفسكم أي: لا يعب بعضكم على بعض، واللمز: بالقول، والهمز: بالفعل، وكلاهما منهي عنه حرام، متوعد عليه بالنار.**

**كما قال تعالى: ويل لكل همزة لمزة الآية، وسمي الأخ المسلم نفسا لأخيه، لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهمزه، فيكون هو المتسبب لذلك.**

**ولا تنابزوا بالألقاب أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنابز، وأما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا.**

**بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي: بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه، بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنابز بالألقاب.**

**ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فهذا هو الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله، والاستغفار، والمدح له مقابلة على ذمه.**

**ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح، ولا ثم قسم ثالث غيرهما.(1)**

**#التوبة عن إبداء الزينة لغير المحارم**

**{ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم 0000000000000000000000000000000000000000000**

1. **الأنترنت – موقع المكتبة الإسلامية – تفسير السعدي**

**يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (31) } النور**

**قال ابن تيمية : فى قوله فى آخر الآية‏:‏ ‏{‏‏وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}‏‏ ‏[‏النور‏:‏ 31‏]‏، فوائد جليلة، منها‏:‏ أن أمره لجميع المؤمنين بالتوبة فى هذا السياق تنبيه على أنه لا يخلو مؤمن من بعض هذه الذنوب التى هى ترك غض البصر وحفظ الفرج، وترك إبداء الزينة وما يتبع ذلك، فمستقل ومستكثر، كما فى الحديث "ما من أحد من بنى آدم إلا أخطأ أو هَمَّ بخطيئة إلا يحيى بن زكريا‏"‏‏‏.‏**

**وذلك لا يكون إلا عن نظر، وفى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قـال "كل بنى آدم خطـاء، وخير الخطـائين التوابـون‏"‏‏، وفى الصحيـح عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم"يقول الله تعالى‏:‏ يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا ولا أبالى، فاستغفرونى أغفر لكم‏"‏‏‏.**

**‏‏ وفى الصحيحين عن ابن عباس قال‏:‏ ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة‏:‏ إن النبى صلى الله عليه وسلم قال "إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق‏"‏‏ الحديث إلى آخره‏.**

**‏‏ وفيه "والنفس تتمنى ذلك وتشتهى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه‏"‏‏ أخرجه البخارى تعليقًا من حديث طاووس عن أبى هريرة‏.‏**

**ورواه مسلم من حديث سهيل بن أبى صالح، عن أبيه عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لا محالة‏:‏ العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدان زناهما البطش، والرجلان زناهما الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه‏"‏‏، وقد روى الترمذى حديثًا واستغربه عن ابن عباس فى قوله‏:‏ {‏‏إِلَّا اللَّمَمَ}‏‏ ‏[‏النجم‏:‏ 32‏]‏، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن تغفر اللهم تغفر جمًا، وأى عبد لك لا ألما‏"‏‏‏.**

**‏‏ ومنها‏:‏ أن أهل الفواحش الذين لم يغضوا أبصارهم ولم يحفظوا فروجهم مأمورون بالتوبة، وإنما أمروا بها لتقبل منهم، فالتوبة مقبولة منهم ومن سائر المذنبين، كما قال تعالى‏:‏ ‏{‏‏يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ‏} ‏[‏التوبة‏:‏ 104‏]‏، وقال تعالى‏:‏ ‏{‏‏وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} ‏[‏الشورى‏:‏ 25‏]‏، وسواء كانت الفواحش مغلظة لشدتها وكثرتها كإتيان ذوات المحارم، وعمل قوم لوط أو غير ذلك وسواء تاب الفاعل أو المفعول به فمن تاب تاب الله عليه، بخلاف ما عليه طائفة من الناس فإنهم إذا رأوا من عمل من هذه الفواحش شيئًا أيسوه من رحمة الله، حتى يقول أحدهم‏:‏ من عمل من ذلك شيئًا لا يفلح أبدًا، ولا يرجون له قبول توبة، ويروى عن على أنه قال‏:‏ منا كذا ومنا كذا، والمعفوج ‏[‏المعفوج‏:‏ مأخوذ من العَفْج، وهو أن يفعل الرجل بالغلام فعل قوم لوط، وربما يكنى به عن الجماع‏]‏ ليس منا، ويقولون‏:‏ إن هذا لا يعود صالحًا ولو تاب، مع كونه مسلمًا مقرًا بتحريم ما فعل‏.‏**

**ويدخلون فى ذلك من استكره على فعل شىء من هذه الفواحش، ويقولون‏:‏ لو كان لهذا عند الله خير ما سلط عليه من فعل به مثل هذا واستكرهه، كما يفعل بكثير من المماليك طوعًا وكرهًا، وكما يفعل بأجراء أهل الصناعات طوعًا وكرهًا، وكذلك من فى معناهم من صبيان الكتاتيب وغيرهم، ونسوا قوله تعالى‏:‏ ‏{‏‏وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ‏} ‏[‏النور‏:‏ 33‏]‏، وهؤلاء قد لا يعلمون صورة التوبة، وقد يكون هذا حالا وعملا لأحدهم، وقد يكون اعتقادًا، فهذا من أعظم الضلال والغى، فإن القنوط من رحمة الله بمنزلة الأمن من مكر الله تعالى وحالهم مقابل لحال مستحلى الفواحش، فإن هذا أمن مكر الله بأهلها، وذاك قنط أهلها من رحمة الله، والفقيه كل الفقيه هو الذى لا يؤيس الناس من رحمة الله، ولا يجرئهم على معاصى الله‏.‏**

**وهذا فى أصل الذنوب الإرادية نظير ما عليه أهل الأهواء والبدع فإن أحدهم يعتقد تلك السيئات حسنات فيأمن مكر الله، وكثير من الناس يعتقد أن توبة المبتدع لا تقبل، وقد قال تعالى‏:‏ ‏{‏‏إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ‏} ‏[‏الزمر‏:‏ 53‏]‏، وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى قال‏:‏ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه أسماء، فقال "أنا محمد، وأنا أحمد، والمُقَفِّى، والحاشر، ونبى التوبة، ونبى الرحمة‏"‏‏، وفى حديث آخر "أنا نبى الرحمة وأنا نبى الملحمة"‏‏‏.**

**‏‏ وذلك أنه بعث بالملحمة، وهى‏:‏ المقتلة لمن عصاه، وبالتوبة لمن أطاعه، وبالرحمة لمن صدقه واتبعه، وهو رحمة للعالمين، وكان من قبله من الأنبياء لا يؤمر بقتال‏.‏**

**وكان الواحد من أممهم إذا أصاب بعض الذنوب يحتاج مع التوبة إلى عقوبات شديدة، كما قال تعالى‏:‏ ‏{‏‏وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ‏} ‏[‏البقرة‏:‏ 54‏]‏، وقد روى عن أبى العالية وغيره‏:‏ أن أحدهم كان إذا أصاب ذنبًا أصبحت الخطيئة والكفارة مكتوبة على بابه، فأنزل الله فى حق هذه الأمة‏:‏ ‏{‏‏وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ}‏‏ إلى قوله‏:‏ ‏{‏‏وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}‏‏ ‏[‏آل عمران‏:‏ 135- 136‏]‏، فخص الفاحشة بالذكر مع قوله‏:‏ ‏{‏‏ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ}‏‏، والظلم يتناول الفاحشة وغيرها تحقيقًا لما ذكرناه من قبول التوبة من الفواحش مطلقًا‏:‏ من اللذين يأتيانها من الرجال والنساء جميعًا‏.‏**

**وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم قال "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها‏"‏‏،وفى الصحيح عنه أنه قال‏ ‏‏‏"من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه"‏، وفى السنن عنه أيضًا أنه قال "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها‏"‏‏، وعنه صلى الله عليه وسلم قال "قال الشيطان‏:‏ وعزتك يارب لا أبرح أغوى بنى آدم ما دامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الرب تعالى ‏:‏ وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى‏"‏‏، وعن أبى ذر قال‏:‏ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"يقول الله‏:‏يابن آدم، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى، ابن آدم، لو لقيتنى بقراب الأرض خطيئة ثم لقيتنى لا تشرك بى شئًا لأتيتك بقرابها مغفرة‏"‏‏‏.‏**

**والذى يمنع توبة أحد هؤلاء إما بحاله وإما بقاله، ولا يخلو من أحد أمرين‏:‏ أن يقول‏:‏ إذا تاب أحدهم لم تقبل توبته، وإما أن يقول أحدهم‏:‏ لا يتوب الله على أبدًا، أما الأول فباطل بكتاب الله وسنة نبيه وإجماع المسلمين، وإن كان قد تكلم بعض العلماء فى توبة القاتــل وتوبــة الداعى إلى البـدع، وفى ذلك نـزاع فى مذهب أحمد، وفى مذهـب مالك أيضًا نزاع ذكره صاحب التمثيل والبيان فى ‏(‏الجامع‏)‏ وغيره، وتكلموا أيضًا فى توبة الزنديق، ونحو ذلك‏.‏**

**فهم قد يتنازعون فى كون التوبة فى الظاهر تدفع العقوبة‏:‏ إما لعدم العلم بصحتها، وإما لكونها لا تمنع ما وجب من الحد، ولم يقل أحد من الفقهاء‏:‏ إن الزنديق ونحوه إذا تاب فيما بينه وبين الله توبة صحيحة لم يتقبلها الله منه، وأما القاتل والمضل فذاك لأجل تعلق حق الغير به، والتوبة من حقوق العباد لها حال آخر، وليس هذا موضع الكلام فيها وفى تفصيلها، وإنما الغرض أن الله يقبل التوبة من كل ذنب، كما دل عليه الكتاب والسنة‏.‏**

**والفواحش خصوصًا ما علمت أحدًا نازع فى التوبة منها، والزانى والمزنى به مشتركان فى ذلك إن تابا تاب الله عليهما، ويبين التوبة خصوصًا من عمل قوم لوط من الجانبين ما ذكره الله فى قصة قوم لوط، فإنهم كانوا يفعلون الفاحشة بعضهم ببعض، ومع هذا فقد دعاهم جميعهم إلى تقوى الله والتوبة منها، فلو كانت توبة المفعول به أو غيره لا تقبل لم يأمرهم بما لا يقبل، قال تعالى‏:‏ ‏{‏‏كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}‏ ‏[‏الشعراء‏:‏160- 163‏]‏، فأمرهم بتقوى الله المتضمنة لتوبتهم من هذه الفاحشة، والخطاب وإن كان للفاعل فإنه إنما خص به، لأنه صاحب الشهوة والطلب فى العادة، بخلاف المفعول به، فإنه لم تخلق فيه شهوة لذلك فى الأصل، وإن كانت قد تعرض لـه لمـرض طارئ، أو أجـر يأخـذه من الفاعل، أو لغرض آخر‏.‏(1)**

**ويقول ابن القيم : يقول الحق بمحكم التنزيل : “وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون” وفي آية أخرى يقول “ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون” ويقول الرسول الكريم : “يا أيها الناس ، توبوا إلى الله، فو الله إني لأتوب إليه 0000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع طريق الإسلام الجديدة - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - الجزء الخامس عشر.**

**في اليوم أكثر من سبعين مرة” وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم “رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة”**

**والتوبة هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم. والهداية التامة لا تكون مع الجهل بالذنوب ولا مع الإصرار عليها .(1)**

**#أسباب التوبة :**

**ومن أسباب التوبة : الاعتصام بالله، لقوله “ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم” ، وقد أجمع العارفون بالله على أن الخذلان أن يكلك الله إلى نفسك ويخلي بينك وبينها . ومن شروطها الندم والإقلاع والاعتذار. وكذلك من الأسباب ذكر الله فمن نسى الله فسوف ينسيه نفسه.**

**ومع هذا فلم يؤيس الله العاصي من رحمته، بل قال : متى جئتني قبلتك. وإن تقربت مني شبرا تقربت منك ذراعا، وإن تقربت مني ذراعا تقربت منك باعا . وإن مشيت إلي هرولت إليك. ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، أتيتك بقرابها مغفرة، ولو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك . ومن أعظم مني جودا وكرما ؟ . عبادي يبارزونني بالعظائم، وأنا أكلؤهم على فرشهم، إني والجن والإنس في نبأ عظيم : أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي. خيري إلى العباد نازل. وشرهم إلى صاعد. أتحبب إليهم بنعمي . وأنا الغني عنهم . ويتبغضون إلي بالمعاصي. وهم أفقر شيء إلي . “إلى آخر الحديث القدسي.**

**ومع تواتر إحسان الله إليك على مدى الأنفاس، فأنت توالى من عادى الله إبليس ، وقد أمرك الله بشكره لا لحاجته إليك ولكن لتسأل به المزيد من فضله،**

**وتعظيم الجناية من أسباب حسن التوبة، لأنه من استهان بجنايته لم يندم عليها . وكذا تسيير القلب والجوارح لله**

**ومن عقوبة الذنب أنه يوجب ذنبا أكبر منه حتى يستحكم الهلاك، فالإصرار على المعصية معصية أخرى . وأشد من ذلك المجاهرة بالذنب مع تيقن نظر الرب جل جلاله من فوق عرشه إليه ، وهو ما يجعل العبد دائر بين قلة الحياء والانسلاخ من الدين.**

**ويؤكد ابن القيم أن أسلاف المسلمين تميزوا بعمق علومهم وقلة تكلفهم وكمال بصائرهم على عكس المتأخرين .** **0000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأمنرمن – موقع شبكة الإعلام العربية - مدارج السالكين**

**وفي الحديث أن “من أعرض عني ناديته من قريب . ومن ترك ﻷجلي أعطيته فوق المزيد . ومن أراد رضاي أردت ما يريد. ومن تصرف بحولي وقوتي ألنت له الحديد” ثم يقول عن عباده “أنا طبيبهم. أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب” ويقول صلى الله عليه وسلم “لله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض مهلكة دوية عليها طعامه وشرابه . فطلبها حتى إذا أيس من حصولها . نام في أصل شجرة ينتظر الموت. فاستيقظ فإذا هي على رأسه . قد تعلق خطامها بالشجرة . فالله أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته “ .**

**ومن أسباب التوبة والأوبة والرجوع إلى الله**

**أولا: من أسباب التوبة الإكثار من ذكر الموت**

**لقد أكثر الله من ذكر الموت في القرآن , والسر في ذلك أن الإكثار من ذكر الموت من أسباب التوبة والأوبة إلى الله تعالى…**

**قال الله تعالى: \*\*كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)}[آل عمران]**

**ولقد حثنا النبي ( صلى الله عليه وسلم ) على الإكثار من تذكر الموت …**

**أخرج الترمذي في سننهعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اَللَّذَّاتِ: اَلْمَوْتِ.))**

**بل ندب إلينا رسولنا ( صلى الله عليه وسلم ) أن نزور القبور , والسر في زيارتها أنه يذكرنا بالموت الذي يعد سبب من أسباب التوبة والأوبة والرجعة إلى الله تعالى.**

**أخرج الحاكم عن أنس ( رضي الله عنه ) أن الرسول ( صلى الله عليه وسلم )قال:**

**((كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب و تدمع العين و تذكر الآخرة.))**

**ثانيا: من أسباب التوبة المصائب المحن التي يبتلي الله بها الإنسان**

**إن الإنسان وقت البلاء يكون أقرب إلى الله ( سبحانه وتعالى ) ويكون أكثر تهيئا للتوبة والرجعة إليه …**

**قال الله تعالى: \*\*وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)}[البقرة]**

**إن العزيز الحكيم إنما يذيقنا العذابات لا حبا في العقوبة , ولكن لحكمة غالية ألا وهي: أن تكون هذه العقوبات والبلاءات سببا في توبتنا ورجعتنا إلى الله اعلي الحكيم …**

**قال الله تعالى: \*\* وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)}[السجدة]**

**بل إن الله قد ينزل العقوبة بفئة معينة من عباده ليعتبر الباقون , وليتعظ الباقون , وليرجع الباقون إلى الله العلي الحليم…**

**قال الله تعالى: \*\*وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(27)}[الأحقاف]**

**أنواع البلاءات التي يتعرض لها الإنسان بهدف التوبة إلى الله**

**ويتعرض الإنسان إلى نوعين من البلاءات التي يقصد منها التوبة والرجعة إلى الله هما كالتالي:**

**1ـ يبتليه الله بما هو مكروه عنده.**

**2ـ يبتليه الله بما هو محبوب عنده.**

**قال الله تعالى: {… وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168)}[الأعراف]**

**ومن أوضح الأمثلة على البلاءات في الخير وفيما يحبه الإنسان ما جاء في قصة الأقرع والأبرص والأعمى…**

**أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:**

**(( إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى , بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ , فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا , فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ , قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ , قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ , فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا , فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ , إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا: الْإِبِلُ وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ , فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ , فَقَالَ: يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا , وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ , قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ , وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا , قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ قَالَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْغَنَمُ فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ.))**

**ثالثا: من أسباب التوبة تأمل قصص التائبين والصالحين**

**لقد أكثر الله من ذكر القصص في القرآن الكريم , فهل فكر أحدنا عن السر من وراء ذلك؟**

**إن السر في ذلك هو أن القصص من أعظم أسباب التوبة , وكم تاب رجال وكان السبب في ذلك قصة سمعوها من هنا أو من هناك…**

**قال الله تعالى: \*\* لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)}[يوسف]**

**رابعا: من أسباب التوبة التأمل في مخلوقات الله**

**كم من عالم كافر أسلم وقاده في ذلك التأمل في مخلوقات الله , والتفكر في آلائه , نعم … أن مما لا شك فيه أن التأمل والتدبر في المخلوقات من أسباب التوبة …**

**قال الله تعالى: \*\* سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53)}[فصلت]**

**وقال أيضا: \*\*إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192)}[آل عمران]**

**وقديما قال أحد الأعراب: << أثر البعر يدل على البعير , وأثر السير يدل على المسير , سماء ذات أبراج , وأرض ذات فجاج , ألا يدل ذلك على العليم الخبير.>>**

**خامسا: من أسباب التوبة الدعاء**

**إن من أسباب التوبة الفعالة الدعاء , وذلك يكون بأن يدعو الإنسان ربه أن يتوب عليه , وأن يهديه الصراط المستقيم , فالتوبة والهداية ليست بيد أحد سوى الله …**

**قال الله تعالى: {… ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)}[التوبة]**

**وقال أيضا: \*\* إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)}[القصص]**

**ويكون الدعاء أيضا من أسباب التوبة يوم يدعو الصالحون للعصاة بالتوبة والرجعة إلى الله , وهكذا كان هدي النبي محمد ( صلى الله عليه وسلم ) …**

**أخرج البخاري في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: ((قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيُّ، وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: يَا رسُولَ اللهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ، وَأَبَتْ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ قَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ.))**

**أخرج أحمدعنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ ، أَنّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حَاصَرَ الطَّائِفَ قَالَ : فَجَاءَهُ أَصْحَابُهُ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَحْرَقَتْنَا نِبَالُ ثَقِيفٍ ، فَادْعُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : ((اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا ، اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا.))**

**أخرج أحمد في مسنده عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (( اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللَّهِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ.))**

**ويكفينا في هذا المقام أن نورد قوله تعالى عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ): \*\* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107)}[الأنبياء]**

**وإن من واجبنا جميعا أن نفكر في الكيفية التي ندخل بها الناس في الإسلام , لا في الكيفية التي نخرجهم بها من الإسلام , اللهم اهدنا , واهد بنا , واجعلنا سببا لمن اهتدى.**

**سادسا: من أسباب التوبة الرفق واللين والرحمة في دعوة الناس**

**وفي ذلك يقول الله تعالى: \*\* ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)}[النحل]**

**ويقول أيضا: \*\* فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)}[آل عمران]**

**وأخرج مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّهَا كَانَتْ عَلَى جَمَلٍ فَجَعَلَتْ تَضْرِبُهُ فَقَالَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- : « يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ ».**

**لقد فعل أهل مكة بالرسول الأفاعيل , ولما دخل مكة فاتحا لها قال لهم: ((ما تظنون أني فاعل بكم , قالوا خيرا , أخ كريم , وابن أخ كريم , قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء.)) فهل تعلمون ماذا ترتب على فعل النبي ( صلى الله عليه وسلم ) آنف الذكر؟ لقد أسلم أهل مكة لله رب العالمين , وحسن إسلامهم , ولم يرتدوا مع من ارتد من العرب بعد وفاة النبي ( صلى الله عليه وسلم) …**

**قال الله تعالى: \*\* إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3)}[النصر]**

**سابعا: من أسباب التوبة الحرص على ذلك من قبل المسلمين أجمعين**

**لا بد أن يحرص كل واحد منا على رجوع الناس إلى ربهم , وتوبتهم من معاصيهم , فنحن أمة دعوة ورسالة وقضية عالمية…**

**قال الله تعالى: \*\* كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110)}[آل عمران]**

**وهكذا كان نبينا ( صلى الله عليه وسلم ) حريصا على توبة الناس ورجوعهم إلى الله , بل إنه كاد يقتل نفسه , وكادت تخرج روحه , كمدا وحزنا على الناس ألا يتوبوا ويؤبوا ويرجعوا إلى الله رب العالمين …**

**قال الله تعالى: \*\* طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3)}[الشعراء]**

**بل إن النبي كان يعلم أصحابه ضرورة الحرص على توبة الناس وهدايتهم وإرشادهم إلى منهج الله العلي الحكيم …**

**أخرج البخاريفي صحيحه من حديث سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ : «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ ». فَبَاتَ النَّاسُ يَذْكُرُونَ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :« أَيْنَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ؟ ». قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ يَشْتَكِى عَيْنَهُ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَبَصَقَ فِى عَيْنِهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى لَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَىْءٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا قَالَ :« عَلَى رِسْلِكَ انْفُذْ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِىَ اللَّهُ بِكَ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».**

**ثامنا: من أسباب التوبة اتخاذ رفقة صالحة**

**قال الله تعالى: \*\* الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67)}[الزخرف]**

**وأخرج أبو داوودعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».**

**وأخرج البخاري عَنْ أَبِى مُوسَى عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ جَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ حَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدُ رِيحًا خَبِيثَةً».**

**والعرب تقول: << قل لي من صاحبك , أقل لك من أنت>>**

**إن الصديق الصالح من أسباب التوبة لأنه يذكرك بالله إذا نسيت , وينبهك إلى الطاعة إذا غفلت , ويسوقك إلى رضى الله إذا قصرت , ويؤنبك على المعصية إذا فعلت , وينافسك في الخيرات كلها فيزيد جدك جدا واجتهادك اجتهادا …**

**قال الله تعالى: {… وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)}[المطففين]**

**[تاسعا: من أسباب التوبة سماع آيات القرآن الكريم]**

**كثيرون هم الذين تابوا تأثرا بآيات القرآن الكريم , فالقرآن كما وصفه الوليد وهو رجل مشرك:**

**<< إن له لطلاوة , وإن عليه لحلاوة , وإن أعلاه لمثمر , وإن أسفله لمغدق , وإنه ليعلو , ولا يعلى عليه.>>**

**أبلغ من هذا ما وصفه به الله فقال: \*\* أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (22) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (23)}[الزمر]**

**وقال: \*\* أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (16)}[الحديد]**

**وقصة توبة مالك بن دينار رحمه الله بعد أن رأى ابنته في المنام تتلو هذه الآية مشهورة معروفة , فمن الأهداف التي نزل القرآن من اجلها تذكير الناسي وتنبيه العاصي بضرورة التوبة واللرجعة إلى الله ( سبحانه وتعالى ) …**

**قال الله تعالى: \*\* نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ (45)}[ق]**

**#من هم قساة القلوب؟**

**هم الذين يتعرضون لعشرات الأسباب التي تدفع للتوبة , ثم هم لا يتوبون , ولا هم يذكرون**

**قال الله تعالى: \*\* سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (146)}[الأعراف]**

**وقال أيضا: \*\* وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (48)}[الزخرف]**

**وقال أيضا: \*\* فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)}[الأنعام] (1)**

**# مفتاح التوبة :**

**هذه سبل وطرق معينة على الاستمرار في التوبة، بل هي مفتاح التوبة، منها :**

**1 – الإخلاص لله \_تبارك وتعالى\_:**

**فهو أنفع الأدوية، فمتى أخلصتَ لله \_جل وعلا\_، وصدَقْتَ في توبتك \_أعانك الله عليها، ويسّرها لك\_ وصَرف عنك الآفات التي تعترض طريقك، وتصدّك عن التوبة، من السوء والفحشاء، قال \_تعالى\_ في حق يوسف \_عليه السلام\_: "كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ" (يوسف: من الآية24).**

**قال ابن القيم: "فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالاً، وأشرحهم صدراً، وأسرهم قلباً، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة"ا.هـ (2).**

**فليكن مقصدك صحيحاً، وتوبتك صالحة نصوحاً.**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت – موقع عودة ودعوة - جليبيب المقدسي(2) الجواب الكافي، لابن القيم ص465.**

**2 – امتلاء القلب من محبة الله \_تبارك وتعالى\_:**

**إذ هي أعظم محركات القلوب، فالقلب إذا خلا من محبة الله \_جل وعلا\_ تناوشته الأخطار، وتسلّطت عليه الشرور، فذهبت به كل مذهب، ومتى امتلأ القلب من محبة الله \_جل وعلا\_ بسبب العلوم النافعة والأعمال الصالحة –كَمُل أنْسُه، وطاب نعيمه، وسلم من الشهوات، وهان عليه فعل الطاعات.**

**فاملأ قلبك من محبة الله \_تبارك وتعالى\_، وبها يحيا قلبك.**

**3 – المجاهدة لنفسك:**

**فمجاهدتك إياها عظيمة النفع، كثيرة الجدوى، معينة على الإقصار عن الشر، دافعة إلى المبادرة إلى الخير، قال \_تعالى\_: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" (العنكبوت:69).**

**فإذا كابدت نفسك وألزمتها الطاعة، ومنعتها عن المعصية، فلتُبشر بالخير، وسوف تُقبل عليك الخيرات، وتنهال عليك البركات، كل ما كان كريهاً عندك بالأمس صار عندك اليوم محبوباً، وكل ما كان بالأمس ثقيلاً، صار اليوم خفيفاً، واعلم أن مجاهدتك لنفسك، ليست مرة ولا مرتين، بل هي حتى الممات.**

**4 – قِصَر الأمل وتذكّر الآخرة:**

**فإذا تذكّرت قِصَر الدنيا، وسرعة زوالها، وأدركتَ أنها مزرعة للآخرة، وفرصة لكسب الأعمال الصالحة، وتذكّرت الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والنار وما فيها من العذاب الأليم، ابتعدتَ عن الاسترسال في الشهوات، وانبعثت إلى التوبة النصوح ورصّعتها بالأعمال الصالحات.**

**5 – العلم:**

**إذ العلم نور يُستضاء به، بل يشغل صاحبه بكل خير، ويشغله عن كل شر، والناس في هذا مراتب، وكل بحسبه وما يناسبه، فاحرص على تعلم ما ينفعك ومن العلم أن تعلم وجوب التوبة، وما ورد في فضلها، وشيئاً من أحكامها، ومن العلم أن تعلم عاقبة المعاصي وقبحها، ورذالتها، ودناءتها.**

**6 – الاشتغال بما ينفع وتجنّب الوحدة والفراغ:**

**فالفراغ عند الإنسان السبب المباشر للانحراف، فإذا اشتغلتَ بما ينفعك في دينك ودنياك، قلَّتْ بطالتك، ولم تجد فرصة للفساد والإفساد، ونفسك أيها الإنسان إن لم تشغلها بما ينفعها شغلتك بما يضرك.**

**7 – البعد عن المثيرات، وما يذكّر بالمعصية:**

**فكل ما من شأنه يثير فيك دواعي المعصية ونوازع الشر، ويحرّك فيك الغريزة لمزاولة الحرام، قولاً وعملاً، سواء سماعاً أو مشاهدة أو قراءة، ابتعد عنه، واقطع صلتك به، كالأشخاص بعامة، والأصدقاء بخاصة، وهكذا النساء الأجانب عنك، وهكذا الأماكن التي يكثر ارتيادها وتُضعف إيمانك، كالنوادي والاستراحات والمطاعم، وهكذا الابتعاد عن مجالس اللغو واللغط ، والابتعاد عن الفتن، وضبط النفس فيها، ومنه إخراج كل معصية تُبتَ منها، وعدم إبقائها معك، في منزلك أو عملك.**

**8 – مصاحبة الأخيار:**

**فإذا صاحبت خيّراً حيا قلبك، وانشرح صدرك، واستنار فكرك، وبصّرك بعيوبك، وأعانك على الطاعة، ودلّك على أهل الخير.**

**وجليس الخير يذكرك بالله، ويحفظك في حضرتك ومغيبك، ويحافظ على سمعتك، واعلم أن مجالس الخير تغشاها الرحمة وتحفّها الملائكة، وتتنزّل عليها السكينة، فاحرص على رفقة الطيبين المستقيمين، ولا تعد عيناك عنهم، فإنهم أمناء.**

**9 – مجانبة الأشرار:**

**فاحذر رفيق السوء، فإنه يُفسد عليك دينك، ويخفي عنك عيوبك، يُحسّن لك القبيح، ويُقبّح لك الحسن، يجرّك إلى الرذيلة، ويباعدك من كل فضيلة، حتى يُجرّئك على فعل الموبقات والآثام، والصاحب ساحب، فقد يقودك إلى الفضيحة والخزي والعار، وليست الخطورة فقط في إيقاعك في التدخين أو الخمر أو المخدرات، بل الخطورة كل الخطورة في الأفكار المنحرفة والعقائد الضالة، فهذه أخطر وأشد من طغيان الشهوة؛ لأن زائغ العقيدة قد يستهين بشعائر الإسلام، ومحاسن الآداب، فهو لا يتورع عن المناكر، ولا يُؤتمن على المصالح، بل يُلبس الحق بالباطل، فهو ليس عضواً أشل، بل عضو مسموم يسري فساده كالهشيم في النار.**

**10 – النظر في العواقب:**

**فعندما تفكر في مقارفة سيئة، تأمّل عاقبة أمرك، واخشَ من سوء العاقبة فكما أنك تتلذذ بمقارفة المنكر ساعة، ليكن في خَلَدك أنك سوف تتجرّع مرارات الأسى، ساعات وساعات، فجريمة الزنا، فضيحة وحَدّ، والحدّ إما تغريب أو قتل، وجريمة السرقة، عقوبة وقطع، وجريمة المسكر ويلات وجلد، وجريمة الإفساد، صلب أو قطع أو قتل، هذا في الدنيا، أما الآخرة فالله تعالى بالمرصاد، ولن يخلف الميعاد.**

**11 – هجر العوائد:**

**فينبغي لك أيها الصادق، ترك ما اعتدته من السكون إلى الدعة والراحة؛ لأنك إن أردت أن تصل إلى مطلوبك، فتحوّل عنها؛ لأنها من أعظم الحُجُب والمواقع التي تقف أمام العبد في مواصلة سيره إلى ربه، وتعظم تلك العوائد حينما تُجعل بمنزلة الشرع أو الرسوم التي لا تُخالف. وكذلك يصنع أقوياء العزيمة، وأبطال التوبة، فكن منهم.**

**12 – هجر العلائق:**

**فكل شيء تعلّق به قلبك دون الله ورسوله من ملاذ الدنيا وشهواتها ورياساتها ومصاحبة الناس والتعلق بهم، والركون إليهم، وذلك على حساب دينك، اهجره واتركه، واستبدله بغير ذلك، وقوِّ علاقتك بربِّك، واجعله محبوبك، حتى يضعف تعلّق قلبك بغير الله \_تعالى\_.**

**13 – إصلاح الخواطر والأفكار:**

**إذ هي تجول وتصول في نفس الإنسان وتنازعه، فإن هي صلحت صلح قلبك، وإن هي فسدت فسد قلبك.**

**واعلم أن أنفع الدواء لك أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيم لا يعني باب كل شر، ومن فكّر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة لدينه.**

**وإياك أن تمكِّن الشيطان من بيت أفكارك وخواطرك، فإن فعلتَ فإنه يُفسدها عليك فساداً يصعب تدراكه، فافهم ذلك جيداً.**

**14 – استحضار فوائد ترك المعاصي:**

**فكلما همّت نفسك باقتراف منكر أو مزاولة شر، تذكّر أنك إن أعرضتَ عنها واجتهدت في اجتنابها، ولم تقرب أسبابها، فسوف تنال قوة القلب، وراحة البدن، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، وقلة الهم والغم والحزن، وصلاح المعاش، ومحبة الخلق، وحفظ الجاه، وصون العرض، وبقاء المروءة، والمخرج من كل شيء مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليك من حيث لا تحتسب، وتيسير ما عَسُر على أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليك، وتيسير العلم، فضلاً أن تسمع الثناء الحسن من الناس، وكثرة الدعاء لك، والحلاوة التي يكتسبها وجهك، والمهابة التي تُلقى لك في قلوب الناس، وسرعة إجابة دعائك، وزوال الوحشة التي بينك وبين الله، وقرب الملائكة منك، وبُعد شياطين الإنس والجن منك، هذا في الدنيا، أما الآخرة فإذا مِتَّ تلقتك الملائكة بالبشرى من ربك بالجنة، وأنه لا خوف عليك ولا حزن، تنتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة، تنعم فيها إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وكان الناس في الحر والعَرَق، كنتَ في ظل العرش، فإذا انصرفوا من بين يدي الله \_تبارك وتعالى\_، أخذ الله بك ذات اليمين مع أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين و"ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (الجمعة:4).**

**إنك إن استحضرت ذلك كله، فأيقن بالخلاص من الولوغ في مستنقع الرذيلة.**

**15 – استحضار أضرار الذنوب والمعاصي:**

**فكلما أردتَ مزاولة الحرام، ذكِّر نفسك أنك إن فعلت شيئاً من ذلك فسوف تُحرم من العلم والرزق، وسوف تَلقى وحشة في قلبك بينك وبين ربك، وبينك وبين الناس، وأن المعصية تلو المعصية تجلب لك تعسير الأمور، وسواد الوجه، ووهن البدن، وحرمان الطاعة، وتقصير العمر، ومحق بركته، وأنها سبب رئيس لظلمة القلب، وضيقه، وحزنه، وألمه، وانحصاره، وشدة قلقه، واضطرابه، وتمزّق شمله، وضعفه عن مقاومة عدوه، وتعرِّيه من زينته.**

**استحضر أنّ المعصية تورث الذل، وتفسد العقل، وتقوي إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة، وتزرع أمثالها، وتدخلك تحت اللعنة، وتحرمك من دعوة الرسول \_صلى الله عليه وسلم\_ ودعوة المؤمنين، ودعوة الملائكة، بل هي سبب لهوانك على الله، وتُضعف سيرك إلى الله والدار الآخرة، واعلم أن المعصية تطفئ نار الغيرة من قلبك، وتذهب بالحياء، وتضعف في قلبك تعظيم ربك، وتستدعي نسيان الله لك، وأن شؤم المعصية لا يقتصر عليك، بل يعود على غيرك من الناس والدواب.**

**استحضر أنك إن كنت مصاحباً للمعصية، فالله يُنزل الرعب في قلبك، ويزيل أمنك، وتُبدَّل به مخافة، فلا ترى نفسك إلا خائفاً مرعوباً. تذكّر ذلك جيداً قبل اقترافك للسيئة.**

**16 – الحياء:**

**إذ الحياء كله خير، والحياء لا يأتي إلا بخير، فمتى انقبضت نفسك عما تُذم عليه، وارتدعت عما تنزع إليه من القبائح، فاعلم أنك سوف تفعل الجميل تلو الجميل، وتترك القبيح تلو القبيح، وحياءٌ مثل هذا هو أصل العقل، وبذر الخير، وأعظمه أن تستحي من ربك \_تبارك وتعالى\_ بأن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، فإنك متى علمتَ بنظر الله إليك، وأنك بمرأى ومسمع منه، استحييت أن تتعرّض لمساخطه، قولاً وعملاً واعتقاداً.**

**ومن الحياء المحمود، الحياء من الناس، بترك المجاهرة بالقبيح أمامهم. ومن الحياء المحمود، الحياء بألا ترضى لنفسك بمراتب الدون. احرص دائماً على تذكر الآثار الطيبة للحياء، وطالع أخلاق الكُمَّل، واستحضر مراقبة الله \_تعالى\_، عندها سوف تمتلك الحياء، فتقترب من الكمال، وتتباعد عن النقائص.**

**17 – تزكية النفس: طهِّر نفسك وأصلحها بالعمل الصالح والعلم النافع، وافعل المأمورات واترك المحظورات، وأنتَ إذا قمتَ بطاعةٍ ما، فإنما هي صورة من صور انتصارك على نفسك، وتحرّرك من قويدها، وهكذا كلما كسرتَ قيداً، كلما تقدمت خطوة، والخير دائماً يلد الخير، واعلم أن شرف النفس وزكائها، يقود إلى التسامي والعفة.**

**18 – الدعاء:**

**فهو من أعظم الأسباب، وأنفع الأدوية، بل الدعاء عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يُخفِّفه إذا نَزَل. ومن أعظم ما يُسأل، ويُدعى به سؤال الله التوبة. ادع الله \_تبارك وتعالى\_ أن يمن عليك بالتوبة النصوح.**

**ادع الله \_تبارك وتعالى\_ أن يُجدِّد الإيمان في قلبك..(1)**

**#دفع قدر الله بقدر الله**

**قال ابن القيم : والتائبون هم من ركبوا سفينة النجاة التي من تخلف عنها غرق، فركبوا سفينة الأمر بالقدر، والمتخلفون عن السفينة كقوم نوح أغرقوا ثم أحرقوا و”قيل بعدا للقوم الظالمين” ثم يقول الحق “وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين “وهؤلاء من كانوا يقولون بأن الله لو أراد لجعلهم مهتدين ومنهم عباد الأصنام وقتلة الأنبياء وفرعون وهامات وابي جهل وأصحابه وإبليس وجنوده، دائما العذر نفسه .**

**وأصحاب العزائم من العارفين يدفعون القدر بالقدر، ومن ذلك دفع السيئة بالحسنة، وكلاهما من قدر الله، وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : “يا رسول الله ، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقى نتقي بها. هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : هي من قدر الله “**

**والاستسلام للعدو وعدم دفع أذاه بديار المسلمين بالجهاد الشرعي هو من المعاصي، وكذلك كل أذى لا يدفعه المسلم بما يقتضيه يكون بذلك عاصيا لربه .**

**وقيل أن داود قد نقش الخطيئة في كفه، وكان ينظر إليها ويبكي .فالذنب يتيه الإنسان عن الطريق. وإذا أحس العبد من نفسه حال العجب ونسيان المنة، فتذكر الذنب أنفع له . أما من أشرقت على قلبه أنوار الأسماء والصفات الربانية، فهذا يكون نسيانه لجنايته وإعراضه عن ذنبه أولى به وأنفه .**

**وتذكر الذنب يعرف العبد عزة الله في قضائه، وبره في ستره، وحلمه في إمهال راكبه، وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته . ومن يتذكر ذلك يشعر بتمكن سيده وأن ناصيته بيده فلا توفيق له إلا بمعونته فهو ذليل في قبضة عزيز حميد . وأن يشعر ببره سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية ، مع كمال رؤيته له . ولو شاء لفضحه بين خلقه فحذروه وهو من أسماء الله “البر” و”الحليم” و”الغفار” والنفس فيها مضاهاة للربوبية ،**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000**

1. **الأنترنت – موقع صيد الفوائد - ثمانية عشر مفتاحاً للتوبة - لجمّاز بن عبدالرحمن الجمّاز**

**ولو قدرت لقالت كقول فرعون. ولكنه قدر فأظهر وغيره عجز فأضمر . وإنما يخلصها من هذه المضاهاة ذل العبودية ، ما تعنيه من الافتقار إلى الله الغني، وطاعته وعبوديته وهو ذل اختيار وليس كمثل السابق يشترك فيه جميع الخلائق ،وهناك ذل المحبة وذل المعصية والجناية.**

**يقول رسول الله : “لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، ثم يستغفرون فيغفر لهم”.وقد جعل الله العفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة والفضل أحب من العدل والعطاء أحب من المنع .**

**وسبحانه يضحك من عبده حين يترك فراشه ومضاجعته حبيبته إلى خدمته، يتلو آياته ويتملقه. ويضحك ممن هرب أصحابه عن العدو فأقبل إليهم وباع نفسه لله ولقاهم نحره حتى قُتل في محبته ورضاه . ويضحك ممن أعطى السائل سرا صدقته .**

**#النفس الأمارة .. ودروب الشيطان**

**والله يعاقب عباده بالحجة على ذنوبهم، ومن تلك الحجج إرسال الرسل والكتب وإتيان العلم، لقوله سبحانه : “وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا” وهناك من يحق القول عليه من الكافرين وهناك من كان حيا متقبلا للإنذار منتفعا به. وقد حقت كلمة الإضلال والعذاب على الذين كفروا بسبب ظلمهم**

**ويقول الحق “إن النفس لأمارة بالسوء” و”من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون” ولهذا كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وكان دعاؤه سيد الاستغفار اعترافا بربوبية الله وإلهيته وأن ناصية العباد بيده وأنه يلتزم بالدخول تحت عهده أي أمره ونهيه ما استطاع، لا بحسب أداء حقه، فهو جهد المقل وهو يفزع لرحمة الله مما يحيط به من هلاك .**

**ويفيد العبد التائب تذكره للشيطان الحاض على المعصية، من أجل كمال الاحتراز منه واليقظة، فهو يريده كافرا بالله وبدينه ولقائه ، وبصفات كماله، وبما أخبرت به رسله ، ثم إن لم يفلح دخل من عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق الذي أرسل الله به رسوله وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله، ثم إن لم ينجح دخل من باب الكبائر وتزيينها فيقول له : “لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشرك حسنة” وهي تعادي صريح السنة ، والبدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها، حتى ينسلخ صاحبها من الدين كما تنسل الشعرة من العجين ، يقول تعالى :”ومن لم يجعل الله له نورا فما له ن نور” .**

**وهناك عقبة الصغائر واستسهالها، ولا يزال الشيطان يهون على العبد أمرها حتى يصر عليها فيكون مرتكب الكبيرة الخائف الوجل النادم أحسن حالا منه . يقول صلى الله عليه وسلم : “إياكم ومحقرات الذنوب”وهو ينهي حديثه الشريف بأنها كأعواد الحطب تجتمع على العبد حتى تهلكه .**

**وهناك عقبة المباحات، التي لا حرج على فاعلها، وهي تشغل عن الاستكثار من الطاعات وتطمع بترك السنن وتلهي عن الواجبات.**

**وإن لم يفلح الشيطان في كل ما سبق فإنه يسلط جنده على المؤمن باليد واللسان والقلب، على حسب مرتبته في الخير، فكلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله، وأغرى السفهاء به، وتسمى مجابهة المؤمن لهذا الابتلاء بعبودية المراغمة ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر ، يقول الحق “ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة” فسمى المهاجر الذي يهاجر إلى عبادة الله مراغما يراغم به عدو الله وعدوه ، ويقول سبحانه “ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح . إن الله لا يضيع أجر المحسنين ” ..**

**#الفطرة تأبى القبائح**

**ومن أسرار التوبة أن يرى التائب قبح ما نهى الله عنه، وحسن ما أمر به، وقد فطر عباده على الخير واستقباح ضده، فهم كمن يميز بين النتن والعطر، والحلو والحامض، يفرقون الطيب والخبيث والنافع والضار . يقول تعالى : “قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن” ومن الفواحش طواف الجاهليين بالبيت الحرام عراة بإشراف قريش، وقولهم أنهم وجدوا آباءهم يفعلون ذلك، وهؤلاء فطرهم لا تميز الحق من الباطل . وكلمة “يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر” تعني أنه معروف لأصحاب العقول الصحيحة ومنكر لأصحاب الفطر والعقول السوية أيضا.**

**والله لا يحاسب المتقين كالفجار، وهو يقول “أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار” وأخبر سبحانه وتعالى عن الكافرين أنهم صم بكم عمي وشبههم بالأنعام التي لا عقول لها تميز بها بين الحسن والقبيح والحق والباطل ، ولهذا سيعترفون في النار بأنهم لو عادوا لأسماعهم وعقولهم لعلموا حسن ما جاءت به الرسل وقبح مخالفتهم . “وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير” .**

**وكذا يحذر الله من المرائين، فقلوبهم كصفوان عليه تراب أصابه وابل فتركه صلدا، أي أن قلب المرائي كحجر أملس تعلق به أثر عمله المرائي فأصابه مطر فلم ينبت شيئا . أما مثل من ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله كجنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، وإن لم يصبها وابل فطل، أي أصحاب الإيمان والإخلاص الأقل فهم قلوبهم كجنة عالية طاف بها مطر خفيف .**

**ويقول تعالى “إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر. وإن تشكروا يرضه لكم” فالكفر والشكر واقعان بمشيئته وقدره ، وأحدهما محبوب له مرضي، والآخر مبغوض له مسخوط . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: “إن الله كره لكم ثلاثا : قيل وقال، وكثرة السؤال. وإضاعة المال”**

**وتأمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ” :”اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك”**

**والعبادة بالجوارح فحسب كثيرة المؤنة قليلة الفائدة، والمطلوب متابعتها بالإخلاص للمعبود. وأحب العباد إلى الله من يستكثرون من الصالحات مع مراقبة لها ، وفي الحديث القدسي: “ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه “(1)**

**#التوبة النصوح من جميع الذنوب يُدخل الجنة**

**قال تعالى : { ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير(8) } التحريم**

**قال القرطبي : فيه مسألتان :**

**الأولى : قوله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله } أمر بالتوبة وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وكل الأزمان . توبة نصوحا اختلفت عبارة العلماء وأرباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولا ; فقيل : هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع ; وروي عن عمر وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم . ورفعه معاذ إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقال قتادة : النصوح الصادقة الناصحة . وقيل الخالصة ; يقال : نصح أي أخلص له القول . وقال الحسن : النصوح أن يبغض الذنب الذي أحبه ويستغفر منه إذا ذكره . وقيل : هي التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها . وقيل : هي التي لا يحتاج معها إلى توبة . وقال الكلبي : التوبة النصوح الندم بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والإقلاع عن الذنب ، والاطمئنان على أنه لا يعود . وقال سعيد بن جبير : هي التوبة المقبولة ; ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاثة شروط : خوف ألا تقبل ، ورجاء أن تقبل ، وإدمان الطاعات . وقال سعيد بن المسيب : توبة تنصحون بها أنفسكم . وقال القرظي : يجمعها أربعة أشياء : الاستغفار باللسان ، وإقلاع بالأبدان ، وإضمار ترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيئ الخلان . وقال سفيان الثوري : علامة التوبة النصوح أربعة : القلة والعلة والذلة والغربة . وقال الفضيل بن عياض : هو أن يكون الذنب بين عينيه ، فلا يزال كأنه ينظر 00000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع مدارج السالكين لابن القيم**

**إليه . ونحوه عن ابن السماك : أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك . وقال أبو بكر الوراق : هو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت ، وتضيق عليك نفسك ; كالثلاثة الذين خلفوا . وقال أبو بكر الواسطي : هي توبة لا لفقد عوض ; لأن من أذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الآخرة ; فتوبته على حفظ نفسه لا لله . وقال أبو بكر الدقاق المصري : التوبة النصوح هي رد المظالم ، واستحلال الخصوم ، وإدمان الطاعات . وقال رويم : هو أن تكون لله وجها بلا قفا ، كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه . وقال ذو النون : علامة التوبة النصوح ثلاث : قلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام . وقال شقيق : هو أن يكثر صاحبها لنفسه الملامة ، ولا ينفك من الندامة ; لينجو من آفاتها بالسلامة . وقال سري السقطي : لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين ; لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله . وقال الجنيد : التوبة النصوح هو أن ينسى الذنب فلا يذكره أبدا ; لأن من صحت توبته صار محبا لله ، ومن أحب الله نسي ما دون الله . وقال ذو الأذنين : هو أن يكون لصاحبها دمع مسفوح ، وقلب عن المعاصي جموح . وقال فتح الموصلي : علامتها ثلاث : مخالفة الهوى ، وكثرة البكاء ، ومكابدة الجوع والظمأ . وقال سهل بن عبد الله التستري : هي التوبة لأهل السنة والجماعة ; لأن المبتدع لا توبة له ; بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : حجب الله على كل صاحب بدعة أن يتوب . وعن حذيفة : بحسب الرجل من الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه . وأصل التوبة النصوح من الخلوص ; يقال : هذا عسل ناصح إذا خلص من الشمع . وقيل : هي مأخوذة من النصاحة وهي الخياطة . وفي أخذها منها وجهان : أحدهما : لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه . والثاني : لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم ; كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض . وقراءة العامة نصوحا بفتح النون ، على نعت التوبة ، مثل امرأة صبور ، أي توبة بالغة في النصح . وقرأ الحسن وخارجة وأبو بكر عن عاصم بالضم ; وتأويله على هذه القراءة : توبة نصح لأنفسكم . وقيل : يجوز أن يكون نصوحا ، جمع نصح ، وأن يكون مصدرا ، يقال : نصح نصاحة ونصوحا . وقد يتفق فعالة وفعول في المصادر ، نحو الذهاب والذهوب . وقال المبرد : أراد توبة ذات نصح ، يقال : نصحت نصحا ونصاحة ونصوحا .**

**الثانية : في الأشياء التي يتاب منها وكيف التوبة منها . قال العلماء : الذنب الذي تكون منه التوبة لا يخلو ، إما أن يكون حقا لله أو للآدميين . فإن كان حقا لله كترك صلاة فإن التوبة لا تصح منه حتى ينضم إلى الندم قضاء ما فات منها . وهكذا إن كان ترك صوم أو تفريطا في الزكاة . وإن كان ذلك قتل نفس بغير حق فأنه يمكن من القصاص إن كان عليه وكان مطلوبا به . وإن كان قذفا يوجب الحد فيبذل ظهره للجلد إن كان مطلوبا به . فإن عفي عنه كفاه الندم والعزم على ترك العود بالإخلاص . وكذلك إن عفي عنه في القتل بمال فعليه أن يؤديه إن كان واجدا له ، قال الله تعالى : {فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان }. وإن كان ذلك حدا من حدود الله كائنا ما كان فإنه إذا تاب إلى الله تعالى بالندم الصحيح سقط عنه . وقد نص الله تعالى على سقوط الحد عن المحاربين إذا تابوا قبل القدرة عليهم . وفي ذلك دليل على أنها لا تسقط عنهم إذا تابوا بعد القدرة عليهم ; حسب ما تقدم بيانه . وكذلك الشراب والسراق والزناة إذا أصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم ، ثم رفعوا إلى الإمام فلا ينبغي له أن يحدهم . وإن رفعوا إليه فقالوا : تبنا لم يتركوا ، وهم في هذه الحالة كالمحاربين إذا غلبوا . هذا مذهب الشافعي . فإن كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه والخروج عنه - عينا كان أو غيره - إن كان قادرا عليه ، فإن لم يكن قادرا فالعزم أن يؤديه إذا قدر في أعجل وقت وأسرعه . وإن كان أضر بواحد من المسلمين وذلك الواحد لا يشعر به أو لا يدري من أين أتي ، فإنه يزيل ذلك الضرر عنه ، ثم يسأله أن يعفو عنه ويستغفر له ، فإذا عفا عنه فقد سقط الذنب عنه . وإن أرسل من يسأل ذلك له ، فعفا ذلك المظلوم عن ظالمه - عرفه بعينه أو لم يعرفه - فذلك صحيح . وإن أساء رجل إلى رجل بأن فزعه بغير حق ، أو غمه أو لطمه ، أو صفعه بغير حق ، أو ضربه بسوط فآلمه ، ثم جاءه مستعفيا نادما [ ص: 185 ] على ما كان منه ، عازما على ألا يعود ، فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفا عنه ، سقط عنه ذلك الذنب . وهكذا إن كان شانه بشتم لا حد فيه .(1)**

**وذُكرت التوبة بمُشتقاتها في القرآن الكريم في نحو سبعة وأربعين موضعًا.**

**والتوب: ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتِذار؛ فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه؛ إما أن يقول المُعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة.**

**والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحِه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المُعاوَدة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة وتاب إلى الله، فذكر "إلى الله" يَقتضي الإنابة؛ نحو: (﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ النور: 31 ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ ﴾ المائدة: 74**

**وتاب الله عليه؛ أي: قبل توبته، منه: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ [التوبة: 117] - ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ [التوبة: 118]، والتائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة، فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبده، والتواب العبد الكثير التوبة، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركًا لجميعِه، وقد يُقال لله ذلك؛ لكثرة قبوله توبة العباد حالاً بعد حال، وقوله: ﴿ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: 71]؛ أي: التوبة التامة، وهو الجمع بين ترك القبيح وتحرِّي الجميل: (﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: 30] - ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 37]"** **[2].**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع تفسير القرطبي ،**

**[2] المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني (ص: 83). ، محمد حسن نور الدين إسماعيل**

**قال الشيخ أبو بكر الجزائري في تفسير الآية الكريمة:**

**هذا هو النداء الثاني الذي يُنادي فيه الله تعالى عباده المؤمنين - أي: في سورة التحريم - يأمرُهم فيه بالتوبة العاجلة النَّصوح التي لا يعود صاحبها إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع، ويُبشِّرهم ويَعدهم بتكفير سيئاتهم، ويُبشِّرهم بالجنة دار النعيم المقيم فيقول: ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾**

**(عسى) من الله واجبة، ويشهد لهذا قول النبي: (التائب من الذنب كمَن لا ذنب له). ؛ أي: بعد ذلك ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ [التحريم: 8]؛ أي: بإدخالهم الجنَّة ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [التحريم: 8]؛ أي: وهم مُجتازون الصراط يَسألون ربهم أن يُبقي لهم نورهم لا يقطعه عنهم؛ حتى يَجتازوا الصراط وينجوا من السقوط في جهنَّم، كما يسألونه أن يغفر ذنوبهم التي قد يردون بها إلى النار بعد اجتياز الصراط، وقولهم: ﴿ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: 8] هذا توسُّل منهم لقبول دعائهم؛ حيث توسَّلوا بصفة القوة والقدرة لله تعالى، فقالوا: إنك على كل شيء قدير؛ فأتمِم لنا نورنا واغفر لنا[1].**

**والتوبة من الذنوب بالرجوع إلى علام الغيوب وغفار الذنوب: مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول أقدام المُريدين، ومِفتاح استقامة المائلين، ومطلَع الاصطِفاء والاجتباء للمُقرَّبين، ومنزل التوبة أول المَنازل وأوسطها وآخرها، فلا يُفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى المَمات، وإن ارتحلَ إلى منزل آخر ارتحل به واستصحَبه معه ونزَل به، فالتوبة هي بداية الطريق ونهايته، وقد قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور: 31]، وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علَّق الفلاح بالتوبة وأتى بكلمة (لعل)؛ إيذانًا بأنكم إذا تُبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاحَ إلا التائبون، جعلنا الله منهم، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: 11]، فقسم الله تعالى العباد إلى تائب وظالم، وليس ثم قسم ثالث، وأوقع اسم الظلم على من لم يتب، ولا أظلم منه؛ لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات عمله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم، فوالله إني لأتوب إلى الله - عز وجل - في اليوم مائة مرة))[2]**

**، وهو أعلم الخلق بالله عز وجل، والتوبة هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقتُه لصراط المغضوب عليهم والضالين.** **0000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] أيسر التفاسير - الجزائري (2 / 1651).**

**[2] رواه أحمد ومسلم - رحمهما الله تعالى - عن الأغرِّ المزني؛ ص. ج رقم 7881.**

**وشرائط التوبة: إذا كان الذنب في حق الله عزَّ وجلَّ، فشرائط التوبة ثلاثة؛ هي: الندم، والإقلاع عن الذنب، والعزْم على عدم العودة؛ فأما الندم، فإنه لا تتحقَّق التوبة إلا به؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (الندم توبة)[1]**

**إذ مَن لم يندم على القبيح، فذلك دليل رضاه به وإصراره عليه، وأما الإقلاع عن الذنب، فتستحيل التوبة مع مباشِرة الذنب، والشرط الثالث هو: العزم على عدم العودة، ويَعتمِد أساسًا على إخلاص هذا العزم والصدق فيه.**

**أما إذا كان الذنب متضمِّنًا لحق آدمي، فعلى التائب أن يُصلح ما أفسد، أو يسترضي من أخطأ في حقه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (من كان لأخيه عنده مَظلِمة مِن عِرض أو مال، فليتحلَّله اليوم، قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم؛ فإن كان له عمل صالح، أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمَل، أُخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه)[2]**

**، فهذا الذنب الذي يتضمن حقين: حق الله، وحق الآدمي، فالتوبة منه بتحلل الآدمي لأجل حقه، والندم فيما بينه وبين الله لأجل حقه.**

**#إذا تاب العبد من الذنب، هل يَرجِعُ إلى ما كان عليه قبل الذنب ؟**

**إذا تاب العبد من الذنب، هل يَرجِعُ إلى ما كان عليه قبل الذنب من الدرجة التي حطَّه عنها الذنب أو لا يرجع إليها؟ : قالت طائفة: يرجع إلى درجته؛ لأن التوبة تجبُّ الذنب بالكليَّة وتُصيِّره كأن لم يكن.**

**وقالت أخرى: لا يعود إلى درجته وحاله؛ لأنه لم يكن في وقوف؛ وإنما كان في صعود، فبالذنب صار في هبوط، فإذا تاب نقص منه ذلك القدر الذي كان مستعدًّا به للترقي.**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "والصحيح أن من التائبين من لا يعود إلى درجته، ومنهم من يعود إلى أعلى فيصير خيرًا مما كان عليه قبل الذنب، وكان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة التوبة النصوح :قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [التحريم: 8]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليَتوب مُسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)[3]**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] رواه أحمد وابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه، ص. ج رقم 6802.**

**[2] رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، ص. ج رقم 6511.**

**[3] رواه مسلم رحمه الله تعالى.**

**، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن تاب قبل أن تطلع الشمس مِن مغربِها، تابَ الله عليه))[1]**

**، وعن أبي عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - يَقبل توبة العبد ما لم يُغرغر)[2]**

**، والغرغرة هي بلوغ الرُّوح إلى الحلقوم، والنُّصح في التوبة هو تخليصُها مِن كلِّ غشٍّ ونقْص وفساد.**

**قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "هي أن يكون العبد نادمًا على ما مضى، مُجمعًا على ألا يعود فيه"، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: ﴿ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [التحريم: 8]: تنصَحون بها أنفسكم.**

**وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :"النُّصح في التوبة يتضمَّن ثلاثة أشياء :**

**الأول: تعميم جميع الذنوب واستِغراقها بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته.**

**الثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها؛ بحيث لا يبقى عنده تردُّد ولا تلوم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا لها.**

**الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمَحضِ الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه، والرهبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ حاجته وحرمته ومنصبه ورياسته، ولحفظ قوته وماله، أو استدعاء حمد الناس أو الهروب من ذمِّهم، أو لئلا يتسلَّط عليه السفهاء أو لقضاء نهمة من الدنيا، أو لإفلاسِه وعَجزِه، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحَّتها وخلوصها لله عز وجل.**

**فالأول يتعلق بما يتوب منه،**

**والثاني يتعلق بذات التائب،**

**والثالث يتعلَّق بمَن يتوب إليه، فنصح التوبة الصدق فيها والإخلاص وتعميم الذنوب، ولا ريب أن هذه التوبة تَستلزم الاستغفار وتتضمَّنه وتَمحو جميع الذنوب، وهي أكمل ما يكون من التوبة" ا. هـ.**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] رواه مسلم رحمه الله تعالى.**

**[2] رواه أحمد والترمذي وابن ماجه رحمهم الله تعالى، وحسنه الألباني رحمه الله تعالى.**

**# ومن اتهام التوبة :**

**1 - ضعف العزيمة والْتِفات القلب إلى الذنب الفينة بعد الفينة وتذكُّر حلاوتها.**

**2 - طمأنينته ووثوقه مِن نفسِه بأنه قد تاب الله عليه كأنه أُعطي منشورًا بالأمان، فهذا من علامات التُّهمة.**

**3 - ومنها جمود العينين واستمرار الغفلة، وألا يستحدث أعمالاً صالحة لم تكن له قبل الخطيئة.**

**#علامات صحة التوبة :**

**1 - أن يكون بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها.**

**2 - ألا يزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمر إلى أن يسمع قول الرسل لقبض روحه: ﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ، فهناك يزول خوفُه.**

**3 - انخلاع قلبه وتقطُّعه ندمًا وخوفًا، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها.**

**4 - كسرة خاصة تَحصُل للقلب لا يُشبِهها شيء، ولا تكون لغير المُذنب لا تحصل بجوع ولا رياضة، ولا حب مجرَّد، وإنما هي على أمر وراء هذا كله، تكسر القلب بين يدي الرب كسرة عامة، قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقتْه بين يدي ربِّه طريحًا ذليلاً خاشعًا، وما أحلى قول القائل في هذه الحال: "أسألك بعزِّك وذلِّي إلا رحمتَني، أسألك بقوتك وضعفي وبغِناك وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي رب سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المِسكين، وأبتهِل إليك ابتِهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبتُه، ورَغِمَ لك أنفُه، وفاضت لك عيناه، وذلَّ لك قلبه".**

**يا مَن ألوذ به فيما أؤمِّلُه \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* ومَن أعوذ به مما أُحاذِرُه**

**لا يَجبُر الناسُ عظمًا أنت كاسرُه \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*ولا يَهيضون عظمًا أنت جابرُه**

**فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة، فمَن لم يجد ذلك في قلبه، فليتَّهم توبتَه وليرجع إلى تصحيحها، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة، وما أسهلَها باللسان والدعوى![1]**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] البحر الرائق في الزهد والرقائق؛ الشيخ د / أحمد فريد (ص: 159 - 162).**

**والله - عز وجل - يفرَح بتوبة عبده؛ قال صلى الله عليه وسلم: (للهُ أفرَحُ بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتَت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخِطامها ثم قال من شدَّة الفَرح: (اللهمَّ أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)[1].**

**وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم محبة الرب - جلَّ وعلا - للتوبة؛ فإن الله يحب التوابين ويحبُّ المُتطهِّرين، فأوجبَت هذه المحبة فرحًا كأعظم ما يقدر من الفرح، ولو كان في الفرح المَشهود في هذا العالم نوع أعظم من هذا الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لذكره، ولكن لا فرحة أعظم مِن فرحة هذا الواجد لمادة حياته وبلاغه في سفره بعد إياسه من أسباب الحياة بفقده راحلته، وهذا كشدة محبته لتوبة التائب المحب إذا اشتدَّت محبته للشيء وغاب عنه ثم وجده وصار طوع يده، فلا فرحة أعظم من فرحته به، نسأل الله أن يرزقنا توبة نصوحًا.**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:**

**وجميع ما يتوب العبد منه سواء كان فعلاً أو تركًا، قد لا يكون كان عالمًا بأنه يَنبغي التوبة منه، وقد يكون كان عالمًا بذلك؛ فإن الإنسان كثيرًا ما يكون غير عالم بوجوب الشيء أو قبحِه، ثم يتبيَّن له فيما بعد وجوبه أو قبحُه، ويتركه أو يفعله لضعف المُقتضي لفعل الواجب، أو قوة المُقتضي لفعل القبيح، لكن لا يَكاد يقع إلا مع ضعف العلم بوجوبه أو قبحِه، وإلا فإذا كمل العلم استلزم الإرادة الجازمة في الطرفين؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 17]**

**قال أبو العالية: قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: كل مَن عصى الله فهو جاهل، وكل مَن تاب قبل الموت فقد تاب مَن قريب، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: 54].**

**والمؤمن لا يزال يَخرج من الظلمات إلى النور ويزداد هدى فيتجدَّد له من العلم والإيمان ما لم يكن قبل ذلك، فيتوب مما تركه وفعَله، والتوبة تَصقل القلب وتجليه مما عرَض له مِن رين القلوب؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: ((إن العبد إذا أذنب نُكتت له في قلبه نكتة سوداء؛ فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبُه، وإن زاد زِيدَ فيها حتى يعلو قلبه، فذلك الران الذي قال الله: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: 14]))[2]**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] رواه مسلم والبخاري رحمهما الله تعالى مختصرًا.**

**[2] رواه أحمد رحمه الله تعالى وغيره، ص. ج رقم 1670.**

**، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه ليغان[1] على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)[2]**

**والتوبة من الاعتقاد أعظم من التوبة من الإرادات؛ فإن مَن ترَك واجبًا أو فعل قبيحًا يعتقد وجوبه وقبحَه، كان ذلك الاعتقاد داعيًا له إلى فعل الواجب ومانعًا له من فعل القبيح، فلا يكون في فعله وتركه ثابت الدَّواعي والصوارف، بل تكون دواعيه وصوارفه مُتعارضة؛ ولهذا يكون الغالب على هذا هو التلوم، وتكون نفسهم لوامة، تارةً يؤدُّون الواجب وتارة يَتركونه، وتارة يتركون القبيح وتارة يفعلونه، كما تجده في كثير من فساق القِبلة الذين يؤدون الحقوق تارة ويَمنعونها أخرى؛ لتعارُض الإرادات في قلوبهم؛ إذ معهم أصل الإيمان الذي يأمر بفعل الواجب، ويَنهى عن فعل القبيح، ومعهم من الشبهات والشهوات ما يدعوهم إلى خلاف ذلك، وأما إذا فعله الإنسان مع اعتقاد وجوبه، وتركه مع اعتقاد تحريمه، فهذا يكون ثابت الدواعي والصوارف أعظم من الأول بكثير، وهذا تحتاج توبته إلى إصلاح اعتقاده أولاً وبيان الحق، وهذا يكون أصعب من الأول؛ إذ ليس معه داعٍ إلى أن يترك اعتقاده كما كان مع الأول داعٍ إلى أن يترك مرادَه، وقد يكون أسهل إذا كان له غرض فيما يخالف موجب الاعتقاد، مثل الآصار والأغلال التي على أهل الكتاب، وإذلال المسلمين لهم، وأخذ الجزية منهم، مع مخالفة المسلمين له، فهذا يكون داعيًا إلى أن ينظر في اعتقاده، هل هو حق أو باطل حتى يتبيَّن له الحق، وقد يكون أيضًا مرغبًا له في اعتقاد يخرج به من هذا البلاء[3].**

**وقال رحمه الله تعالى: ومن زعم أن الله قد ذم أحدًا من البشر أو عاقبه على ما فعله ولم يكن ذلك ذنبًا، فقد قدَح فيما أخبر الله به وما وجب له من حكمته وعدله، فالجاهل يريد تنزيه الصحابة أو العلماء أو المشايخ من شيء لا يضيرهم ثبوته فيقدح في الرسول أو في الله تعالى، ويريد تنزيه الأنبياء عما لا يضرهم ثبوته بل هو أرفع درجة لهم، فيقدح في الربوبية، فتدبر هذا؛ فإنه نافع.**

**والقائلون بعصمة الأنبياء من التوبة من الذنوب ليس لهم حُجَّة من كتاب الله ولا سنَّة رسوله، ولا لهم إمام من سلف الأمة وأئمتها، وإنما مبدأ قولهم من أهل الأهواء؛ كالروافض والمعتزلة، وحجتهم آراء ضعيفة من جنس قول الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم، الذين قال الله فيهم: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [الحج: 53]،**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] قال القاضي عياض: ويحتمل أن هذا الغين حال خشية وإعظام يغشى القلب ويكون استغفاره شكرًا.**

**[2] رواه أحمد ومسلم - رحمهما الله تعالى - وغيرهما، ص. ج رقم 2415.**

**[3] رسالة التوبة؛ ابن تيمية رحمه الله تعالى (ص: 25، 27).**

**وعُمدة من وافقهم من الفقهاء أن الاقتداء بالنبيِّ في أفعاله مَشروع، ولولا ذلك ما جاز الاقتداء به، وهذا ضعيف؛ فإنه قد تقدم أنهم لا يقرُّون، بل لا بدَّ مِن التوبة والبيان، والاقتداء إنما يكون بما استقرَّ عليه الأمر، فأما المنسوخ والمنهي عنه والمَتوب منه، فلا قُدوة فيه بالاتفاق، فإذا كانت الأقوال المَنسوخة لا قدوة فيها، فالأفعال التي لم يقرَّ عليها أولى بذلك، وأما مذهب السلف والأئمة وأهل السنة والجماعة القائلين بما دلَّ عليه الكتاب والسنَّة من توبة الأنبياء من الذنوب، فقد ذكرنا من آيات القرآن ما فيه من دلالات على ذلك، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعَري عن النبي أنه كان يدعو: (اللهمَّ اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهمَّ اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهمَّ اغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير)[1].(2)**

**# أمرالله عباد العجل بالتوبة فلما تابوا تاب الله عليهم**

**قال تعالى : { وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم(54) } البقرة**

**قال ابن كثيرفي تفسيره :**

**هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل، حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع { فتوبوا إلى بارئكم} أي إلى خالقكم. وفي قوله ههنا { إلى بارئكم} تنبيه على عظم جرمهم، أي فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره، قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس: أمر قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال: وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا، وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم، وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضاً، فانجلت الظلمة عنهم**

**وقد جلوا عن سبعين ألف قتيل، كلُّ من قتل منهم كانت له توبة، وكل من بقي كانت له توبة. وقال السدي: في قوله { فاقتلوا أنفسكم} قال: فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف، فكان من قتل من الفريقين شهيداً حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا، حتى قتل منهم سبعون ألفاً وحتى دعا موسى وهارون ربنا أهلكت بني إسرائيل ربنا البقية الباقية، فأمرهم أن يلقوا السلاح وتاب عليهم، فكان من قتل منهم من الفريقين شهيداً، ومن بقي 00000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**[1] رسالة التوبة؛ ابن تيمية رحمه الله تعالى (ص: 68). (1)**

**(2) .الأنترنت – موقع الألوكة - محمد حسن نور الدين إسماعيل**

**مكفراً عنه فذلك قوله: { فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم} وقال ابن إسحاق: لما رجع موسى إلى قومه وأحرق العجل وذراه في اليم خرج إلى ربه بمن اختار من قومه فأخذتهم الصاعقة ثم بعثوا، فسأل موسى ربه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل فقال: لا إلا أن يقتلوا أنفسهم، قال: فبلغني أنهم قالوا لموسى نصبر لأمر اللّه، فأمر موسى من لم يكن عَبَد العجل أن يقتل من عبده، فجعلوا يقتلونهم، فهش موسى، فبكى إليه النساء والصبيان يطلبون العفو عنهم فتاب اللّه عليهم وعفا عنهم، وأمر موسى أن ترفع عنهم السيوف.**

**وقال عبد الرحمن بن زيد: لمّا رجع موسى إلى قومه، وكانوا سبعين رجلا قد اعتزلوا مع هارون العجل لم يعبدوه، فقال لهم موسى: انطلقوا إلى موعد ربكم، فقالوا: يا موسى ما من توبة؟ قال: بلى { اقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم} الآية، فاخترطوا السيوف والخناجر والسكاكين، قال: وبعث عليهم ضبابة فجعلوا يتلامسون بالأيدي ويقتل بعضهم بعضاً، ويلقي الرجل أباه وأخاه فيقتله وهو لا يدري. قال: ويتنادون فيها رحم اللّه عبداً صبر نفسه حتى يبلغ اللّه رضاه، قال فقتلاهم شهداء وتيب على أحيائهم ثم قرأ: { فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم} .**

**وقال الطبري في تفسيره :**

**قَوْله تَعَالَى ::{ يَا قَوْم إنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسكُمْ .} وَظُلْمهمْ إيَّاهَا كَانَ فِعْلهمْ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ بِهَا مِمَّا أَوَجَبَ لَهُمْ الْعُقُوبَة مِنْ اللَّه تَعَالَى , وَكَذَلِكَ كُلّ فَاعِلٍ فِعْلًا يَسْتَوْجِب بِهِ الْعُقُوبَة مِنْ اللَّه تَعَالَى فَهُوَ ظَالِم لِنَفْسِهِ بِإِيجَابِهِ الْعُقُوبَة لَهَا مِنْ اللَّه تَعَالَى . وَكَانَ الْفِعْل الَّذِي فَعَلُوهُ فَظَلَمُوا بِهِ أَنْفُسهمْ , هُوَ مَا أَخْبَرَ اللَّه عَنْهُمْ مِنْ ارْتِدَادهمْ بِاِتِّخَاذِهِمْ الْعِجْل رَبًّا بَعْد فِرَاق مُوسَى إيَّاهُمْ , ثُمَّ أَمَرَهُمْ مُوسَى بِالْمُرَاجَعَةِ مِنْ ذَنْبهمْ وَالْإِنَابَة إلَى اللَّه مِنْ رِدَّتهمْ بِالتَّوْبَةِ إلَيْهِ , وَالتَّسْلِيم لِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ تَوْبَتهمْ مِنْ الذَّنْب الَّذِي رَكَبُوهُ قَتْلهمْ أَنْفُسهمْ . ومَعْنَى التَّوْبَة : الْأَوْبَة مِمَّا يَكْرَههُ اللَّه إلَى مَا يَرْضَاهُ مِنْ طَاعَته . فَاسْتَجَابَ الْقَوْم لِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ التَّوْبَة مِمَّا رَكَبُوا مِنْ ذُنُوبهمْ إلَى رَبّهمْ عَلَى مَا أَمَرَهُمْ بِهِ . حَدَّثَنِي عَبَّاس بْن مُحَمَّد , قَالَ : حَدَّثَنَا حَجَّاج بْن مُحَمَّد , قَالَ ابْن جُرَيْجٍ , أَخْبَرَ فِي الْقَاسِم بْن أَبِي بزة أَنَّهُ سَمِعَ سَعِيد بْن جُبَيْر وَمُجَاهَدًا قَالَا : قَامَ بَعْضهمْ إلَى بَعْض بِالْخَنَاجِرِ يَقْتُل بَعْضهمْ بَعْضًا لَا يَحِنّ رَجُل عَلَى رَجُل قَرِيب وَلَا بِعِيدٍ , حَتَّى أَلْوَى مُوسَى بِثَوْبِهِ , فَطَرَحُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ , فَتَكَشَّفَ عَنْ سَبْعِينَ أَلْف قَتِيل , وَإِنَّ اللَّه أَوْحَى إلَى مُوسَى أَنَّ حَسْبِي قَدْ اكْتَفَيْت , فَذَلِكَ حِين أَلْوَى بِثَوْبِهِ قَالَ ابْن جُرَيْجٍ : قَامُوا صَفَّيْنِ , فَاقْتَتَلُوا بَيْنهمْ , فَجَعَلَ اللَّه الْقَتْل لِمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ شَهَادَة , وَكَانَتْ تَوْبَة لِمَنْ بَقِيَ . وَكَانَ قَتَلَ بَعْضهمْ بَعْضًا أَنَّ اللَّه عَلِمَ أَنَّ نَاسًا مِنْهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الْعِجْل بَاطِل فَلَمْ يَمْنَعهُمْ أَنْ يُنْكِرُوا عَلَيْهِمْ إلَّا مَخَافَة الْقِتَال , فَلِذَلِكَ أَمَرَ أَنَّ يَقْتُل بَعْضهمْ بَعْضًا . وَأَمَّا مَعْنَى قَوْله : { فَتُوبُوا إلَى بَارِئِكُمْ } فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ : ارْجِعُوا إلَى طَاعَة خَالِقكُمْ وَإِلَى مَا يُرْضِيه عَنْكُمْ . كَمَا : حَدَّثَنِي بِهِ الْمُثَنَّى بْن إبْرَاهِيم قَالَ : ثنا آدَم , قَالَ : ثنا أَبُو جَعْفَر , عَنْ الرَّبِيع , عَنْ أَبِي الْعَالِيَة : { فَتُوبُوا إلَى بَارِئِكُمْ } أَيْ إلَى خَالِقكُمْ . وَهُوَ مَنْ بَرَأَ اللَّه الْخَلْق يَبْرَؤُهُ فَهُوَ بَارِئ . وَالْبَرِيَّة : الْخَلْق ,**

**وقال القرطبي في تفسيره :**

**قوله تعالى { فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم} لما قال لهم فتوبوا إلى بارئكم قالوا كيف؟ قال { فاقتلوا أنفسكم} قال أرباب الخواطر ذللوها بالطاعات وكفوها عن الشهوات والصحيح أنه قتل على الحقيقة هنا والقتل : إماتة الحركة وقتلت الخمر : كسرت شدتها بالماء قال سفيان بن عينه التوبة نعمة من الله أنعم الله بها على هذه الأمة دون غيرها من الأمم وكانت توبة بني إسرائيل القتل. وأجمعوا على أنه لم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده قال الزهري : لما قيل لهم { فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم} قاموا صفين وقتل بعضهم بعضا حتى قيل لهم : كفوا فكان ذلك شهادة للمقتول وتوبة للحي وقال بعض المفسرين : أرسل الله عليهم ظلاما ففعلوا ذلك وقيل : وقف الذين عبدوا العجل صفا ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم. وقيل : قام السبعون الذين كانوا مع موسى فقتلوا - إذ لم يعبدوا العجل - من عبدالعجل. ويروى أن يوشع بن نون خرج عليهم وهم محتبون فقال : ملعون من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو أتقاه. بيد أو رجل فما حل أحد منهم حبوته حتى قتل منهم - يعني من قتل - وأقبل الرجل يقتل من يليه ذكره النحاس وغيره وإنما عوقب الذين لم يعبدوا العجل بقتل أنفسهم - على القول الأول - لأنهم لم يغيروا المنكر حين عبدوه وإنما اعتزلوا وكان الواجب عليهم أن يقاتلوا من عبده. وهذه سنة الله في عباده إذا فشا المنكر ولم يغير عوقب الجميع (1)**

**# الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**

**قال تعالى : { ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين(222) } البقرة**

**قال ابن كثير : قوله : ( من حيث أمركم الله ) قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعني الفرج ; قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ( فأتوهن من حيث أمركم الله ) يقول في الفرج ولا تعدوه إلى غيره ، فمن فعل شيئا من ذلك فقد اعتدى .**

**وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة : ( فأتوهن من حيث أمركم الله ) أي : أن تعتزلوهن . وفيه دلالة حينئذ على تحريم الوطء في الدبر (2)**

**000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت – موقع الرو 7**

**(2)** **الأنترنت – موقع تفسير ابن كثير**

**وقال الفخر:**

**اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمن الحيض، واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة ودون الركبة، واختلفوا في أنه هل يجوز الاستمتاع بما دون السرة وفوق الركبة، فنقول:**

**إن فسرنا المحيض بموضع الحيض على ما اخترناه كانت الآية دالة على تحريم الجماع فقط، فلا يكون فيها دلالة على تحريم ما وراءه، بل من يقول: إن تخصيص الشيء بالذكر يدل على أن الحكم فيما عداه بخلافه، يقول إن هذه الآية تدل على حل ما سوى الجماع، أما من يفسر المحيض بالحيض، كان تقدير الآية عنده فاعتزلوا النساء في زمان الحيض، ثم يقول ترك العمل بهذه الآية فيما فوق السرة ودون الركبة، فوجب أن يبقى الباقي على الحرمة وبالله التوفيق. اهـ.**

**واعلم أن قوله: {وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ} أي ولا تجامعوهن، يقال قرب الرجل امرأته إذا جامعها، وهذا كالتأكيد لقوله تعالى: {فاعتزلوا النساء فِي المحيض} ويمكن أيضًا حملها على فائدة جليلة جديدة وهي أن يكون قوله: {فاعتزلوا النساء فِي المحيض} نهيًا عن المباشرة في موضع الدم وقوله: {وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ} يكون نهيًا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع.**

**وفي الآية مسائل:**

**المسألة الأولى: في قوله تعالى: {حتى يطهرن}:**

**قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب الحضرمي، وأبو بكر عن عاصم {حتى يطهرن} خفيفة من الطهارة، وقرأ حمزة والكسائي {يَطْهُرْنَ} بالتشديد، وكذلك حفص عن عاصم، فمن خفف فهو زوال الدم لأن يطهرن من طهرت امرأة من حيضها، وذلك إذا انقطع الحيض، فالمعنى: لا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم، ومن قرأ: {يَطْهُرْنَ} بالتشديد فهو على معنى يتطهرن فأدغم كقوله: {يأَيُّهَا المزمل} [المزمل: 1]، و{يا أيها المدثر} [المدثر: 1] أي المتزمل والمتدثر وبالله التوفيق.**

**المسألة الثانية مجامعة الزوج زوجته بعد غسلها من الحيض:**

**أكثر فقهاء الأمصار على أن المرأة إذا انقطع حيضها لا يحل للزوج مجامعتها إلا بعد أن تغتسل من الحيض، وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي والثوري، والمشهور عن أبي حنيفة أنها إن رأت الطهر دون عشرة أيام لم يقربها زوجها، وإن رأته لعشرة أيام جاز أن يقربها قبل الاغتسال. اهـ. (1)**

**0000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع نداء الإيمان**

**وقال ابن سعدي : يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض، كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقا كما يفعله اليهود؟.**

**فأخبر تعالى أن الحيض أذى، وإذا كان أذى، فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده، ولهذا قال: { فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ } أي: مكان الحيض، وهو الوطء في الفرج خاصة، فهذا هو المحرم إجماعا، وتخصيص الاعتزال في المحيض، يدل على أن مباشرة الحائض وملامستها، في غير الوطء في الفرج جائز.**

**لكن قوله: { وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ } يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة، ينبغي تركه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض، أمرها أن تتزر، فيباشرها.**

**وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحُيَّض { حَتَّى يَطْهُرْنَ } أي: ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم، زال المنع الموجود وقت جريانه، الذي كان لحله شرطان، انقطاع الدم، والاغتسال منه.**

**فلما انقطع الدم، زال الشرط الأول وبقي الثاني، فلهذا قال: { فَإِذَا تَطَهَّرْنَ } أي: اغتسلن { فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ } أي: في القبل لا في الدبر، لأنه محل الحرث.**

**وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض، وأن انقطاع الدم، شرط لصحته.**

**ولما كان هذا المنع لطفا منه تعالى بعباده، وصيانة عن الأذى قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ } أي: من ذنوبهم على الدوام { وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث.**

**ففيه مشروعية الطهارة مطلقا، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقا، شرطا لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة.**

**{ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القبل، لكونه موضع الحرث، وهو الموضع الذي يكون منه الولد.**

**وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم ذلك، ولعن فاعله..(1)**

**00000000000000000000000000000000000000000000000**

1. **الأنترنت – موقع تفسير ابن سعدي**

**#من تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا**

**قال تعالى : { ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا(71) } الفرقان**

**قال الطبرى في تفسيره : ومن تاب من المشركين فامن بالله ورسوله وعمل صالحا يقول وعمل بما امره الله فاطاعه فان الله فاعل به من ابداله سيئ اعماله في الشرك بحسنها في الاسلام مثل الذي فعل من ذلك بمن تاب وامن وعمل صالحا قبل نـزول هذه الايه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال اهل التاويل**

**وقال ابن كثير : قال تعالى مخبرا عن عموم رحمته بعباده وانه من تاب اليه منهم تاب عليه من اي ذنب كان جليل او حقير كبير او صغير فقال {ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا } اي فان الله يقبل توبته كما قال تعالى {ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما } النساء 110 وقال {الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم } التوبه 104 وقال {قل ياعبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمه الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم الزمر} 53 اي لمن تاب اليه**

**وقال القرطبى : لا يقال من قام فانه يقوم ; فكيف قال {من تاب فانه يتوب } فقال ابن عباس المعنى من امن من اهل مكه وهاجر ولم يكن قتل وزنى بل عمل صالحا وادى الفرائض فانه يتوب الى الله متابا ; اي فاني قدمتهم وفضلتهم على من قاتل النبي صلى الله عليه وسلم واستحل المحارم**

**وقال القفال : يحتمل ان تكون الايه الاولى فيمن تاب من المشركين ولهذا قال الا من تاب وامن ثم عطف عليه من تاب من المسلمين واتبع توبته عملا صالحا فله حكم التائبين ايضا وقيل اي من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله فليست تلك التوبه نافعه ; بل من تاب وعمل صالحا فحقق توبته بالاعمال الصالحه فهو الذي تاب الى الله متابا اي تاب حق التوبه وهي النصوح ولذا اكد بالمصدر ف " متابا " مصدر معناه التاكيد كقوله وكلم الله موسى تكليما اي فانه يتوب الى الله حقا فيقبل الله توبته حقا**

**وقال طنطاوي : اى ومن تاب عن المعاصى تركا تاما وداوم على العمل الصالح ليستدرك ما فاته منه فانه فى هذه الحاله يكون قد تاب ورجع الى الله تعالى رجوعا صحيحا مقبولا منه سبحانه بحيث يترتب عليه محو العقاب واثبات الثواب وهكذا نجد رحمه الله تعالى تحيط بالعبد من كل جوانبه لكى تحمله على ولوج باب التوبه والطاعه وتوصد فى وجهه باب الفسوق والعصيان (1)**

**00000000000000000000000000000000**

1. **الأنترنت – موقع { ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا }**

**# توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا**

**قال تعالى : { وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير(3) } هود**

**قال البغوى : قال الفراء " ثم " هنا بمعنى الواو اي وتوبوا اليه لان الاستغفار هو التوبه والتوبه هي الاستغفار وقيل ان استغفروا ربكم من المعاصي ثم توبوا اليه في المستانف يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم عيشا حسنا في خفض ودعه وامن وسعه قال بعضهم العيش الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور الى اجل مسمى الى حين الموت ويوت كل ذي فضل فضله اي ويوت كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الاخره وقال ابو العاليه من كثرت طاعته في الدنيا زادت درجاته في الاخره في الجنه لان الدرجات تكون بالاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنه ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف ثم يدخل الجنه بعد وقيل يوت كل ذي فضل فضله يعني من عمل لله عز وجل وفقه الله فيما يستقبل على طاعته وان تولوا اعرضوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيامه**

**وقال ابن كثير : اي وامركم بالاستغفار من الذنوب السالفه والتوبه منها الى الله عز وجل فيما تستقبلونه وان تستمروا على ذلك يمتعكم متاعا حسنا اي في الدنيا الى اجل مسمى ويوت كل ذي فضل فضله اي في الدار الاخره قاله قتاده كقوله {من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياه طيبه ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون }النحل 97 وقد جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد " وانك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله الا اجرت بها حتى ما تجعل في في امراتك "**

**وقال ابن جرير حدثت عن المسيب بن شريك عن ابي بكر عن سعيد بن جبير عن ابن مسعود في قوله {ويوت كل ذي فضل فضله} قال من عمل سيئه كتبت عليه سيئه ومن عمل حسنه كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئه التي كان عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من الحسنات العشر واحده وبقيت له تسع حسنات ثم يقول هلك من غلب احاده اعشاره وقوله {وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير } هذا تهديد شديد لمن تولى عن اوامر الله تعالى وكذب رسله فان العذاب يناله يوم معاده لا محاله**

**وقال القرطبى : قوله تعالى {وان استغفروا ربكم }عطف على الاول ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه بالطاعه والعباده قال الفراء " ثم " هنا بمعنى الواو ; اي وتوبوا اليه ; لان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار وقيل استغفروه من سالف ذنوبكم وتوبوا اليه من المستانف متى وقعت منكم قال بعض الصلحاء الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقيل انما قدم ذكر الاستغفار لان المغفرة هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب اليها ; فالمغفرة اول في المطلوب واخر في السبب ويحتمل ان يكون المعنى استغفروه من الصغائر وتوبوا اليه من الكبائر يمتعكم متاعا حسنا هذه ثمرة الاستغفار والتوبه اي يمتعكم بالمنافع ثم سعه الرزق ورغد العيش ولا يستاصلكم بالعذاب كما فعل بمن اهلك قبلكم وقيل يمتعكم يعمركم ; واصل الامتاع الاطاله ومنه امتع الله بك ومتع وقال سهل بن عبد الله المتاع الحسن ترك الخلق والاقبال على الحق وقيل هو القناعه بالموجود وترك الحزن على المفقود الى اجل مسمى قيل هو الموت وقيل القيامه وقيل دخول الجنه والمتاع الحسن على هذا وقايه كل مكروه وامر مخوف مما يكون في القبر وغيره من اهوال القيامه وكربها ; والاول اظهر ; لقوله في هذه السوره {ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوه الى قوتكم } وهذا ينقطع بالموت وهو الاجل المسمى والله اعلم (1)**

**وقال الشنقيطي : هذه الآية الكريمة تدل على أن الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب سبب لأن يمتع الله من فعل ذلك متاعا حسنا إلى أجل مسمى ; لأنه رتب ذلك على الاستغفار والتوبة ترتيب الجزاء على شرطه .**

**والظاهر أن المراد بالمتاع الحسن : سعة الرزق ، ورغد العيش ، والعافية في الدنيا ، وأن المراد بالأجل المسمى : الموت ، ويدل لذلك قوله تعالى في هذه السورة الكريمة عن نبيه هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام { ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ، وقوله تعالى عن نوح {فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا } وقوله تعالى { من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الآية ، وقوله { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض } الآية ، وقوله {ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم }، وقوله : {ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، إلى غير ذلك من الآيات . (2)**

**#الله يريد أن يتوب على عباده**

**قال تعالى : {وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا } (النساء - 27)**

**000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع { وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى}**

**(2)الأنترنت – موقع إسلام ويب**

**قال الطبرى : يعني بذلك تعالى ذكره والله يريد ان يراجع بكم طاعته والانابه اليه ليعفو لكم عما سلف من اثامكم ويتجاوز لكم عما كان منكم في جاهليتكم من استحلالكم ما هو حرام عليكم من نكاح حلائل ابائكم وابنائكم وغير ذلك مما كنتم تستحلونه وتاتونه مما كان غير جائز لكم اتيانه من معاصي الله**

**وقال البغوى : والله يريد ان يتوب عليكم ان وقع منكم تقصير في امر دينه ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما باتيانكم ما حرم عليكم واختلفوا في الموصوفين باتباع الشهوات قال السدي هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس لانهم يحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت وقال مجاهد هم الزناه يريدون ان تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون وقيل هم جميع اهل الباطل**

**وقال ابن كثير : اي يريد اتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناه ان تميلوا يعني عن الحق الى الباطل ميلا عظيما**

**وقال ابن عاشور : والمقصد من التعرض لارادة الذين يتبعون الشهوات تنبيه المسلمين الى دخائل اعدائهم ليعلموا الفرق بين مراد الله من الخلق ومراد اعوان الشياطين وهم الذين يتبعون الشهوات ولذلك قدم المسند اليه على الخبر الفعلي في قوله {والله يريد ان يتوب عليكم } ليدل على التخصيص الاضافي اي الله وحده هو الذي يريد ان يتوب عليكم اي يحرضكم على التوبه والاقلاع عن المعاصي واما الذين يتبعون الشهوات فيريدون انصرافكم عن الحق وميلكم عنه الى المعاصي واطلاق الاراده على رغبه اصحاب الشهوات في ميل المسلمين عن الحق لمشاكلة { يريد الله ليبين لكم } النساء 26 والمقصود ويحب الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ولما كانت رغبتهم في ميل المسلمين عن الحق رغبه لا تخلو عن سعيهم لحصول ذلك اشبهت رغبتهم ارادة المريد للفعل ونظيره قوله تعالى بعد هذه الايه {يشترون الضلاله ويريدون ان تضلوا السبيل } النساء 44 وحذف متعلق تميلوا لظهوره من قرينة المقام واراد بالذين يتبعون الشهوات الذين تغلبهم شهواتهم على مخالفة ما شرعه الله لهم من الذين لا دين لهم وهم الذين لا ينظرون في عواقب الذنوب ومفاسدها وعقوبتها ولكنهم يرضون شهواتهم الداعية اليها وفي ذكر هذه الصله هنا تشنيع لحالهم ففي الموصول ايماء الى تعليل الخبر والمراد بهم المشركون ارادوا ان يتبعهم المسلمون في نكاح ازواج الاباء واليهود ارادوا ان يتبعوهم في نكاح الاخوات من الاب ونكاح العمات والجمع بين الاختين والميل العظيم هو البعد عن احكام الشرع والطعن فيها فكان المشركون يحببون للمسلمين الزنى ويعرضون عليهم البغايا وكان المجوس يطعنون في تحريم ابنة الاخ وابنة الاخت ويقولون لماذا احل دينكم ابنة العمة وابنة الخالة وكان اليهود يقولون لا تحرم الاخت التي للاب ولا تحرم العمة ولا الخالة ولا العم ولا الخال وعبر عن جميع ذلك بالشهوات لان مجيء الاسلام قد بين انتهاء اباحة ما ابيح في الشرائع الاخرى بله ما كان حراما في الشرائع كلها وتساهل فيه اهل الشرك**

**وقال طنطاوي : اخبر سبحانه عما يريده لعباده من خير وصلاح وما يريده لهم الفاسقون من شر وفساد فقال تعالى {والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما} اى والله تعالى يريد منكم ان تفعلوا ما يجعلكم اهلا لمغفرته ورضوانه وما يفضى بكم الى قبول توبتكم وارتفاع منزلتكم عنده بينما يريد الذين يتبعون الشهوات من اهل الكفر والفسوق والعصيان ان تبتعدوا عن الحق والخير ابتعادا عظيما والميل اصله الانحراف من الوسط الى جانب من الجوانب ولما كان الاعتدال عباره عن العدل والتوسط اطلق الميل على الجور والابتعاد عن الحق ووصف الميل بالعظيم للاشعار بان الذين يتبعون الشهوات لا يكتفون من غيرهم بالميل اليسير عن الحق وانما يريدون منهم انحرافا مطلقا عن الطريق المستقيم الذي امر الله بسلوكه والسير فيه وهولاء الذين وصفهم الله بما وصف موجودون في كل زمان وتراهم دائما يحملون لواء الرذيله والفجور تاره باسم الحريه وتاره باسم المدنيه وقد حذر الله تعالى عباده منهم حتى لا يتاثروا بهم وحتى يقاوموهم ويكشفوا عن زيفهم وضلالهم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون (1)**

**# الله يتوب على من يشاء**

**قال تعالى :{ ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم(15) } التوبة**

**قال الطبرى : يقول الله تعالى ذكره ويذهب وجد قلوب هولاء القوم المومنين من خزاعه على هولاء القوم الذين نكثوا ايمانهم من المشركين ، وغمها ، وكربها بما فيها من الوجد عليهم بمعونتهم بكرا عليهم عن السدي : ويذهب غيظ قلوبهم حين قتلهم بنو بكر واعانتهم قريش**

**وورد في التفسير الميسر : يا معشر المؤمنين قاتلوا أعداء الله يعذبهم عز وجل بأيديكم، ويذلهم بالهزيمة والخزي، وينصركم عليهم، ويُعْلِ كلمته، ويشف بهزيمتهم صدوركم التي طالما لحق بها الحزن والغم من كيد هؤلاء المشركين، ويُذْهِب عن قلوب المؤمنين الغيظ. ومن تاب من هؤلاء المعاندين فإن الله يتوب على من يشاء. والله عليم بصدق توبة التائب، حكيم في تدبيره وصنعه ووَضْع تشريعاته لعباده.**

**وقال طنطاوي : اما الفائده الخامسه فقد بينها سبحانه فى قوله {ويذهب غيظ قلوبهم } اى ويذهب غيظ قلوب هولاء القوم المومنين ويزيل كربها وغمها لان الشخص الذى طال اذى خصمه له ثم مكنه منه على احسن ا لوجوه فان هذا الشخص فى هذه الحاله يعظم سروره ويفرح قلبه ويتحول غيظه السابق الى غبطه وارتياح نفسى ؛ قال الالوسى : وظاهر العطف ان اذهاب الغيظ غير شفاء الصدور ووجه بان الشفاء يكون بقتل الاعداء وخزيهم 0000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت - موقع {والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما}**

**واذهاب الغيظ يكون بالنصر عليهم وقيل اذهاب الغيظ كالتاكيد لشفاء الصدر وفائدته المبالغه فى جعلهم مسرورين بما يمن الله به عليهم من تعذيبه لاعدائهم ونصرته لهم عليهم ولعل اذهاب الغيظ من القلب ابلغ مما عطف عليه فيكون ذكره من باب الترقى وقوله تعالى {ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم }كلام مستانف لبيان شمول قدرة الله تعالى وواسع رحمته وبالغ حكمته اى ويتوب الله على من يشاء ان يتوب عليه من عباده فيوفقه للايمان ويشرح صدره للاسلام والله تعالى عليم بسائر شئون خلقه حكيم فى كل اقواله وافعاله وسائر تصرفاته فامتثلوا امره واجتنبوا نهيه لتنالوا السعادة فى دنياكم واخرتكم ؛ قال الامام الرازى : ما ملخصه وهذه الايه تدل على كون الصحابه مومنين فى علم الله تعالى ايمانا حقيقيا لانها تدل على ان قلوبهم كانت مملوءه بالغضب وبالحميه من اجل الدين ومن اجل الرغبه الشديده فى علو دين الاسلام وهذه الاحوال لا تحصل الا فى قلوب المومنين الصادقين كما تدل على انها من المعجزات لانه تعالى اخبر عن حصول هذه الاحوال وقد وقعت كما اخبر فقد انتصر المومنون واسلم من المشركين اناس كثيرون فيكون ذلك اخبار عن الغيب والاخبار عن الغيب معجزة**

**وقال البغوى : ويذهب غيظ قلوبهم كربها ووجدها بمعونه قريش بكرا عليهم ثم قال مستانفا ويتوب الله على من يشاء فيهديه الى الاسلام كما فعل بابي سفيان وعكرمه بن ابي جهل وسهيل بن عمرو والله عليم حكيم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكه " ارفعوا السيف الا خزاعه من بني بكر الى العصر "**

**وقال القرطبى : قوله تعالى {ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم} القراءة بالرفع على الاستئناف لانه ليس من جنس الاول ولهذا لم يقل " ويتب " بالجزم لان القتال غير موجب لهم التوبه من الله جل وعز وهو موجب لهم العذاب والخزي وشفاء صدور المومنين وذهاب غيظ قلوبهم ونظيره { فان يشا الله يختم على قلبك } تم الكلام ثم قال {ويمح الله الباطل } والذين تاب الله عليهم مثل ابي سفيان وعكرمه بن ابي جهل وسليم بن ابي عمرو فانهم اسلموا وقرا ابن ابي اسحاق ويتوب بالنصب وكذا روي عن عيسى الثقفي والاعرج وعليه فتكون التوبه داخله في جواب الشرط لان المعنى ان تقاتلوهم يعذبهم الله وكذلك ما عطف عليه ثم قال ويتوب الله اي ان تقاتلوهم فجمع بين تعذيبهم بايديكم وشفاء صدوركم واذهاب غيظ قلوبكم والتوبه عليكم والرفع احسن لان التوبه لا يكون سببها القتال اذ قد توجد بغير قتال لمن شاء الله ان يتوب عليه في كل حال (1)**

**#وقال تعالى : { ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم(27) } التوبة**

**00000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت - موقع {ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم}**

**قال ابن عاشور : ثم للتراخي الرتبي ، عطف على جملة {ثم أنزل الله سكينته على رسوله} إلى قوله { وذلك جزاء الكافرين } . وهذا إشارة إلى إسلام هوازن بعد تلك الهزيمة فإنهم جاءوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسلمين تائبين ، وسألوه أن يرد إليهم سبيهم وغنائمهم ، فذلك أكبر منة في نصر المسلمين إذ أصبح الجند العدو لهم مسلمين معهم ، لا يخافونهم بعد ذلك اليوم .**

**والمعنى : ثم تاب الله عليهم ، أي على الذين أسلموا منهم فقوله : يتوب الله من بعد ذلك دليل المعطوف بـ ( ثم ) ولذلك أتي بالمضارع في قوله : " يتوب الله دون الفعل الماضي : لأن المقصود ما يشمل توبة هوازن وتوبة غيرهم ، للإشارة إلى إفادة تجدد التوبة على كل من تاب إلى الله لا يختص بها هوازن فتوبته على هوازن قد عرفها المسلمون ، فأعلموا بأن الله يعامل بمثل ذلك كل من ندم وتاب ، فالمعنى : ثم تاب الله عليهم ويتوب الله على من يشاء .**

**وجملة والله غفور رحيم تذييل للكلام لإفادة أن المغفرة من شأنه تعالى ، وأنه رحيم بعباده إن أنابوا إليه وتركوا الإشراك به .(1)**

**#الله له الخيرة في أن يتوب أو لا يتوب على من يشاء وفق علمه وحكمته**

**قال تعالى : { ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون(128) } آل عمران**

**قال ابن حجر : باب ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون قال حميد وثابت عن أنس شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت ليس لك من الأمر شيء**

**أخرج البخاري بسنده من حديث سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الآخرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله{ ليس لك من الأمر شيء } إلى قوله {فإنهم ظالمون } ،وعن حنظلة بن أبي سفيان سمعت سالم بن عبد الله يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام فنزلت { ليس لك من الأمر شيء } إلى قوله {فإنهم ظالمون}**

**أي بيان سبب نزول هذه الآية ، وقد ذكر في الباب سببين ، ويحتمل أن تكون نزلت في الأمرين جميعا فإنهما كانا في قصة واحدة { وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم } (106) } التوبة**

**000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع إسلام ويب**

**{ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما (24) } الأحزاب (1)**

**قال ابن كثير : ثم اعترض بجمله دلت على ان الحكم في الدنيا والاخره له وحده لا شريك له فقال {ليس لك من الامر شيء } اي بل الامر كله الي كما قال {فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب } الرعد 40 وقال {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} البقره 272 وقال { انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء } القصص 56 ، قال محمد بن اسحاق في قوله { ليس لك من الامر شيء} اي ليس لك من الحكم شيء في عبادي الا ما امرتك به فيهم ثم ذكر تعالى بقيه الاقسام فقال او يتوب عليهم اي مما هم فيه من الكفر ويهديهم بعد الضلاله او يعذبهم اي في الدنيا والاخره على كفرهم وذنوبهم ولهذا قال فانهم ظالمون اي يستحقون ذلك**

**وقال السعدي :وفي هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئا وتكون الخيرة والمصلحة في غيره، وأن الرسول ليس له من الأمر شيء فغيره من باب أولى ففيها أعظم رد على من تعلق بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، نقص في العقل، يتركون من الأمر كله له , ويدعون من لا يملك من الأمر مثقال ذرة، إن هذا لهو الضلال البعيد،**

**وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته عليهم أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم سببا موجبا لذلك، ليدل ذلك على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير سبق سبب من العبد ولا وسيلة،**

**ولما ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه على العذاب بالفاء المفيدة للسببية، فقال {أو يعذبهم فإنهم ظالمون} ليدل ذلك على كمال عدل الله وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده بل العبد هو الذي ظلم نفسه (2)**

**وقال ابن عاشور وجملة ليس لك من الامر شيء معترضه بين المتعاطفات والخطاب للنبيء صلى الله عليه وسلم فيجوز ان تحمل على صريح لفظها فيكون المعنى نفي ان يكون للنبيء ؛ اي لقتاله الكفار بجيشه من المسلمين تاثير في حصول النصر يوم بدر فان المسلمين كانوا في قله من كل جانب من جوانب القتال ؛ اي فالنصر حصل بمحض فضل الله على المسلمين وهذا من معنى قوله {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى } الانفال 17 ولفظ الامر من قوله {ليس لك من الامر شيء } معناه الشان و ال فيه للعهد اي من الشان الذي عرفتموه**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع إسلام ويب- فتح الباري شرح صحيح البخاري لا بن حجر العسقلاني**

**(2)الأنترنت – ملتقى أهل التفسير**

**وهو النصر ويجوز ان تحمل الجمله على انها كنايه عن صرف النبيء عليه الصلاه والسلام عن الاشتغال بشان ما صنع الله بالذين كفروا من قطع طرفهم وكبتهم او توبته عليهم او تعذيب لهم اي فذلك موكول الينا نحققه متى اردنا ويتخلف متى اردنا على حسب ما تقتضيه حكمتنا وذلك كالاعتذار عن تخلف نصر المسلمين يوم احد فلفظ الامر بمعنى شان المشركين والتعريف فيه عوض عن المضاف اليه اي ليس لك من امرهم اهتمام وهذا تذكير بما كان للنبيء صلى الله عليه وسلم يوم بدر من تخوف ظهور المشركين عليه والحاحه في الدعاء بالنصر ولعل النبيء صلى الله عليه وسلم كان يود استيصال جميع المشركين يوم بدر حيث وجد مقتضى ذلك وهو نزول الملائكه لاهلاكهم فذكره الله بذلك انه لم يقدر استيصالهم جميعا بل جعل الانتقام منهم الوانا فانتقم من طائفه بقطع طرف منهم ومن بقيتهم بالكبت وهو الحزن على قتلاهم وذهاب روسائهم واختلال امورهم واستبقى طائفه ليتوب عليهم ويهديهم فيكونوا قوة للمسلمين فيومنوا بعد ذلك وهم من آمن من اهل مكه قبل الفتح ويوم الفتح مثل : ابي سفيان والحارث بن هشام اخي ابي جهل وعكرمه بن ابي جهل وصفوان بن اميه وخالد بن الوليد ، وعذب طائفه عذاب الدنيا بالاسر او بالقتل مثل : ابن خطل والنضر بن الحارث فلذلك قيل له ليس لك من الامر شيء ووضعت هذه الجملة بين المتعاطفات ليظهر ان المراد من الامر هو الامر الدائر بين هذه الاحوال الاربعة من احوال المشركين اي ليس لك من امر هذه الاحوال الاربعة شيء ولكنه موكول الى الله هو اعلم بما سيصيرون اليه وجعل هذه الجمله قبل قوله او يتوب عليهم استئناس للنبيء صلى الله عليه وسلم اذ قدم ما يدل على الانتقام منهم لاجله ثم اردف بما يدل على العفو عنهم ثم اردف بما يدل على عقابهم ففي بعض هذه الاحوال ارضاء له من جانب الانتصار له وفي بعضها ارضاء له من جانب تطويعهم له ولاجل هذا المقصد عاد الكلام الى بقيه عقوبات المشركين بقوله تعالى {او يعذبهم } ولكون التذكير بيوم بدر وقع في خلال الاشاره الى وقعه احد كان في هذا التقسيم ايماء الى ما يصلح بيانا لحكمة الهزيمة اللاحقه المسلمين يوم احد اذ كان في استبقاء كثير من المشركين لم يصبهم القتل يومئذ ادخار فريق عظيم منهم للاسلام فيما بعد بعد ان حصل رعبهم من المسلمين بوقعه بدر وان حسبوا للمسلمين اي حساب بما شاهدوه من شجاعتهم يوم احد وان لم ينتصروا ولا يستقيم ان يكون قوله ليس لك من الامر شيء متعلقا باحوال يوم احد لان سياق الكلام ينبو عنه وحال المشركين يوم احد لا يناسبه قوله {ليقطع طرفا من الذين كفروا }الى قوله {خائبين } ووقع في صحيح مسلم عن انس بن مالك ان النبيء صلى الله عليه وسلم شج وجهه وكسرت رباعيته يوم احد وجاء المسلمون يمسحون الدم عن وجه نبيهم فقال النبيء عليه السلام " كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم " اي في حال انه يدعوهم الى الخير عند ربهم فنزلت الايه ومعناه لا تستبعد فلاحهم ولا شك ان قوله فنزلت هذه الايه متاول على اراده فذكر النبيء صلى الله عليه وسلم بهذه الايه لظهور ان ما ذكروه غير صالح لان يكون سببا لان النبيء تعجب من فلاحهم او استبعده ولم يدع لنفسه شيئا او عملا حتى يقال ليس لك من الامر شيء (1)**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000000 (1)الأنترنت – موقع { ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون}**

**# من خلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليه**

**قال تعالى : { وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (التوبة - 102)**

**قال الطبرى : يقول تعالى ذكره ومن اهل المدينه منافقون مردوا على النفاق ومنهم "اخرون اعترفوا بذنوبهم " يقول اقروا بذنوبهم {خلطوا عملا صالحا }يعني جل ثناوه بالعمل الصالح الذي خلطوه بالعمل السيئ اعترافهم بذنوبهم وتوبتهم منها والاخر السيئ هو تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج غازيا وتركهم الجهاد مع المسلمين**

**فان قال قائل وكيف قيل خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وانما الكلام خلطوا عملا صالحا باخر سيئ قيل قد اختلف اهل العربيه في ذلك فكان بعض نحويي البصره يقول قيل ذلك كذلك وجائز في العربيه ان يكون " باخر " كما تقول " استوى الماء والخشبه " اي بالخشبه " وخلطت الماء واللبن " وانكر اخرون ان يكون نظير قولهم " استوى الماء والخشبه " واعتل في ذلك بان الفعل في " الخلط" عامل في الاول والثاني وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه وان تقديم " الخشبه " على " الماء " غير جائز في قولهم " استوى الماء والخشبه " وكان ذلك عندهم دليلا على مخالفه ذلك " الخلط"**

**قال ابو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي انه بمعنى قولهم " خلطت الماء واللبن " بمعنى خلطته باللبن " عسى الله ان يتوب عليهم " يقول لعل الله ان يتوب عليهم " وعسى " من الله واجب وانما معناه سيتوب الله عليهم ولكنه في كلام العرب على ما وصفت " ان الله غفور رحيم " يقول ان الله ذو صفح وعفو لمن تاب عن ذنوبه وساتر له عليها " رحيم " به ان يعذبه بها ،وقد اختلف اهل التاويل في المعني بهذه الآيه والسبب الذي من اجله انـزلت فيه فقال بعضهم نـزلت في عشرة انفس كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوه تبوك منهم ابو لبابه فربط سبعه منهم انفسهم الى السواري عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم توبه منهم من ذنبهم \* قال ابن عباس قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا قال كانوا عشره رهط تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوه تبوك فلما حضر رجوع النبي صلى الله عليه وسلم اوثق سبعه منهم انفسهم بسواري المسجد فكان ممر النبي صلى الله عليه وسلم اذا رجع في المسجد عليهم فلما راهم قال من هولاء الموثقون انفسهم بالسواري قالوا هذا ابو لبابه واصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله وحلفوا لا يطلقهم احد حتى تطلقهم وتعذرهم فقال النبي عليه السلام وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق انفسنا حتى يكون الله الذي يطلقنا فانـزل الله تبارك وتعالى {واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم } و " عسى " من الله واجب فلما نـزلت ارسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاطلقهم وعذرهم \* \* \* وقال اخرون بل كانوا سته احدهم ابو لبابه ........**

**وقال ابن كثير : لما بين تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذيبا وشكا شرع في بيان حال المذنبين الذين تاخروا عن الجهاد كسلا وميلا الى الراحة مع ايمانهم وتصديقهم بالحق فقال {واخرون اعترفوا بذنوبهم } اي اقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم اعمال اخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهولاء تحت عفو الله وغفرانه وهذه الآية وان كانت نزلت في اناس معينين الا انها عامة في كل المذنبين الخاطئين المخلطين المتلوثين وقد قال مجاهد انها نزلت في ابي لبابة لما قال لبني قريظه انه الذبح واشار بيده الى حلقه وقال ابن عباس واخرون نزلت في ابي لبابه وجماعة من اصحابه تخلفوا عن غزوه تبوك فقال بعضهم ابو لبابه وخمسة معه وقيل وسبعة معه وقيل وتسعة معه فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوته ربطوا انفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انزل الله هذه الايه {واخرون اعترفوا بذنوبهم } اطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم وعفا عنهم**

**واخرج البخاري بسنده من حديث سمره بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا " اتاني الليله اتيان فابتعثاني فانتهينا الى مدينه مبنيه بلبن ذهب ولبن فضه فتلقانا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صوره قالا لي هذه جنه عدن وهذا منزلك قالا اما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فتجاوز الله عنهم " هكذا رواه مختصرا في تفسير هذه الايه**

**وقال ابن عاشور : الاظهر ان جملة {وءاخرون اعترفوا }عطف على جمله {وممن حولكم } التوبه 101 اي وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينه اخرون اذنبوا بالتخلف فاعترفوا بذنوبهم بالتقصير فقوله ايجاز لانه يدل على انهم اذنبوا واعترفوا بذنوبهم ولم يكونوا منافقين لان التعبير بالذنوب بصيغه الجمع يقتضي انها اعمال سيئه في حالة الايمان وكذلك التعبير عن ارتكاب الذنوب بخلط العمل الصالح بالسيىء وكان من هولاء جماعه منهم الجد بن قيس وكردم وارس بن ثعلبه ووديعه بن حزام ومرداس وابو قيس وابو لبابه في عشره نفر اعترفوا بذنبهم في التخلف عن غزوه تبوك وتابوا الى الله وربطوا انفسهم في سوارى المسجد النبوي اياما حتى نزلت هذه الايه في توبة الله عليهم والاعتراف افتعال من عرف وهو للمبالغه في المعرفه ولذلك صار بمعنى الاقرار بالشيء وترك انكاره فالاعتراف بالذنب كنايه عن التوبه منه لان الاقرار بالذنب الفائت انما يكون عند الندم والعزم على عدم العود اليه ولا يتصور فيه الاقلاع الذي هو من اركان التوبه لانه ذنب مضى ولكن يشترط فيه العزم على ان لا يعود وخلطهم العمل الصالح والسيىء هو خلطهم حسنات اعمالهم بسيئات التخلف عن الغزو وعدم الانفاق على الجيش وقوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا جاء ذكر الشيئين المختلطين بالعطف بالواو على اعتبار استوائهما في وقوع فعل الخلط عليهما ويقال خلط كذا بكذا على اعتبار احد الشيئين المختلطين متلابسين بالخلط والتركيبان متساويان في المعنى ولكن العطف بالواو اوضح واحسن فهو افصح وعسى فعل رجاء وهي من كلام الله تعالى المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم فهي كنايه عن وقوع المرجو وان الله قد تاب عليهم ولكن ذكر فعل الرجاء يستتبع معنى اختيار المتكلم في وقوع الشيء وعدم وقوعه ومعنى ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم وقد تقدم عند قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه في سوره البقره 37 وجمله ان الله غفور رحيم تذييل مناسب للمقام (1)**

**#فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه**

**قال تعالى :{ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم (39) } المائدة**

**قال المنجد : أولاً : التوبة : هي الرجوع إلى الله تعالى ، والندم على ما سلف من الذنوب ، والإقلاع عن المعاصي ، الصحيح الصادق على ألا يعاود الذنب في المستقبل .**

**قال ابن القيم رحمه الله : " حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ : هِيَ النَّدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي ، وَالْإِقْلَاعُ عَنْهُ فِي الْحَالِ ، وَالْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يُعَاوِدَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ "(2)**

**وقال علماء اللجنة الدائمة للإفتاء : " التوبة هي: التخلي والرجوع عن الذنوب والمعاصي من فعل محرم أو ترك واجب " (3)**

**وإذا كانت هذه هي التوبة فلا يمكن أن يُتصور إنسان تاب ولم يعمل صالحا ، لأنه إن كانت معصيته بترك واجب ، كترك صلاة أو زكاة أو صيام فتوبته بفعل ذلك الواجب والمحافظة عليه ، وذلك عمل صالح ، وإن كانت معصيته بفعل محرم كالزنا والربا وشرب الخمر والكذب والسرقة والغش ، فتوبته بترك ذلك ، وترك المعصية خوفا من الله تعالى عمل صالح .**

**ولذلك تعرف التوبة بأنها : " الرجوع من معصية الله إلى طاعته " .(4)**

**00000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع { عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم }**

**(2)من "مدارج السالكين" (1/ 199).**

**(3)من "فتاوى اللجنة الدائمة" (24/ 303) .**

**(4) من "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (20/ 401) .**

**ثانياً : لابد للتائب من أن يعمل صالحا بعد توبته ؛ إلا أن بعض الناس قد يقتصر في عمله الصالحات بما يختص بالذنب التائب منه فقط ، وبعض الناس يزيد من العمل الصالح كالصدقة والصيام والصلاة ... إلخ . ليكون ذلك تكميلا لتوبته .**

**وقد قرن الله تعالى التوبة بالعمل الصالح في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، فقال عز وجل :( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ) مريم/ 60 .وقال عز وجل : ( وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ) طه/ 82 . وقال سبحانه : ( إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) الفرقان/ 70 . وقال سبحانه : ( فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ) القصص/ 67 . وقال تعالى : ( فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) المائدة/ 39 .**

**قال ابن عطية رحمه الله :" المعنى عند جمهور أهل العلم : أن من تابَ من السرقة فندم على ما مضى وأقلع في المستأنف وأصلح برد الظلامة إن أمكنه ذلك وإلا فبإنفاقها في سبيل الله ، وَأَصْلَحَ أيضا في سائر أعماله وارتفع إلى فوق : (فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ) ويذهب عنه حكم السرقة فيما بينه وبين الله تعالى "(1)**

**وقال القرطبي :" وَلَا يَكْفِي فِي التَّوْبَةِ عِنْدَ عُلَمَائِنَا قَوْلُ الْقَائِلِ : قَدْ تُبْتُ ، حَتَّى يَظْهَرَ مِنْهُ فِي الثَّانِي خِلَافُ الْأَوَّلِ ، فَإِنْ كَانَ مُرْتَدًّا رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ مُظْهِرًا شَرَائِعَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي ظَهَرَ مِنْهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، وَجَانَبَ أَهْلَ الْفَسَادِ وَالْأَحْوَالَ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَوْثَانِ جَانَبَهُمْ وَخَالَطَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَهَكَذَا يَظْهَرُ عَكْسَ مَا كَانَ عَلَيْهِ " (2)**

**وقال ابن القيم رحمه الله :" وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِنَّمَا يُفَسِّرُ التَّوْبَةَ بِالْعَزْمِ عَلَى أَنْ لَا يُعَاوِدَ الذَّنْبَ ، وَبِالْإِقْلَاعِ عَنْهُ فِي الْحَالِ، وَبِالنَّدَمِ عَلَيْهِ فِي الْمَاضِي ، وَإِنْ كَانَ فِي حَقِّ آدَمِيٍّ فَلَا بُدَّ مِنْ أَمْرٍ رَابِعٍ ، وَهُوَ التَّحَلُّلُ مِنْهُ.**

**وَهَذَا الَّذِي ذَكَرُوهُ بَعْضُ مُسَمَّى التَّوْبَةِ بَلْ شَرْطُهَا، وَإِلَّا فَالتَّوْبَةُ فِي كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ - كَمَا تَتَضَمَّنُ ذَلِكَ - تَتَضَمَّنُ الْعَزْمَ عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورِ وَالْتِزَامِهِ فَلَا يَكُونُ بِمُجَرَّدِ الْإِقْلَاعِ وَالْعَزْمِ وَالنَّدَمِ تَائِبًا، حَتَّى يُوجَدَ مِنْهُ الْعَزْمُ الْجَازِمُ عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَالْإِتْيَانِ بِهِ، هَذَا حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ ، وَهِيَ اسْمٌ لِمَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ ، لَكِنَّهَا إِذَا قُرِنَتْ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ كَانَتْ عِبَارَةً عَمَّا ذَكَرُوهُ ، فَإِذَا أُفْرِدَتْ تَضَمَّنَتِ الْأَمْرَيْنِ .**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) من "تفسير ابن عطية" (2/ 189) .**

**(2) من " تفسير القرطبي" (2/ 187) .**

**فَإِنَّ حَقِيقَةَ التَّوْبَةِ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِالْتِزَامِ فَعْلِ مَا يُحِبُّ ، وَتَرْكِ مَا يَكْرَهُ ، فَهِيَ رُجُوعٌ مِنْ مَكْرُوهٍ إِلَى مَحْبُوبٍ ، فَالرُّجُوعُ إِلَى الْمَحْبُوبِ جُزْءُ مُسَمَّاهَا ، وَالرُّجُوعُ عَنِ الْمَكْرُوهِ الْجُزْءُ الْآخَرُ، وَلِهَذَا عَلَّقَ سُبْحَانَهُ الْفَلَاحَ الْمُطْلَقَ عَلَى فِعْلِ الْمَأْمُورِ وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ بِهَا، فَقَالَ : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) النور/31 ، فَكُلُّ تَائِبٍ مُفْلِحٌ ، وَلَا يَكُونُ مُفْلِحًا إِلَّا مَنْ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ وَتَرَكَ مَا نُهِيَ عَنْهُ ... فَالتَّائِبُونَ هُمُ (الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) فَحِفْظُ حُدُودِ اللَّهِ جُزْءُ التَّوْبَةِ، وَالتَّوْبَةُ هِيَ مَجْمُوعُ هَذِهِ الْأُمُورِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ تَائِبًا لِرُجُوعِهِ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ مِنْ نَهْيِهِ ، وَإِلَى طَاعَتِهِ مِنْ مَعْصِيَتِهِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ...**

**فالتَّوْبَةُ هِيَ الرُّجُوعُ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَى مَا يُحِبُّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَيَدْخُلُ فِي مُسَمَّاهَا الْإِسْلَامُ ، وَالْإِيمَانُ ، وَالْإِحْسَانُ ، وَتَتَنَاوَلُ جَمِيعَ الْمَقَامَاتِ ؛ أي أنها درجات كثيرة على حسب ما يأتي به التائب من الأعمال الصالحة ، وَلِهَذَا كَانَتْ غَايَةَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَبِدَايَةَ الْأَمْرِ وَخَاتِمَتَهُ، كَمَا تَقَدَّمَ ، وَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي وُجِدَ لِأَجْلِهَا الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، وَالتَّوْحِيدُ جُزْءٌ مِنْهَا، بَلْ هُوَ جُزْؤُهَا الْأَعْظَمُ الَّذِي عَلَيْهِ بِنَاؤُهَا.**

**وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ قَدْرَ التَّوْبَةِ وَلَا حَقِيقَتَهَا ، فَضْلًا عَنِ الْقِيَامِ بِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا وَحَالًا، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ تَعَالَى مَحَبَّتَهُ لِلتَّوَّابِينَ إِلَّا وَهُمْ خَوَاصُّ الْخَلْقِ لَدَيْهِ ، وَلَوْلَا أَنَّ التَّوْبَةَ اسْمٌ جَامِعٌ لِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ لَمْ يَكُنِ الرَّبُّ تَعَالَى يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ ذَلِكَ الْفَرَحَ الْعَظِيمَ ، فَجَمِيعُ مَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ هُوَ تَفَاصِيلُ التَّوْبَةِ وَآثَارُهَا " .(1)**

**ثالثا : أما وقت العمل الصالح الذي يكون مع التوبة ، فالعمل الصالح المتعلق بالمعصية التي تاب منها ، كالمحافظة على الواجبات ورد المظالم إلى أهلها ، فذلك العمل جزء من التوبة لا تصح إلا به ، فلابد أن يكون مقترنا بها ، أما ما زاد على ذلك من الأعمال الصالحة فليس له وقت محدد ، وكلما أكثر التائب من عمل الصالحات كان ذلك أحسن وأكمل .والله تعالى أعلم .(2)**

**وقال طنطاوي : اى فمن تاب الى الله تعالى توبة صادقة من بعد ظلمه لنفسه بسبب ايقاعها في المعاصي التي من اكبرها السرقة واصلح عمله بالطاعات التي تمحو السيئات فان الله يتوب عليه اى يقبل توبته ويغسل حوبته 0000000000000000000000000000000000000000**

**(1) من "مدارج السالكين" (1/ 312-314).**

**(2)الأنترنت – موقع الإسلام سؤال وجواب للمنجد**

**ان الله واسع المغفره والرحمه ومن مظاهر ذلك انه سبحانه فتح لعباده باب التوبه والانابه فالايه الكريمه ترغب العصاه من السراق وغيرهم في التوبه الى الله وفي الرجوع الى طاعته حتى ينالوا مغفرته ورحمته(1)**

**#يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ويعذب المنافقين والمشركين**

**قال تعالى :{ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما(73) } الأحزاب**

**قال الطبري : يَقُول تَعَالَى ذِكْره : وَحَمَلَ الْإِنْسَان الْأَمَانَةَ كَيْمَا يُعَذِّبَ اللَّه الْمُنَافِقِينَ فِيهَا الَّذِينَ يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يُؤَدُّونَ فَرَائِض اللَّه , مُؤْمِنِينَ بِهَا , وَهُمْ مُسْتَسِرُّونَ الْكُفْرَ بِهَا , { وَالْمُنَافِقَات وَالْمُشْرِكِينَ } بِاللَّهِ فِي عِبَادَتهمْ إِيَّاهُ الْآلِهَة وَالْأَوْثَان , { وَالْمُشْرِكَات وَيَتُوب اللَّه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات } يَرْجِع بِهِمْ إِلَى طَاعَته , وَأَدَاء الْأَمَانَات الَّتِي أَلْزَمهُمْ إِيَّاهَا حَتَّى يُؤَدُّوهَا { وَكَانَ اللَّه غَفُورًا } لِذُنُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات , بِسِتْرِهِ عَلَيْهَا , وَتَرْكه عِقَابَهُمْ عَلَيْهَا { رَحِيمًا } أَنْ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا بَعْدَ تَوْبَتهمْ مِنْهَا**

**وقال القرطبي: قال ابن عباس وأصحابه والضحاك وغيره : "الإنسان" آدم، تحمل الأمانة فما تم له يوم حتى عصى المعصية التي أخرجته من الجنة. وعن ابن عباس أن الله تعالى قال له : أتحمل هذه الأمانة بما فيها. قال وما فيها؟ قال : إن أحسنت جزيت وإن أسأت عوقبت. قال : أنا أحملها بما فيها بين أذني وعاتقي. فقال الله تعالى له : إني سأعينك، قد جعلت لبصرك حجابا فأغلقه عما لا يحل لك، ولفرجك لباسا فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك. وقال قوم: "الإنسان" النوع كله. وهذا حسن مع عموم الأمانة كما ذكرناه أولا. وقال السدي : الإنسان قابيل . قوله تعالى: { ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات} اللام في "ليعذب" متعلقة بـ "حمل" أي حملها ليعذب العاصي ويثبت المطيع؛ فهي لام التعليل؛ لأن العذاب نتيجة حمل الأمانة. وقيل بـ "عرضنا"؛ أي عرضنا الأمانة على الجميع ثم قلدناها الإنسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافقين ليعذبهم : الله، وإيمان المؤمن ليثيبه الله. { ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات} قراءة الحسن بالرفع، يقطعه من الأول؛ أي يتوب الله عليهم بكل حال. { وكان الله غفورا رحيما} خبر بعد خبر "لكان". ويجوز أن يكون نعتا لغفور، ويجوز أن يكون حالا من المضمر. والله أعلم بالصواب. (2)**

**000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – صفحة { فمن تاب من بعد ظلمه واصلح }**

**(2)الأنترنت – موقع الرو 7**

**#التوبة والإستغفار من الأسبابُ العشرة المانعةُ من العقوبة**

**ذكر تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى عشرة أسباب مانعة من العقوبة بإذن الله تعالى, وقد ذكرها في عدة مواضع من كتبه في الفتاوى وغيرها, وقد رأيت أن أجمع موضع لها وأحسن عرض ما سطّره في منهاج السنة النبوية فقال :**

**السبب الأول: التوبة, فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له, والتوبة مقبولة من جميع الذنوب الكفر والفسوق والعصيان, قال الله تعالى: "قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف" وقال تعالى: "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين" وقال تعالى: "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا اله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم" وقال سبحانه: "إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق" قال الحسن البصري رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود, فتنوا أولياءه وعذبوهم بالنار ثم هو يدعوهم إلى التوبة.**

**والتوبة عامة لكل عبد مؤمن كما قال تعالى: "وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما" وقد أخبر الله في كتابه عن توبة أنبيائه ودعائهم بالتوبة كقوله عز وجل: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم" وقولِ إبراهيم وإسماعيل: "ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمه مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم" وقال موسى: "أنت ولينا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك" وقوله: "رب إني ظلمت نفسي فأغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم" وكذلك ما ذكره في قصة داود وسليمان وغيرهما. وأما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فكثير مشهور, وأصحابه كانوا أفضلَ قرونِ الأمة فهم أعرف القرون بالله وأشدهم له خشية, وكانوا أقومَ الناس بالتوبة في حياته وبعد مماته.**

**والله سبحانه يرفع عبده بالتوبة, وإذا ابتلاه بما يتوب منه فالمقصود كمال النهاية لا نقص البداية, فإنه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين, وهو يبدّلُ بالتوبة السيئاتِ حسنات, والذنبُ مع التوبة يوجب لصاحبه من العبودية والخشوع والتواضع والدعاء وغير ذلك ما لم يكن يحصل قبل ذلك, ولهذا قال طائفة من السلف: إن العبد ليفعل الذنب فيدخلَ به الجنة, ويفعل الحسنة فيدخلَ بها النار, يفعل الذنب فلا يزال نصب عينيه إذا ذكره تاب إلى الله ودعاه وخشع له فيدخل به الجنة, ويفعل الحسنة فيُعجب بها فيدخلَ النار. وفي الأثر: "لو لم تذنبوا لخفت عليكم ما هو أعظم من الذنب وهو العُجْب" وفي أثر آخر: "لو لم تكن التوبةُ أحبَّ الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرمَ الخلق عليه" وفي أثر آخر يقول الله تعالى: "أهل ذكرى أهلُ مُجالستي, وأهلُ شكري أهل زيادتي, وأهلُ طاعتي أهلُ كرامتي, وأهل معصيتي لا اقنّطُهم من رحمتي, إن تابوا فأنا حبيبهم, فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين, وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم, أبتليهم بالمصائب لأطهّرهم من المعايب" والتائبُ حبيبُ الله, سواء كان شاباًّ أو شيخاً.**

**السبب الثاني: الاستغفارُ, فإن الاستغفارَ هو طلب المغفرة, وهو من جنس الدعاء والسؤال, وهو مقرون بالتوبة في الغالب ومأمورٌ به, لكن قد يتوب الإنسان ولا يدعو, وقد يدعو ولا يتوب, وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: "أذنب عبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي, فقال الله تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب, ثم عاد فأذنب فقال: أي ربِّ اغفر لي ذنبي, فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب, ثم عاد فأذنب, فقال: أي رب اغفر لي ذنبي, فقال تعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدي" والتوبة تمحو جميع السيئات وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة, فإن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء, وأما التوبة فإنه قال تعالى: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم" وهذه لمن تاب, ولهذا قال: "لا تقنطوا من رحمة الله" وقال: بعدها: "وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون" وأما الاستغفار بدون التوبة فهذا لا يستلزم المغفرة, ولكن هو سبب من الأسباب.**

**السبب الثالث: الأعمالُ الصالحة, فإن الله تعالى يقول: "إن الحسنات يذهبن السيئات" وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل يوصيه: "يا معاذ اتق الله حيثما كنت, وأتبع السيئة الحسنة تمحها, وخالق الناس بخلق حسن" وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر" أخرجاه في الصحيحين, وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه" وقال: "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" وقال: "أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهراً يغتسل فيه كلَّ يوم خمسَ مرات هل كان يبقى من دونه شيء" قالوا: لا, قال: "كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا كما يمحو الماء الدرن" وهذا كلّه في الصحيح وقال: "الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار" رواه الترمذي وصححه, وقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفرْ لكم ذنوبَكم ويدخلْكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبةً في جنات عدن ذلك الفوز العظيم" وفي الصحيح: "يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين" وما رُوي أنَّ شهيد البحر يُغفر له الدَّيْنُ فإسناده ضعيف والدَّيْنُ حقٌّ لآدميٍّ فلابد من استيفائه, وفي الصحيح: "صومُ يومِ عرفةَ كفارةُ سنتين, وصومُ يومِ عاشوراء كفارة سنة"**

**ومثل هذه النصوص كثير وشرح هذه الأحاديث يحتاج إلى بسط كثير, فإن الإنسان قد يقول: إذا كُفَّرَ عنّى بالصلوات الخمس فأي شيء تكفِّرُ عني الجمعة أو رمضان وكذلك صوم يوم عرفة وعاشوراء؟ وبعض الناس يجيب عن هذا بأنه يكتب لهم درجات إذا لم تجدْ ما تكفّره من السيئات, فيقال: أولاً: العملُ الذي يمحو الله به الخطايا ويكفر به السيئات هو العمل المقبول, والله تعالى إنما يتقبل من المتقين. قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: "ليبلوكم أيكم أحسن عملاً" قال: أخلصُهُ وأصوبه, قيل: يا أبا علي, ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل, وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل, حتى يكون خالصاً صواباً, والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة. فصاحب الكبائر إذا اتقى الله في عمل من الأعمال تقبل الله منه, وَمَنْ هو أفضلُ منه إذا لم يتقِ الله في عمل لم يتقبله منه وإن تقبّل منه عملاً آخر. وإذا كان الله يتقبل ممن يعمل العمل على الوجه المأمور به, ففي السنن عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن العبد لينصرفُ عن صلاته ولم يُكتب له منها إلا نصفُها إلا ثلثُها إلا ربعُها" حتى قال: "إلا عشرها" وقال ابن عباس: ليس لك من صلاتك إلا ما عقلتَ منها. وفي الحديث: "رُبَّ صائم حظه من صيامه العطش, ورب قائم حظه من قيامه السهر" وكذلك الحج والجهاد وغيرهما, وفي حديث معاذ موقوفاً ومرفوعاً وهو في السنن: "الغزوُ غزوانِ, فغزو يُبتغى به وجهُ الله, ويطاعُ فيه الأمير, وتنفقُ فيه كرائمُ الأموال, ويُياسَرُ فيه الشريكُ, ويُجتنبُ فيه الفسادُ, ويُتقى فيه الغُلُولُ؛ فذلك الذي لا يعدله شيء, وغزوٌ لا يبتغى به وجهُ الله, ولا يُطاعُ فيه الأمير, ولا تنفقُ فيه كرائمُ الأموال, ولا يُياسرُ فيه الشريك, ولا يُجتنبُ فيه الفسادُ, ولا يُتقى فيه الغُلولُ؛ فذاك حَسْبُ صاحبه أن يرجع كفافاً" وقيل لبعض السلف: الحاجُّ كثير, فقال: الدَّاجُّ كثيرٌ, والحاجُّ قليل. ومثلُ هذا كثير, فالمحوُ والتكفيرُ يقعُ بما يُتقبلُ من الأعمال, وأكثرُ الناس يقصّرون في الحسنات, حتى في نفسِ صلاتهم, فالسعيدُ منهم من يُكتب له نصفها! وهم يفعلون السيئاتِ كثيراً فلهذا يُكَفّرُ بما يُقبل من الصلوات الخمس شيءٌ, وبما يُقبل من الجمعة شيءُ, وبما يُقبل من صيامِ رمضان شيءٌ آخر, وكذلك سائرُ الأعمال. وليس كلُّ حسنةِ تمحو كلَّ سيئة, بل المحوُ يكون للصغائر تارة, ويكون للكبائر تارة باعتبار الموازنة.\_فالحسنة الكبيرة تكفّر السيئة الكبيرة\_ والنوع الواحدُ من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يُكمل فيه إخلاصَه وعبوديتَهُ, لله فيغفرَ اللهُ له به كبائرَ, كما في الترمذي وابنِ ماجه وغيرهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يُصاحُ برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق, فينشرُ عليه تسعةٌ وتسعون سجلاً, كلُّ سجل منها مدَّ البصر فيقال: هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب, فيقول: لا ظُلمَ عليك, فتُخرجُ له بطاقةٌ قدرُ الكفِّ, فيها شهادةُ أن لا إله إلا الله, فيقول: أين تقعُ هذه البطاقةُ مع هذه السجلاتِ؟ فتُوضعُ البطاقةُ في كِفّّه والسجلات في كفة فثقلت البطاقة وطاشت السجلات" فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق كما قالها هذا الشخص, وإلا فأهلُ الكبائر الذين دخلوا النار كلُّهم كانوا يقولون: لا إله إلا الله, ولم يترجَّحْ قولُهُم على سيئاتهم, كما رجح قولُ صاحب البطاقة, وكذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه فيها العطش, فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج, فإذا كلب يلهثُ يأكلُ الثرى من العطش, فقال الرجل: "لقد بلغ هذا الكلبُ من العطش مثلُ الذي كان بلغَ منِّي, فنزل البئرَ فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رَقَيَ فسقى الكلبَ فشكرَ اللهُ له فغفر له" وفي لفظ في الصحيحين: "إن امرأةً بغيًّا رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانَه من العطش, فنزعت له مُوقَهَا فسقته به, فغُفِرَ لها" وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما رجل يمشي في طريق, وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره, فشكر الله له فغفر له"**

**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دخلت أمرأة النار في هرة ربطتها, لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت" فهذه سقتِ الكلب بإيمان خالص كان في قلبها فغُفر لها, وإلا فليس كلُّ بغيٍّ تسقي كلباً يُغفرُ لها. وكذلك هذا الذي نحّى غصنَ الشوك عن الطريق فعله إذ ذاك بإيمان خالصٍ وإخلاصٍ قائمٍ بقلبه فغُفر له بذلك, فإن الأعمالَ تتفاضلُ بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص, وإن الرجلين ليكونُ مقامُهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض, وليس كل من نحّى غصن شوك عن الطريق يُغفرُ له, قال الله تعالى: "لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤُها ولكن يناله التقوى منكم" فالناس يشتركون في الهدايا والضحايا والله لا ينالُه الدمُ المُهراقُ ولا اللحمُ المأكولُ والتّصدّقُ به, لكن يناله تقوى القلوب. وفي الأثر: "إن الرجلين ليكونُ مقامَهما في الصفّ واحداً وبين صلاتيهما كما بين المشرق والمغرب" فإذا عُرفَ أن الأعمالَ الظاهرة يَعظُمُ قدرُها ويصغرُ قدرُها بما في القلوب, وما في القلوب يتفاضلُ, ولا يعرف مقاديرَ ما في القلوب من الإيمان إلا الله؛ عَرَفَ الإنسانُ أن ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم كلُّه حق ولم يضرب بعضه ببعض. وقد قال تعالى: "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبُهم وجلةٌ أنّهم إلى ربهم راجعون" وفي الترمذي وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله, أهو الرجل يزني ويسرقُ ويشربُ الخمر, ويخافُ أن يُعاقب؟ قال: "لا يا ابنة الصديق, بل هو الرجلُ يصومُ ويصلى ويتصدق, ويخافُ أن لا يُتَقبّلَ منه" وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق أحدُكم مثلَ أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه" وذلك أن الإيمان الذي كان في قلوبهم حين الإنفاق في أول الإسلام وقلَّةِ أهله وكثرة الصوارف عنه, وضعفِ الدواعي إليه, لا يمكن لأحدٍ أن يحصل له مثلَه ممن بعدهم, وهذا يعرفُ بعضه من ذاق الأمور وعرف المحن والابتلاء الذي يحصل للناس, وما يحصل للقلوب من الأحوال المختلفة. وهذا مما يُعرف به أن أبا بكر رضي الله عنه لن يكونَ أحدٌ مثلَه, فإن اليقين والإيمان الذي كان في قلبه لا يساويه فيه أحدٌ, قال أبو بكر بن عياش: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام, ولكن بشيء وقر في قلبه. وهكذا سائر الصحابة حصل لهم بصحبتهم للرسول مؤمنين به مجاهدين معه إيمانٌ ويقينٌ لم يَشرَكْهُم فيه مَنْ بعدهم, وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء فقال النجوم أمنه للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنه لأمتي فإذا ذهبت أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"**

**والمقصود أن فضلَ الأعمال وثوابَها ليس لمجردِ صورِها الظاهرة, بل لحقائقها التي في القلوب, والناس يتفاضلون في ذلك تفاضلاً عظيمًا.**

**السبب الرابع: دعاءُ المؤمنين له, فإن دعاءَ المؤمنين واستغفارَهم للمؤمن, كذلك صلاتَهم على الميت ودعاءَهم وشفاعتهم له من أسباب المغفرة. كذلك استغفار الملائكة له وشفاعتهم, وقد وردت بذلك عدة آيات وأحاديث.**

**السبب الخامس: دعاءُ النبي صلى الله عليه وسلم واستغفاره في حياته وبعد مماته, كشفاعته يوم القيامة, فإن رسول قد استغفر لأمته إبّان حياته, وسيشفع لمن أذن له له من أمته يوم القيامة, وقد تواترت عنه أحاديث الشفاعة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" والشفاعة إنما تُطلب من الله, فنسألُ الله أن يشفّع فينا نبيه صلوات الله عليه وسلامه وبركاته.**

**السبب السادس: ما يُفعل بعد الموت من عمل صالح يُهدي له, مثلُ من يتصدّقُ عنه ويحج عنه ويصوم عنه, فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن ذلك يصل إلى الميت وينفعُه, وهذا غيرُ دعاءِ ولدِه فإن ذلك من عمله وكسبه بخلاف غيره, قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقةِ جارية, أو علمِ يُنتفعُ به, أو ولدٍ صالح يدعو له" رواه مسلم.**

**السبب السابع: المصائبُ الدنيوية التي يُكفّرُ الله بها الخطايا, كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما يصيبُ المؤمنَ من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ولا غمٍّ ولا همٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذى, حتى الشوكةَ يشاكُهَا؛ إلا كَفَّر الله بها من خطاياه" وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَثَلُ المؤمنِ مِثْلُ الخامةِ من الزرع تُفيئُها الرياحُ, تقوِّمُهَا تارةً, وتُميلُها أخرى, ومثل المنافق كمِثْلِ شجرة الأَرْزَةِ \_وهي الصُّنَوبَر\_ لا تزال ثابتةً على أصلها حتى يكونً انجعافُها مرّة واحدة" وهذا المعنى متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة.**

**وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة, سألتُه أن لا يُهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها, وسألتُه أن لا يُسلّط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحَهُم فأعطانيها, وسألتُه أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها" وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه لما نزل قولُهُ تعالى: "قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم" قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بوجهك" "أو من تحت أرجلكم" قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بوجهك" "أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضَكم بأس بعض" قال: "هذا أهون وأيسر" فهذا أمر لا بد منه للأمة عموماً.**

**السبب الثامن: ما يُبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة والرّوعة وفتنة الملكين, وإن للقبر لضمّة لو نجا منها أحدٌ لنجا سعدُ بن معاذ.**

**السبب التاسع: ما يحصلُ له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة, وهي شديدة جداً, وكُرَبِ القيامة لا تشبهُها كُربٌ, كالفزع والحشر وإدناء الشمس على الخلائق والعطش وجوازِ الصراط المنصوب على متن جهنّم وغير ذلك, كذلك اقتصاص الله تعالى لعباده المؤمنين من بعضهم قبل دخول الجنة, وفي الصحيحين أن المؤمنين إذا عَبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيُقتصُّ لبعضهم من بعض, فإذا هُذِّبُوا ونقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة. والله المستعان.**

**السبب العاشر: رَحْمَةُ اللَّهِ وَعَفْوُهُ وَمَغْفِرَتُهُ بِلَا سَبَبٍ مِنْ الْعِبَادِ. فنسأل الله الكريم من فضله ونعوذ به من سخطه وعقابه, فهذه الأسباب قد جعلها رحمة لعبادة لمنع أو تخفف عنهم العذاب.**

**اللهم إن رحمتك أرجى من أعمالنا, ومغفرتك أوسع من ذنوبنا, فاغفر لنا وارحمنا, إنك أنت الغفور الرحيم, وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله. (1)**

**#فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم**

**قال تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾. البقرة/37**

**تفسير البغوي َاخْتَلَفُوا فِي تِلْكَ الْكَلِمَاتِ، فقال سعيد بن جُبَيْرٍ وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ: هِيَ قَوْلُهُ: ﴿ رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا ﴾ [الأعراف: 23] الْآيَةَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمُحَمَّدُ بْنُ كعب القرظي: هو قَوْلُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ رَبِّ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ أنت الغفور الرَّحِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ رَبِّ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، قَوْلُهُ: ﴿ فَتابَ عَلَيْهِ ﴾: فَتَجَاوَزَ عَنْهُ، ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ ﴾: يَقْبَلُ تَوْبَةَ عِبَادِهِ، ﴿ الرَّحِيمُ ﴾: بخلقه.(2)**

**وقال أبو جعفر الطبري: "فتلقى آدم"، فقيل: إنه أخذ وقَبِل. وأصله التفعُّل من اللقاء، كما يتلقى الرجلُ الرجلَ مُستقبلَه عند قدومه من غيبته أو سفره، فكأنَّ ذلك كذلك في قوله:"فتلقى"، كأنه استقبله فتلقاه بالقبول حين أوحى إليه أو أخبر به. فمعنى ذلك إذًا: فلقَّى الله آدمَ كلمات توبة، فتلقَّاها آدم من ربه وأخذها عنه تائبًا، فتاب الله عليه بقيله إياها، وقبوله إياها من ربه.اهـ**

**وقال الشنقيطي قوله تعالى: ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات ﴾ لم يبين هنا ما هذه الكلمات، ولكنه بينها في سورة «الأعراف»، بقوله: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الآية 23 000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع شبكة صيد الفوائد - إبراهيم الدميجي**

**وانظر منهاج السنة النبوية (6/205\_235)**

**(2)الأنترنت- موقع الألوكة**

**قال ابن العثيمين في تفسيره للآية:**

**قوله تعالى: ﴿ فتاب عليه ﴾: الفاعل هو الله. يعني فتاب ربه عليه؛ و"التوبة" هي رفع المؤاخذة، والعفو عن المذنب إذا رجع إلى ربه عزّ وجلّ..**

**قوله تعالى: ﴿ إنه هو التواب الرحيم ﴾: هذه الجملة تعليل لقوله تعالى: ﴿ فتاب عليه ﴾؛ لأن التوبة مقتضى هذين الاسمين العظيمين: ﴿ التواب الرحيم ﴾؛ و﴿ هو ﴾ ضمير فصل يفيد هنا الحصر، والتوكيد؛ و﴿ التواب ﴾ صيغة مبالغة من "تاب"؛ وذلك لكثرة التائبين، وكثرة توبة الله؛ ولذلك سمى الله نفسه "التواب"؛ و﴿ الرحيم ﴾ أي ذو الرحمة الواسعة الواصلة إلى من شاء من عباده.. (1)**

**وقال المنجد : اجتهد المفسرون في تلمس وجه الحكمة في إفراد الضمير ( الهاء ) من قوله تعالى : ( فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ) البقرة/37 ، فقال عز وجل : ( فتاب عليه )، ولم يقل سبحانه : ( فتاب عليهما )، مع أن كلا من آدم وحواء أكلا من الشجرة .**

**وبالتأمل والتدبر يتبين للناظر العديد من الأسباب والحكم التي يمكن من خلالها تفسير هذا التساؤل .**

**أولا : مَن تأمل سياق جميع الآيات الواردة في قصة آدم عليه السلام وأكله من الشجرة ، يعلم أن الشخصية البارزة المقصودة في تلك القصة هو آدم عليه السلام وليس غيره ، لأنه أبو البشر وأول الأنبياء ، لذلك فأكثر الآيات تتحدث عنه عليه السلام ، وتخاطبه بشخصه ، وتذكره بضمير الغائب المفرد ، وتحكي تفاصيل أحداث قصته ، وتجعله الشخصية المركزية فيها ، وهكذا - ومن ذلك نسبة العصيان إليه وحده كما سيأتي - ، يمكنك أن تقرأ ذلك في سورة البقرة ، والأعراف ، وطه ، وغيرها ، فناسب أن تكون هذه الآية على السياق نفسه .**

**ثانيا :كثيرا ما يرد في نصوص الوحي في الكتاب والسنة تغليب استعمال ضمير المذكر ، ويراد به ما يشمل الإناث أيضا ، حتى قال علماء أصول الفقه : إن الأصل في خطاب الذكور بالتكاليف الشرعية أنه يشمل الإناث إلا ما ورد النص بتخصيصه . بل كثيرا ما تستعمل اللغة العربية ضمير المذكر في السياقات التي تشمل الذكور والإناث .**

**فالمؤنث في استعمال اللغة العربية والاستعمال الشرعي تابع للمذكر ، ولذلك لا تذكر النساء في كثير من التكاليف والأخبار الشرعية . ثالثا :كما يمكننا أن نستأنس من استعمال ضمير المذكر وطي ذكر المؤنث : أن الستر أولى بالمرأة من الذِّكر ، وأن 00000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت –موقع الألوكة**

**الخطاب الشرعي يدعوها دائما إلى البعد عن حديث الرجال ، خاصة في مقام الخطأ والمعصية ، لذلك طوى القرآن الكريم أيضا التصريح بنسبة المعصية إلى حواء ، واقتصر ذلك على آدم عليه السلام ، وذلك في قوله عز وجل : ( وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ) طه/121-122.**

**ثم إن أساليب اللغة العربية تتسع لهذا السياق القرآني ، كما في قول الشاعر :**

**رماني بأمر كنت منه ووالدي \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* بريئا ومن فوق الطوي رماني .**

**فقال : ( بريئا ) ولم يقل : ( بريئين )، مع أن المقصود إثبات براءته هو ووالده .**

**وقد جاء في القرآن الكريم قوله عز وجل : ( وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ) التوبة/62. ولم يقل يرضوهما ، وقال سبحانه : ( وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا ) الجمعة/11، ولم يقل انفضوا إليهما، وذلك جريا على الإيجاز والاختصار، ومراعاة للمقصود الأعظم من الأمرين .**

**وننقل ههنا من كلام المفسرين ما يؤيد أوجه الحِكَم السابقة :**

**قال الإمام القرطبي رحمه الله :**

**" إن قيل : لم قال : ( عليه ) ولم يقل : ( عليهما ) وحواء مشاركة له في الذنب بإجماع ، وقد قال : ( ولا تقربا هذه الشجرة ) البقرة/35، و ( قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ) الأعراف/23 ؟**

**فالجواب : أن آدم عليه السلام لما خوطب في أول القصة بقوله : ( اسكن ) خصه بالذكر في التلقي ، فلذلك كملت القصة بذكره وحده .**

**وأيضا فلأن المرأة حرمة ومستورة ، فأراد الله الستر لها ، ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله : ( وعصى آدم ربه فغوى ) طه/121.**

**وأيضا لما كانت المرأة تابعة للرجل في غالب الأمر لم تذكر ، كما لم يذكر فتى موسى مع موسى في قوله : ( ألم أقل لك ) الكهف/75.**

**وقيل : إنه دل بذكر التوبة عليه أنه تاب عليها ، إذ أمرهما سواء ، قاله الحسن .**

**وقيل : إنه مثل قوله تعالى : ( وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ) الجمعة/11، أي : التجارة ؛ لأنها كانت مقصود القوم ، فأعاد الضمير عليها ، ولم يقل : ( إليهما ) ، والمعنى متقارب .**

**وفي التنزيل : ( والله ورسوله أحق أن يرضوه ) التوبة/62، فحذف إيجازا واختصارا " انتهى.(1)**

**وقال الماوردي رحمه الله :" فإن قيل : فِلمَ قال : ( فَتَابَ عَلَيْهِ ) ، ولم يقُلْ : ( فتابَ علَيْهِما ) والتوبة قد توجهت إليهما ؟**

**قيل : عنه جوابان : أحدهما : لما ذكر آدم وحده بقوله : ( فَتَلَّقى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ) ، ذكر بعده قبول توبته ، ولم يذكر توبة حوَّاء - وإن كانت مقبولة التوبة - لأنه لم يتقدم ذكرها .**

**والثاني : أن الاثنين إذا كان معنى فعلهما واحداً ، جاز أن يذكرَ أحدهما ، ويكونَ المعنى لهما ، كما قال تعالى : ( وَإذَا رَأَوا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا ) الجمعة/11، وكما قال عز وجل : ( وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ) التوبة/62. " انتهى من " النكت والعيون " (1/110) والله أعلم .(2)**

**وقال تعالى : {فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى (121) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى(122) } طه**

**قال الطبري وَقَوْله : { ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبّه فَتَابَ عَلَيْه وَهَدَى } يَقُول : اصْطَفَاهُ رَبّه منْ بَعْد مَعْصيَته إيَّاهُ فَرَزَقَهُ الرُّجُوع إلَى مَا يَرْضَى عَنْهُ , وَالْعَمَل بطَاعَته , وَذَلكَ هُوَ كَانَتْ تَوْبَته الَّتي تَابَهَا عَلَيْه . وَقَوْله : { وَهَدَى } يَقُول : وَهَدَاهُ للتَّوْبَة , فَوَفَّقَهُ لَهَا .وَقَوْله : { ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبّه فَتَابَ عَلَيْه وَهَدَى } يَقُول : اصْطَفَاهُ رَبّه منْ بَعْد مَعْصيَته إيَّاهُ فَرَزَقَهُ الرُّجُوع إلَى مَا يَرْضَى عَنْهُ , وَالْعَمَل بطَاعَته , وَذَلكَ هُوَ كَانَتْ تَوْبَته الَّتي تَابَهَا عَلَيْه . وَقَوْله : { وَهَدَى } يَقُول : وَهَدَاهُ للتَّوْبَة , فَوَفَّقَهُ لَهَا**

**وقال ابن كثير : عن ابن عباس قال: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي "أخرجه ابن أبي حاتم" وقال مجاهد والحسن: ترك. وقوله: { وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم} يذكر تعالى تشريف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير ممن خلق تفضيلاً، { فسجدوا إلا إبليس أبى} أي امتنع واستكبر، { فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك} يعني حواء عليهما السلام، { فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى} أي إياك أن تسعى في إخراجك منها، فتتعب وتعنى وتشقى في طلب رزقك، فإنك ههنا في عيش رغيد هنيء بلا كلفة ولا مشقة، { إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى} 000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)" الجامع لأحكام القرآن " (1/325)**

**(2)الأنترنت – موقع الإسلام سؤال وجواب للمنجد**

**إنما قرن بين الجوع والعري لأن الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر، { وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى} وهذان أيضاً متقابلان، فالظمأ حر الباطن وهو العطش، والضحى حر الظاهر. وقوله: { فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى} قد تقدم أنه دلاَّهما بغرور { وقاسمهما إني لكما من الناصحين} ، وقد تقدم أن اللّه تعالى عهد إلى آدم وزوجه أن يأكلا من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة، فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها. وقوله: { فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما} ، روي أن اللّه خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة، فناداه الرحمن: يا آدم مني تفر؟ فلما سمع كلام الرحمن قال: يا رب لا ولكن استحياء، أرأيت إن تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة؟ قال: نعم، فذلك قوله: { فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه} "رواه ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب مرفوعاً، قال ابن كثير: وهو منقطع وفي رفعه نظر". وقوله تعالى: { وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة} ، قال مجاهد: يرقعان كهيئة الثوب، وروى ابن أبي حاتم، عن ابن عباس: ينزعان ورق التين فيجعلانه على سوآتهما، وقوله: { وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى} ، روى البخاري، عن أبي هريرة عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (حاجَّ موسى آدم فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم: يا موسى أنت الذي اصطفاك اللّه برسالاته وبكلامه؟ أتلومني على أمر كتبه اللّه عليّ قبل أن يخلقني، أو قدره اللّه عليَّ قبل أن يخلقني؟ قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: فحج آدم موسى)، وفي رواية لابن أبي حاتم: (احتج آدم وموسى عند ربهما، فحج آدم موسى. قال موسى: أنت الذي خلقك اللّه بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك! قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك اللّه برسالته وكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيًّا، فكم وجدت اللّه كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى؟ قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتب اللّه عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: فحجَّ آدم موسى) "الحديث له طرق في الصحيحين والمسانيد، (1)**

**#وقال تعالى : {ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ } (طه - 122)**

**قال الطبرى في تفسيره : يقول اصطفاه ربه من بعد معصيته اياه فرزقه الرجوع الى ما يرضى عنه والعمل بطاعته وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه وقوله وهدى يقول وهداه للتوبه فوفقه لها**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع الرو 7**

**وقال البغوى في تفسيره : ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ثم اجتباه ربه اختاره واصطفاه فتاب عليه بالعفو وهدى هداه الى التوبه حين قالا ربنا ظلمنا انفسنا**

**وقال ابن كثير في تفسيره : قال البخاري حدثنا قتيبه حدثنا ايوب بن النجار عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمه عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " حاج موسى ادم فقال له انت الذي اخرجت الناس من الجنه بذنبك واشقيتهم قال ادم يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه اتلومني على امر قد كتبه الله علي قبل ان يخلقني او قدره الله علي قبل ان يخلقني " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فحج ادم موسى " وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد**

**وقال القرطبى في تفسيره : فذكر ان الاجتباء والهدايه كانا بعد العصيان واذا كان هذا قبل النبوه فجائز عليهم الذنوب وجها واحدا لان قبل النبوه لا شرع علينا تصديقهم فاذا بعثهم الله تعالى الى خلقه وكانوا مامونين في الاداء معصومين لم يضر ما قد سلف منهم من الذنوب وهذا نفيس والله اعلم**

**وقال طنطاوي : قوله سبحانه ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى بيان لفضل الله تعالى على ادم حيث قبل توبته ورزقه المداومه عليها والاجتباء الاصطفاء والاختيار اى ثم بعد ان اكل ادم من الشجره وندم على ما فعل هو وزوجه اجتباه ربه اى اصطفاه وقربه واختاره فتاب عليه اى قبل توبته وهدى اى وهداه الى الثبات عليها والى المداومه على طاعه الله تعالى فقد اعترف هو وزوجه بخطئهما كما فى قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد اوحى الله تعالى اليه بكلمات كانت السبب فى قبول توبته كما قال سبحانه فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم**

**وقال ابن عاشورفي التحرير : ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى : جملة معترضة بين جملة وعصى ادم وجملة قال اهبطا منها جميعا لان الاجتباء والتوبه عليه كانا بعد ان عوقب ادم وزوجه بالخروج من الجنه كما في سوره البقره وهو المناسب لترتب الاخراج من الجنه على المعصيه دون ان يترتب على التوبه وفائده هذا الاعتراض التعجيل ببيان مآل ادم الى الصلاح والاجتباء الاصطفاء وتقدم عند قوله تعالى {واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم } في الانعام 87 وقوله{ اجتباه وهداه الى صراط مستقيم }في النحل 121 والهدايه الارشاد الى النفع والمراد بها اذا ذكرت مع الاجتباء في القران النبوءه كما في هذه الايات الثلاث**

**# لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار**

**قال تعالى : { لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍۢ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } (التوبة - 117)**

**قال الطبرى : يقول تعالى ذكره لقد رزق الله الانابة الى امره وطاعته نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم الى دار الاسلام وانصار رسوله في الله الذين اتبعوا رسول الله في ساعه العسره منهم من النفقه والظهر والزاد والماء من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يقول من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ويشك في دينه ويرتاب بالذي ناله من المشقه والشده في سفره وغزوه ثم تاب عليهم يقول ثم رزقهم جل ثناوه الانابه والرجوع الى الثبات على دينه وابصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم انه بهم رءوف رحيم يقول ان ربكم بالذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشده والمشقه رءوف بهم رحيم ان يهلكهم فينـزع منهم الايمان بعد ما قد ابلوا في الله ما ابلوا مع رسوله وصبروا عليه من الباساء والضراء**

**وقال القرطبى : روى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه قال لم اتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوه غزاها حتى كانت غزوه تبوك الا بدراً ، ولم يعاتب النبي صلى الله عليه وسلم احدا تخلف عن بدر انما خرج يريد العير فخرجت قريش مغيثين لعيرهم فالتقوا عن غير موعد كما قال الله تعالى ولعمري ان اشرف مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس لبدر وما احب اني كنت شهدتها مكان بيعتي ليله العقبه حين تواثقنا على الاسلام ثم لم اتخلف بعد عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى كانت غزوه تبوك وهي اخر غزوه غزاها واذن النبي صلى الله عليه وسلم بالرحيل فذكر الحديث بطوله قال فانطلقت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستناره القمر وكان اذا سر بالامر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال : ( ابشر يا كعب بن مالك بخير يوم اتى عليك منذ ولدتك امك )فقلت : يا نبي الله امن عند الله ام من عندك ؟ قال : (بل من عند الله ثم تلا هذه الايه {لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعه العسره }حتى بلغ {ان الله هو التواب الرحيم } قال : وفينا انزلت ايضا {اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } وذكر الحديث ..**

**واختلف العلماء في هذه التوبه التي تابها الله على النبي والمهاجرين والانصار على اقوال فقال ابن عباس كانت التوبه على النبي لاجل اذنه للمنافقين في القعود دليله قوله {عفا الله عنك لم اذنت لهم }وعلى المومنين من ميل قلوب بعضهم الى التخلف عنه وقيل توبه الله عليهم استنقاذهم من شده العسره وقيل خلاصهم من نكاية العدو وعبر عن ذلك بالتوبه وان خرج عن عرفها لوجود معنى التوبه فيه وهو الرجوع الى الحاله الاولى وقال اهل المعاني انما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في التوبه لانه لما كان سبب توبتهم ذكر معهم كقوله {فان لله خمسه وللرسول }قوله تعالى {الذين اتبعوه في ساعه العسره }اي في وقت العسره والمراد جميع اوقات تلك الغزاه ولم يرد ساعه بعينها وقيل ساعه العسره اشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة والعسره صعوبه الامر قال جابر اجتمع عليهم عسرة الظهر وعسرة الزاد وعسرة الماء قال الحسن :كانت العسره من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم وكان زادهم التمر المتسوس والشعير المتغير والاهاله المنتنه وكان النفر يخرجون ما معهم الا التمرات بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمره فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه حتى يشرب عليها جرعه من ماء كذلك حتى تاتي على اخرهم فلا يبقى من التمره الا النواه فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم**

**وقال طنطاوي : ذكر سبحانه جانبا من مظاهر فضله على عباده المومنين حيث تقبل توبتهم وتجاوز عن زلاتهم فقال تعالى{ لقد تاب الله على النبي } قال الامام الرازى اعلم انه تعالى لما استقصى فى شرح احوال غزوه تبوك وبين احوال المتخلفين عنها واطال القول فى ذلك على الترتيب الذى لخصناه فيما سبق عاد فى هذه الايه الى شرح ما بقى من احكامها ومن بقيه تلك الاحكام انه قد صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجرى مجرى ترك الاولى وصدر عن المومنين كذلك نوع زلة فذكر سبحانه انه تفضل عليهم وتاب عليهم فى تلك الزلات فقال تعالى {لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار} وللعلماء اقوال فى المراد بالتوبه التى تابها الله على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى المهاجرين والانصار فمنهم من يرى ان المرد بها قبول توبتهم وغفران ذنوبهم والتجاوز عن زلاتهم التى حدثت منهم فى تلك الغزوه او فى غيرها والى هذا المعنى اشاره القرطبى بقوله : قال ابن عباس : كانت التوبه على النبى صلى الله عليه وسلم لاجل انه اذن للمنافقين فى القعود بدليل قوله سبحانه قبل ذلك {عفا الله عنك لم اذنت لهم }وكانت توبته على المومنين من ميل قلوب بعضهم الى التخلف عنه اى الى التخلف عن الخروج معه الى غزوه تبوك ، ومنهم من يرى ان المقصود بذكر التوبه هنا التنويه بفضلها والحض على تجديدها والى هذا المعنى اتجه صاحب الكشاف فقال تاب الله على النبي كقوله {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر } وكقوله {واستغفر لذنبك} وهو بعث للمومنين على التوبه وانه ما من مومن الا وهو محتاج الى التوبه والاستغفار حتى النبى والمهاجرين والانصار وابانه لفضل التوبه ومقدارها عند الله وان صفه التوابين الاوابين صفه الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح ، ومنهم من يرى ان المراد بالتوبة هنا دوامها لا اصلها والى هذا المعنى اشار بعضهم بقوله {لقد تاب الله على النبى } اى ادام توبته على النبى والمهاجرين والانصار وهذا جواب عما يقال من ان النبى معصوم من الذنوب وان المهاجرين والانصار لم يفعلوا ذنبا فى هذه القضيه بل اتبعوه من غير تلعثم قلنا المراد بالتوبه فى حق الجميع دوامها لا اصلها ، ومنهم من يرى ان ذكر النبى هنا انما هو من باب التشريف والمراد قبول توبه المهاجرين والانصار فيما صدر عن بعضهم من زلات وقد وضح هذا المعنى الامام الالوسى فقال :قال صحاب المعانى :المراد ذكر التوبه على المهاجرين والانصار الا انه جئ فى ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم تشريفا لهم وتعظيما لقدرهم وهذا كما قالوا فى ذكره تعالى فى قوله {فان لله خمسه وللرسول }الايه اى عفا سبحانه عن زلات صدرت منهم يوم احد ويوم حنين ويبدو لنا ان الراى الاول اقرب الاراء الى الصواب لان الايه الكريمه مسوقه لبيان فضل الله تعالى على رسوله وعلى المومنين حيث غفر لهم ما فرط منهم من هفوات وقعت فى هذه الغزوه وهذه الهفوات صدرت منهم بمقتضى الطبيعه البشريه وبمقتضى الاجتهاد فى امور لم يبين الله تعالى حكمه فيها فهى لا تنقص من منزله الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من منزله اصحابه الصادقين فى ايمانهم والمعنى لقد تقبل الله تعالى توبه النبى صلى الله عليه وسلم كما تقبل توبه اصحابه المهاجرين والانصار الذين اتبعوه عن طواعيه واختيار واخلاص فى ساعه العسره اى فى وقت الشده والضيق وهو وقت غزوه تبوك فالمراد بالساعه هنا مطلق الوقت وقد كانت غزوه تبوك تسمى غزوه العسره كما كان الجيش الذى اشترك فيها يسمى بجيش العسره وذلك لان المومنين خرجوا اليها فى مجدبه وحر شديد وفقر فى الزاد والماء والراحله**

**وقال ابن كثير : قال مجاهد وغير واحد نزلت هذه الايه فى غزه تبوك وذلك انهم خرجوا اليها فى شده من الامر فى سنه مجدبه وحر شديد وعسر فى الزاد والماء وقال قتاده خرجوا الى الشام عام تبوك فى لهبان الحر اى شدته على ما يعلم الله من الجهد اصابهم تعب شديد حتى لقد ذكر لنا ان الرجلين كانا يشقان التمره بينهما وقال الحسن كان العشره منهم يعتقبون بعيرا واحدا يركب الرجل منهم ساعه ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان النفر منهم يخرجون وليس معهم الا التمرات اليسيره فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمره فلاكها حتى يجد طعمها ثم يشرب عليها جرعه من الماء ومضوا مع النبى صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضى الله عنهم وقوله : { من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم } بيان لتناهى الشده وبلوغها الغايه القصوى اى تاب سبحانه على الذين اتبعوا رسوله من المهاجرين والانصار من بعد ان اشرف فريق منهم على الميل عن التخلف عن الخروج الى غزوه تبوك لما لابسها وصاحبها من عسر وشده وتعب وفى ذكر فريق منهم اشاره الى ان معظم المهاجرين والانصار مضوا معه صلى الله عليه وسلم الى تبوك دون ان توثر هذه الشدائد فى قوه ايمانهم وصدق يقينهم ومضاء عزيمتهم وشده اخلاصهم**

**وقال ابن عاشور : انتقال من التحريض على الجهاد والتحذير من التقاعس والتوبيخ على التخلف وما طرا على ذلك التحريض من بيان احوال الناس تجاه ذلك التحريض وما عقبه من اعمال المنافقين والضعفاء والجبناء الى بيان فضيله الذين انتدبوا للغزو واقتحموا شدائده فالجملة استئناف ابتدائي وافتتاحها بحرف التحقيق تاكيد لمضمونها المتقرر فيما مضى من الزمان حسبما دل عليه الاتيان بالمسندات كلها افعالا ماضيه ومن المحسنات افتتاح هذا الكلام بما يوذن بالبشاره لرضى الله على المومنين الذين غزوا تبوك وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم في تعلق فعل التوبة بالغزاه للتنويه بشان هذه التوبه واتيانها على جميع الذنوب اذ قد علم المسلمون كلهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تاخر ومعنى تاب عليه غفر له اي لم يواخذه بالذنوب سواء كان مذنبا ام لم يكنه كقوله تعالى {علم ان لن تحصوه فتاب عليكم }المزمل 20 اي فغفر لكم وتجاوز عن تقصيركم وليس هنالك ذنب ولا توبة فمعنى التوبه على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه ان الله لا يواخذهم بما قد يحسبون انه يسبب مواخذه كقول النبي صلى الله عليه وسلم( لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) واما توبة الله على الثلاثه الذين خلفوا فهي استجابته لتوبتهم من ذنبهم والمهاجرون والانصار هم مجموع اهل المدينه وكان جيش العسرة منهم ومن غيرهم من القبائل التي حول المدينه ومكه ولكنهم خصوا بالثناء لانهم لم يترددوا ولم يتثاقلوا ولا شحوا باموالهم فكانوا اسوة لمن اتسى بهم من غيرهم من القبائل ووصف المهاجرون والانصار ب {الذين اتبعوه } للايماء الى ان لصلة الموصول تسببا في هذه المغفره ومعنى اتبعوه اطاعوه ولم يخالفوا عليه فالاتباع مجازي ،**

**والساعه : الحصه من الزمن ، والعسرة اسم العسر زيدت فيه التاء للمبالغه وهي الشده وساعه العسره هي زمن استنفار النبي صلى الله عليه وسلم الناس الى غزوه تبوك فهو الذي تقدمت الاشاره اليه بقوله {يايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض } التوبه 38 فالذين انتدبوا وتاهبوا وخرجوا هم الذين اتبعوه فاما ما بعد الخروج الى الغزو فذلك ليس هو الاتباع ولكنه الجهاد ويدل لذلك قوله {من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم } اي من المهاجرين والانصار فانه متعلق ب {اتبعوه } اي اتبعوا امره بعد ان خامر فريقا منهم خاطر التثاقل والقعود والمعصيه بحيث يشبهون المنافقين فان ذلك لا يتصور وقوعه بعد الخروج وهذا الزيغ لم يقع ولكنه قارب الوقوع و كاد من افعال المقاربه تعمل في اسمين عمل كان واسمها هنا ضمير شان مقدر وخبرها هو جمله الخبر عن ضمير الشان وانما جعل اسمها هنا ضمير شان لتهويل شانهم حين اشرفوا على الزيغ وقرا الجمهور تزيغ بالمثناه الفوقيه وقراه حمزه وحفص عن عاصم وخلف بالمثناه التحتيه وهما وجهان في الفعل المسند لجمع تكسير ظاهر والزيغ الميل عن الطريق المقصود ، وجمله {ثم تاب عليهم }عطف على جمله لقد تاب الله اي تاب على غير هذا الفريق مطلقا وتاب على هذا الفريق بعد ما كادت قلوبهم تزيغ فتكون ثم على اصلها من المهله وذلك كقوله في نظير هذه الايه { ثم تاب عليهم ليتوبوا} التوبه 118 والمعنى تاب عليهم فاهموا به وخرجوا فلقوا المشقه والعسر فالضمير في قوله {عليهم } للفريق وجوز كثير من المفسرين ان تكون ثم للترتيب في الذكر والجمله بعدها توكيدا لجمله تاب الله فالضمير للمهاجرين والانصار كلهم وجملة { انه بهم رءوف رحيم }تعليل لما قبلها على التفسي**

**# الذين كانوا يختانون أنفسهم تاب الله عليهم وعفا عنهم**

**قال تعالى : { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(البقرة - 187)**

**روى البخاري عن البراء قال : لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالمقصود من الايه الكريمه عند هولاء رفع ما توهمه بعض الصحابه من ان الاكل او الشرب او الجماع لا يجوز ما دامو قد ناموا بعد فطرهم لان الله تعالى رءوف رحيم بهم ولم يشرع لهم ما فيه حرج او مشقه عليهم وعلى كلا القولين فالايه الكريمه تسوق لنا لونا من الوان رحمه الله تعالى بعباده فيما شرع لهم من فرائض واحكام**

**ذكر الطبري ان عمر رضي الله تعالى عنه رجع من عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمر عنده ليله فوجد امراته قد نامت فارادها فقالت له قد نمت فقال لها ما نمت فوقع بها وصنع كعب بن مالك مثله فغدا عمر على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعتذر الى الله واليك فان نفسي زينت لي فواقعت اهلي فهل تجد لي من رخصه فقال لي لم تكن حقيقا بذلك يا عمر فلما بلغ بيته ارسل اليه فانبأه بعذره في آية من القران وذكره النحاس ومكي**

**قال البغوى : قوله تعالى " علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم " فتاب عليكم تجاوز عنكم وعفا عنكم محا ذنوبكم فالان باشروهن جامعوهن حلالا سميت المجامعه مباشره لتلاصق بشره كل واحد منهم لصاحبه وابتغوا ما كتب الله لكم اي فاطلبوا ما قضى الله لكم وقيل ما كتب الله لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد قاله اكثر المفسرين**

**وقال ابن كثير : هذه رخصه من الله تعالى للمسلمين ورفع لما كان عليه الامر في ابتداء الاسلام فانه كان اذا افطر احدهم انما يحل له الاكل والشرب والجماع الى صلاه العشاء او ينام قبل ذلك فمتى نام او صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع الى الليله القابله فوجدوا من ذلك مشقه كبيره والرفث هنا هو الجماع قاله ابن عباس وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وطاوس وسالم بن عبد الله وعمرو بن دينار والحسن وقتاده والزهري والضحاك وابراهيم النخعي والسدي وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان**

**وقال القرطبى : قوله تعالى{ احل لكم } روى البخاري عن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم ياكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وان قيس بن صرمه الانصاري كان صائما وفي روايه كان يعمل في النخيل بالنهار وكان صائما فلما حضر الافطار اتى امراته فقال لها اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امراته فلما راته قالت خيبه لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الايه احل لكم ليله الصيام الرفث الى نسائكم ففرحوا فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر**

**#الذين لم يحصوا قيام الليل تاب الله عليهم**

**قال تعالى : {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍۢ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ (المزمل - 20)**

**قال البغوى : " علم ان لن تحصوه " لن تطيقوا معرفه ذلك وقال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافه ان لا يصيب ما امر به من القيام فقال علم ان لن تحصوه لن تطيقوا معرفه ذلك فتاب عليكم فعاد عليكم بالعفو والتخفيف فاقرءوا ما تيسر من القران يعني في الصلاه**

**وقال طنطاوي : وقوله تعالى علم ان لن تحصوه فتاب عليكم موكد لما قبله واحصاء الاشياء عدها والاحاطه بها والضمير المنصوب فى قوله تحصوه يعود على المصدر المفهوم من قوله يقدر فى الجمله السابقه والتوبه فى قوله سبحانه فتاب عليكم يصح ان تكون بمعنى المغفره وعدم المواخذه او بمعنى قبولها منهم والتيسير عليهم فى الاحكام وتخفيفها عنهم اى والله تعالى هو الذى يقدر اجزاء الليل والنهار وهو الذى يعلم دون غيره انكم لن تستطيعوا تقدير ساعاته تقديرا دقيقا ولذلك خفف الله عنكم فى امر القيام ورفع عنكم المقدار المحدد وغفر لكم ما فرط منكم من تقصير غير مقصود ورخص لكم ان تقوموا المقدار الذى تستطيعون قيامه من الليل مصلين ومتهجدين فالجمله الكريمه تقرر جانبا من فضل الله تعالى على عباده ومن رحمته بهم**

**وقال القرطبى : قوله تعالى {فتاب عليكم }اي فعاد عليكم بالعفو وهذا يدل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل اي فتاب عليكم من فرض القيام اذ عجزتم واصل التوبه الرجوع كما تقدم ; فالمعنى رجع لكم من تثقيل الى تخفيف ومن عسر الى يسر وانما امروا بحفظ الاوقات على طريق التحري فخفف عنهم ذلك التحري وقيل معنى والله يقدر الليل والنهار يخلقهما مقدرين ; كقوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا ابن العربي تقدير الخلقه لا يتعلق به حكم وانما يربط الله به ما يشاء من وظائف التكليف**

**وقال ابن عاشور : من هنا يبتدىء ما نزل من هذه السوره بالمدينه كما تقدم ذكره في اول السوره وصريح هذه الايه ينادي على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل قبل نزول الايه وان طائفه من اصحابه كانوا يقومون عملا بالامر الذي في اول السوره من قوله قم الليل الا قليلا الايه المزمل 2 فتعين ان هذه الايه نزلت للتخفيف عنهم جميعا لقوله فيها فتاب عليكم فهي ناسخه للامر الذي في اول السوره واختلف السلف في وقت نزولها ومكانه وفي نسبه مقتضاها من مقتضى الايه التي قبلها**

**#وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم**

**قال تعالى : { وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ} (المائدة - 71)**

**قال الطبرى : يقول تعالى وظن هولاء الاسرائيليون الذين وصف تعالى ذكره صفتهم انه اخذ ميثاقهم وانه ارسل اليهم رسلا وانهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم كذبوا فريقا وقتلوا فريقا ان لا يكون من الله لهم ابتلاء واختبار بالشدائد من العقوبات بما كانوا يفعلون " فعموا وصموا " يقول فعموا عن الحق والوفاء بالميثاق الذي اخذته عليهم من اخلاص عبادتي والانتهاء الى امري ونهيي والعمل بطاعتي بحسبانهم ذلك وظنهم " وصموا " عنه ثم تبت عليهم يقول ثم هديتهم بلطف مني لهم حتى انابوا ورجعوا عما كانوا عليه من معاصي وخلاف امري والعمل بما اكرهه منهم الى العمل بما احبه والانتهاء الى طاعتي وامري ونهيي " ثم عموا وصموا كثير منهم " يقول ثم عموا ايضا عن الحق والوفاء بميثاقي الذي اخذته عليهم من العمل بطاعتي والانتهاء الى امري واجتناب معاصي " وصموا كثير منهم " يقول عمى كثير من هولاء الذين كنت اخذت ميثاقهم من بني اسرائيل باتباع رسلي والعمل بما انـزلت اليهم من كتبي عن الحق وصموا بعد توبتي عليهم واستنقاذي اياهم من الهلكه " والله بصير بما يعملون " يقول " بصير " فيرى اعمالهم خيرها وشرها فيجازيهم يوم القيامه بجميعها ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا**

**البغوى : وحسبوا ظنوا الا تكون فتنه اي عذاب وقتل وقيل ابتلاء واختبار اي ظنوا ان لا يبتلوا ولا يعذبهم الله قرا اهل البصره وحمزه والكسائي " تكون " برفع النون على معنى انها لا تكون ونصبها الاخرون كما لو لم يكن قبله لا فعموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه يعني عموا وصموا بعد موسى صلوات الله وسلامه عليه ثم تاب الله عليهم ببعث عيسى عليه السلام ثم عموا وصموا كثير منهم بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والله بصير بما يعملون**

**ابن كثير : وحسبوا الا تكون فتنه اي وحسبوا الا يترتب لهم شر على ما صنعوا فترتب وهو انهم عموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقا ولا يهتدون اليه ثم تاب الله عليهم اي مما كانوا فيه ثم عموا وصموا اي بعد ذلك وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون اي مطلع عليهم وعليم بمن يستحق الهدايه ممن يستحق الغوايه**

**القرطبى : قوله تعالى وحسبوا الا تكون فتنه المعنى ; ظن هولاء الذين اخذ عليهم الميثاق انه لا يقع من الله عز وجل ابتلاء واختبار بالشدائد اغترارا بقولهم نحن ابناء الله واحباوه وانما اغتروا بطول الامهال 000قوله تعالى فعموا اي عن الهدى وصموا اي عن سماع الحق ; لانهم لم ينتفعوا بما راوه ولا سمعوه ثم تاب الله عليهم في الكلام اضمار اي اوقعت بهم الفتنه فتابوا فتاب الله عليهم بكشف القحط او بارسال محمد صلى الله عليه وسلم يخبرهم بان الله يتوب عليهم ان امنوا فهذا بيان تاب الله عليهم اي يتوب عليهم ان امنوا وصدقوا لا انهم تابوا على الحقيقه ثم عموا وصموا كثير منهم اي عمي كثير منهم وصم بعد تبين الحق لهم بمحمد عليه الصلاه والسلام ; فارتفع كثير على البدل من الواو**

**وقال طنطاوي : ثم بين سبحانه بعد ذلك انهم مع ما فعلوه مع رسلهم من التكذيب والقتل لم ينزجروا ولم يندموا بلغ بهم الغرور والسفه انهم ظنوا ان ما فعلوه شيء هين وانه لن يكون له اثر سىء في حياتهم فقال تعالى {وحسبوا الا تكون فتنه فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون } وقوله {وحسبوا }معطوف على قوله كذبوا وهو من الحسبان بمعنى الظن وقوله فتنه من الفتن وهو ادخال الذهب في النار لتظهر جودته والمراد بها هنا الشدائد والمحن والمصائب التي تنزل بالناس وقوله فعموا وصموا من العمى الذي هو ضد الابصار ومن الصمم الذي هو ضد السمع وقد استعير هنا للاعراض عن دلائل الهدى والرشاد التي جاء بها الرسل والمعنى ان بنى اسرائيل قد اخذنا عليهم العهد الموكد وارسلنا اليهم الرسل لهدايتهم فكان حالهم انهم كذبوا بعض الرسل وقتلوا البعض الاخر ولم يكتفوا بهذا بل ظنوا لسوء اعمالهم وفساد قلوبهم واستيلاء الغرور والتكبر على نفوسهم انهم لن يصيبهم بلاء ولا عقاب بتكذيبهم للرسل وقتلهم لهم فامنوا عقاب الله وتمادوا في فنون البغي والفساد وعموا وصموا عن دلائل الهدى والرشاد التي جاء بها الرسل واشتملت عليها الكتب السماويه ثم تاب الله عليهم اى قبل توبتهم بعد ان رجعوا عما كانوا عليه من فساد ثم عموا وصموا اى ثم نكسوا على رءوسهم مره اخرى فعادوا الى فسادهم وضلالهم وعدوانهم على هدايتهم الا عددا قليلا منهم بقي على ايمانه وتوبته فانت ترى ان الايه الكريمه مسوقه لبيان فساد معتقدات بنى اسرائيل وما جبلت عليه نفوسهم من جحود وغرور حيث ارتكبوا ما ارتكبوا من جرائم ومنكرات تقشعر لها الابدان ومع كل ذلك حسبوا ان الله تعالى لا يعاقبهم عليها لانهم كما يزعمون ابناء الله واحباوه ثم انهم بعد ان تاب الله عليهم نقضوا عهودهم معه وعادوا الى عماهم عن الدين الذي جاءتهم به رسلهم والى صممهم عن الاستماع الى الحق الذي القوه اليهم**

**وقال ابن عاشور : لبيان فساد اعتقادهم الناشيء عنه فاسد اعمالهم اي فعلوا ما فعلوا من الفظائع عن تعمد بغرور لا عن فلته او ثائره نفس حتى ينيبوا ويتوبوا والضمائر البارزه عائده مثل الضمائر المتقدمه في قوله كذبوا و يقتلون وظنوا ان فعلهم لا تلحقهم منه فتنه والفتنه مرج احوال الناس واضطراب نظامهم من جراء اضرار ومصائب متواليه وهي قد تكون عقابا من الله للناس جزاء عن سوء فعلهم او تمحيصا لصادق ايمانهم لتعلو بذلك درجاتهم ان الذين فتنوا المومنين والمومنات البروج 10 الايه وسمى القران هاروت وماروت فتنه وسمى النبيء صلى الله عليه وسلم الدجال فتنه والمعنى وظنوا ان الله لا يصيبهم بفتنه في الدنيا جزاء على ما عاملوا به انبياءهم فهنالك مجرور مقدر دال عليه السياق اي ظنوا ان لا تنزل بهم مصائب في الدنيا فامنوا عقاب الله في الدنيا بعد ان استخفوا بعذاب الاخره وتوهموا انهم ناجون منه لانهم ابناء الله واحباوه وانهم لن تمسهم النار الا اياما معدوده فمن بديع ايجاز القران ان اوما الى سوء اعتقادهم في جزاء الاخره وانهم نبذوا الفكره فيه ظهريا وانهم لا يراقبون الله في ارتكاب القبائح والى سوء غفلتهم عن فتنه الدنيا وانهم ضالون في كلا الامرين ودل قوله وحسبوا ان لا تكون فتنه على انهم لو لم يحسبوا ذلك لارتدعوا لانهم كانوا احرص على سلامه الدنيا منهم على السلامه في الاخره لانحطاط ايمانهم وضعف يقينهم وهذا شان الامم اذا تطرق اليها الخذلان ان يفسد اعتقادهم ويختلط ايمانهم ويصير همهم مقصورا على تدبير عاجلتهم فاذا ظنوا استقامه العاجله اغمضوا اعينهم عن الاخره فتطلبوا السلامه من غير اسبابها فاضاعوا الفوز الابدي وتعلقوا بالفوز العاجل فاساووا العمل فاصابهم العذابان العاجل بالفتنه والاجل.....**

**وقوله ثم تاب الله عليهم انهم قد اصابتهم الفتنه بعد ذلك العمى والصمم وما نشا عنها عقوبه لهم وان الله لما تاب عليهم رفع عنهم الفتنه ثم عموا وصموا اي عادوا الى ضلالهم القديم وعملهم الذميم لانهم مصرون على حسبان ان لا تكون فتنه فاصابتهم فتنه اخرى وقد وقف الكلام عند هذا العمى والصمم الثاني ولم يذكر ان الله تاب عليهم بعده فدل على انهم اعرضوا عن الحق اعراضا شديدا مره ثانيه فاصابتهم فتنه لم يتب الله عليهم بعدها**

**#أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم**

**قال تعالى : {ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۢ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ}(المجادلة - 13)**

**قال البغوى : ااشفقتم ان تقدموا قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيله والفاقه ان قدمتم بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وتاب الله عليكم تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقه وقيل " الواو " صله مجازه فان لم تفعلوا تاب الله عليكم ونسخ الصدقه قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت الا ساعه من نهار فاقيموا الصلاه المفروضه واتوا الزكاه الواجبه واطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون**

**وقال القرطبى : فيه مسالتان**

**الاولى قوله تعالى{ ااشفقتم }استفهام معناه التقرير قال ابن عباس ااشفقتم اي ابخلتم بالصدقه وقيل خفتم والاشفاق الخوف من المكروه اي خفتم وبخلتم بالصدقه وشق عليكم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات قال مقاتل بن حيان انما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان ذلك الا ليله واحده وقال ابن عباس ما بقي الا ساعه من النهار حتى نسخ وكذا قال قتاده والله اعلم**

**الثانيه قوله تعالى {فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم } اي نسخ الله ذلك الحكم وهذا خطاب لمن وجد ما يتصدق به فاقيموا الصلاه واتوا الزكاه فنسخت فرضيه الزكاه هذه الصدقه وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل وما روي عن علي رضي الله عنه ضعيف لان الله تعالى قال فاذ لم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشيء والله اعلم واطيعوا الله في فرائضه ورسوله في سننه والله خبير بما تعملون**

**وقال ابن عاشور : نزلت هذه الآية عقب التي قبلها والمشهور عند جمع من سلف المفسرين انها نزلت بعد عشره ايام من التي قبلها وذلك ان بعض المسلمين القادرين على تقديم الصدقه قبل النجوى شق عليهم ذلك فامسكوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم فاسقط الله وجوب هذه الصدقة وقد قيل لم يعمل بهذه الآية غير علي بن ابي طالب رضي الله عنه ولعل غيره لم يحتج الى نجوى الرسول صلى الله عليه وسلم واقتصد مما كان يناجيه لادنى موجب فالخطاب لطائفه من المومنين قادرين على تقديم الصدقه قبل المناجاه وشق عليهم ذلك او ثقل عليهم والاشفاق توقع حصول مالا يبتغيه ومفعول { ااشفقتم } هو ان تقدموا اي من ان تقدموا اي ااشفقتم عاقبه ذلك وهو الفقر قال المفسرون على ان هذه الايه ناسخه للتي قبلها فسقط وجوب تقديم الصدقه لمن يريد مناجاه الرسول صلى الله عليه وسلم وروي ذلك عن ابن عباس واستبعده ابن عطيه والاستفهام مستعمل في اللوم على تجهم تلك الصدقه مع ما فيها من فوائد لنفع الفقراء ثم تجاوز الله عنهم رحمة بهم بقوله تعالى {فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاه واتوا الزكاه } الايه وقد علم من الاستفهام التوبيخي اي بعضا لم يفعل ذلك و اذ ظرفيه مفيده للتعليل اي فحين لم تفعلوا فاقيموا الصلاه وفاء فاذ لم تفعلوا لتفريع ما بعدها على الاستفهام التوبيخي وجمله {وتاب الله عليكم } معترضه والواو اعتراضيه وما تتعلق به اذ محذوف دل عليه قوله وتاب الله عليكم تقديره خففنا عنكم واعفيناكم من ان تقدموا صدقه قبل مناجاه الرسول صلى الله عليه وسلم وفاء فاقيموا الصلاه عاطفه على الكلام المقدر وحافظوا على التكاليف الاخرى واقامه الصلاه وايتاء الزكاه وطاعه الله ورسوله اي فذلك لا تسامح فيه قيل لهم ذلك لئلا يحسبوا انهم كلما ثقل عليهم فعل مما كلفوا به يعفون منه واذ قد كانت الزكاه المفروضه سابقه على الامر بصدقه النجوى على الاصح كان فعل اتوا مستعملا في طلب الدوام مثل فعل فاقيموا واعلم انه يكثر وقوع الفاء بعد اذ ومتعلقها كقوله تعالى {واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم }في سوره الاحقاف 11 { و اذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف }في سوره الكهف 16 وجمله {والله خبير بما تعملون } تذييل لجمله فاقيموا الصلاه واتوا الزكاه وهو كنايه عن التحذير من التفريط في طاعه الله ورسوله**

**وقال الامام الالوسى " اختلف فى ان الامر للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى {ااشفقتم ان تقدموا } وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه غير متصل به نزولا وقيل نسخ بايه الزكاه والمعول عليه الاول ولم يعين مقدار الصدقه ليجزىء القليل والكثير**

**اخرج الترمذى عن على بن ابى طالب قال لما نزلت {ياايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقه } قال لى النبى صلى الله عليه وسلم " " ما ترى فى دينار " قلت لا يطيقونه قال " نصف دينار " قلت لا يطيقونه قال " فكم " قلت شعيره قال " فانك لزهيد " " فلما نزلت ااشفقتم ان تقدموا قال صلى الله عليه وسلم " خفف الله عن هذه الامه " ولم يعمل بها على المشهور غير على رضي الله عنه واختلف فى مده بقاء هذا الامر اى الامر بتقديم الصدقه فعن مقاتل عشره ايام وقال قتاده ساعه من نهار قال بعض العلماء " والايه الناسخه متاخره فى النزول وان كانت تاليه للايه المنسوخه فى التلاوه والظاهر والله اعلم ان الحادثه من باب الابتلاء والامتحان ليظهر للناس محب الدنيا من محب الاخره والله بكل شىء عليم " وقال احد العلماء " ولا يشتم من قوله تعالى { ااشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات } ان الصحابه قد وقع منهم تقصير فان التقصير انما يكون اذا ثبت انه كانت هناك مناجاه لم تصحبها صدقه والايه قالت فاذ لم تفعلوا اى ما امرتم به من الصدقه وقد يكون عدم الفعل لانهم لم يناجوا فلا يكون عدم الفعل تقصيرا واما التعبير بالاشفاق من جانبهم فلا يدل على تقصيرهم فقد يكون الله تعالى علم ان كثيرا منهم استكثر التصدق عند كل مناجاه فى المستقبل لو دام الوجوب فقال الله تعالى لهم {ااشفقتم } وكذلك ليس فى قوله {وتاب الله عليكم } ما يدل على انهم قصروا فانه يحمل على ان المعنى انه تاب عليهم برفع التكليف عنهم تخفيفا ومثل هذا يجوز ان يعبر عنه بالتوبه "**

**# وأرنا مناسكنا وتب علينا**

**قال تعالى : {رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ }(البقرة - 128)**

**قال الطبرى : {وتب علينا } اما التوبه فاصلها الاوبه من مكروه الى محبوب فتوبه العبد الى ربه اوبته مما يكرهه الله منه بالندم عليه والاقلاع عنه والعزم على ترك العود فيه وتوبه الرب على عبده عوده عليه بالعفو له عن جرمه والصفع له عن عقوبه ذنبه مغفره له منه وتفضلا عليه فان قال لنا قائل وهل كان لهما ذنوب فاحتاجا الى مساله ربهما التوبه قيل انه ليس احد من خلق الله الا وله من العمل فيما بينه وبين ربه ما يجب عليه الانابه منه والتوبه فجائز ان يكون ما كان من قبلهما ما قالا من ذلك وانما خصا به الحال التي كانا عليها من رفع قواعد البيت لان ذلك كان احرى الاماكن ان يستجيب الله فيها دعاءهما وليجعلا ما فعلا من ذلك سنه يقتدى بها بعدهما وتتخذ الناس تلك البقعه بعدهما موضع تنصل من الذنوب الى الله وجائز ان يكونا عنيا بقولهما وتب علينا وتب على الظلمه من اولادنا وذريتنا الذين اعلمتنا امرهم من ظلمهم وشركهم حتى ينيبوا الى طاعتك فيكون ظاهر الكلام على الدعاء لانفسهما والمعني به ذريتهما كما يقال اكرمني فلان في ولدي واهلي وبرني فلان اذا بر ولده انك انت التواب الرحيم**

**واما قوله انك انت التواب الرحيم فانه يعني به انك انت العائد على عبادك بالفضل والمتفضل عليهم بالعفو والغفران الرحيم بهم المستنقذ من تشاء منهم برحمتك من هلكته المنجي من تريد نجاته منهم برافتك من سخطك**

**وقال البغوى : ربنا واجعلنا مسلمين لك موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك ومن ذريتنا اي اولادنا ، امه جماعه والامه اتباع الانبياء مسلمه لك خاضعه لك وارنا علمنا وعرفنا قرا ابن كثير ساكنه الراء و ابو عمرو بالاختلاس والباقون بكسرها ووافق ابن عامر و ابو بكر في الاسكان في حم السجده واصله ارئنا فحذفت الهمزه طلبا للخفه ونقلت حركتها الى الراء ومن سكنها قال ذهبت الهمزه فذهبت حركتها ، مناسكنا شرائع ديننا والام حجنا وقيل مواضع حجنا وقال مجاهد "مذابحنا والنسك الذبيحه" وقيل متعبداتنا واصل النسك العباده والناسك العابد فاجاب الله تعالى دعاءهما فبعث جبريل فاراهما المناسك في يوم عرفه فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمى الوقت عرفه والموضع عرفات وتب علينا تجاوز عنا انك انت التواب الرحيم**

**وقال طنطاوي : وتب علينا تسند التوبه الى العبد فيقال تاب فلان الى الله ومعناها الندم على ما لابس من الذنب والاقلاع عنه والعزم على عدم العود اليه ورد المظالم ان استطاع او نيه ردها ان لم يستطع وتسند الى الله فيقال تاب الله على فلان ومعناها حينئذ توفيقه الى التوبه او قبولها منه فمعنى وتب علينا وفقنا للتوبه او تقبلها منا والتوبه تكون من الكبائر والصغائر وتكون من ترك ما هو اولى او من تقصير يودى الى خطا في الاجتهاد وعلى احد هذين الوجهين تحمل التوبه التي يسال الانبياء والمرسلون ربهم قبولها او التوفيق لها انك انت التواب الرحيم التواب كثير القبول لتوبه المنيبين اليه وقبول توبتهم يقتضى عدم مواخذتهم بما ياتونه من سيئات ثم بعد تخلصهم من عقوبه الخطيئه او المعاتبه عليها ينتظرون من رحمه الله ان تحفهم باحسان وابراهيم واسماعيل عليهما السلام قد طلبا قبول توبتهما صراحه في قولهما وتب علينا ولوحا الى طلب الرحمه بذكر اسمه الرحيم اذ الرحمه صفه من اثرها الاحسان فكانهما قالا تب علينا وارحمنا وهذا من اكمل اداب الدعاء وارجاها للقبول عند الله تعالى**

**#التوبة صفة من صفات المؤمنين**

**قال تعالى : ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (التوبة - 112)**

**قال الطبرى : يقول تعالى ذكره ان الله اشترى من المومنين التائبين العابدين انفسهم واموالهم ولكنه رفع اذ كان مبتدا به بعد تمام اخرى مثلها ومعنى " التائبون " الراجعون مما كرهه الله وسخطه الى ما يحبه ويرضاه ؛قال الحسن في قول الله التائبون قال تابوا الى الله من الذنوب كلها وقال تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق وقال الذين تابوا من الذنوب ثم لم يعودوا فيها**

**وقال البغوى : التائبون قال الفراء استونفت بالرفع لتمام الايه وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع للابتداء وخبره مضمر المعنى التائبون الى اخر الايه لهم الجنه ايضا اي من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد لان بعض المسلمين يجزي عن بعض في الجهاد فمن كانت هذه صفته فله الجنه ايضا وهذا احسن فكانه وعد الجنه لجميع المومنين كما قال " وكلا وعد الله الحسنى النساء 95 فمن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنه خاصا للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفه قوله تعالى التائبون اي الذين تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق العابدون المطيعون الذين اخلصوا العباده لله عز وجل الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال في السراء والضراء**

**ابن كثير : هذا نعت المومنين الذين اشترى الله منهم انفسهم واموالهم بهذه الصفات الجميله والخلال الجليله التائبون من الذنوب كلها التاركون للفواحش العابدون اي القائمون بعباده ربهم محافظين عليها وهي الاقوال والافعال فمن اخص الاقوال الحمد فلهذا قال الحامدون ومن افضل الاعمال الصيام وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحه هاهنا ولهذا قال السائحون كما وصف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في قوله تعالى سائحات التحريم 5 اي صائمات وكذا الركوع والسجود وهما عباره عن الصلاه ولهذا قال الراكعون الساجدون وهم مع ذلك ينفعون خلق الله ويرشدونهم الى طاعه الله بامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علما وعملا فقاموا بعباده الحق ونصح الخلق ولهذا قال وبشر المومنين لان الايمان يشمل هذا كله والسعاده كل السعاده**

**وقال القرطبى :قوله تعالى التائبون العابدون التائبون هم الراجعون عن الحاله المذمومه في معصيه الله الى الحاله المحموده في طاعه الله والتائب هو الراجع والراجع الى الطاعه هو افضل من الراجع عن المعصيه لجمعه بين الامرين " العابدون " اي المطيعون الذين قصدوا بطاعتهم الله سبحانه " الحامدون " اي الراضون بقضائه المصرفون نعمته في طاعته الذين يحمدون الله على كل حال السائحون الصائمون ;**

**وقال ابن عاشور : فكان اصلها الجر ولكنها قطعت عن الوصفيه وجعلت اخبارا لمبتدا محذوف هو ضمير الجمع اهتماما بهذه النعوت اهتماما اخرجها عن الوصفيه الى الخبريه ويسمى هذا الاستعمال نعتا مقطوعا وما هو بنعت اصطلاحي ولكنه نعت في المعنى ف التائبون مراد منه انهم مفارقون للذنوب سواء كان ذلك من غير اقتراف ذنب يقتضي التوبه كما قال تعالى{ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه } الايه ام كان بعد اقترافه كقوله تعالى {فان يتوبوا يك خيرا لهم } بعد قوله {ولقد قالوا كلمه الكفر وكفروا بعد اسلامهم }الايه المتقدمه انفا ، واول التوبه الايمان لانه اقلاع عن الشرك ثم يدخل منهم من كان له ذنب مع الايمان وتاب منه وبذلك فارق النعت المنعوت وهو المومنين**

**وقال طنطاوي : ثم وصف الله تعالى هولاء المومنين الصادقين بجمله من الاوصاف الكريمه فقال {التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون } قال العلماء ما ملخصه : ذكر الله تعالى فى هذه الايه تسعه اوصاف للمومنين السته الاولى منها تتعلق بمعامله الخالق والوصفان السابع والثامن يتعلقان بمعامله المخلوق والوصف التاسع يعم القبيلتين**

**وقوله التائبون فيه وجوه من الاعراب منها انه مرفوع على المدح فهو خبر لمبتدا محذوف وجوبا للمبالغه فى المدح اى المومنون المذكورون التائبون ومنها ان الخبر هنا محذوف اى التائبون المصوفون بهذه الاوصاف من اهل الجنه والمعنى " التائبون " عن المعاصى وعن كل ما نهت عنه شريعه الله " العابدون " لخالقهم عباده خالصه**

**#وقال تعالى : { عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍۢ مُّؤْمِنَٰتٍۢ قَٰنِتَٰتٍۢ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍۢ سَٰٓئِحَٰتٍۢ ثَيِّبَٰتٍۢ وَأَبْكَارًا }(التحريم - 5)**

**قال ابن عاشور : في الصحيحين واللفظ للبخاري عن عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى البقره 12 وقلت يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فانزل الله ايه الحجاب وبلغني معاتبه النبي بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت ان انتهيتن او ليبدلن الله رسوله خيرا منكن فانزل الله {عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات} الايه وهي موعظه بان ياذن الله له بطلاقهن وانه تصير له ازواج خير منهن وهذا اشاره الى المعنى السادس عشر من مواعظ هذه الاي وقرا الجمهور ان يبدله بتشديد الدال مضارع بدل وقراه يعقوب بتخفيف مضارع ابدل والمسلمات المتصفات بالاسلام والمومنات المصدقات في نفوسهن والقانتات القائمات بالطاعه احسن قيام ....**

**وقوله {ومن يقنت منكن لله ورسوله } في سوره الاحزاب 31 وفي هذا الوصف اشعار بانهن مطيعات لله ورسوله ففيه تعريض لما وقع من تقصير احداهن في ذلك فعاتبها الله وايقظها للتوبه والتائبات المقلعات عن الذنب اذا وقعن فيه وفيه تعريض باعاده التحريض على التوبه من ذنبهما التي امرتا بها بقوله ان تتوبا الى الله التحريم 4**

**وقال طنطاوي : وصف سبحانه هولاء الازواج بقوله مسلمات منقادات ومطيعات لله ولرسوله ومتصفات بكل الصفات التى امر بها الاسلام مومنات اى مذعنات ومصدقات بقلوبهن لكل ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من عند ربه قانتات اى قائمات بالطاعه لله ولرسوله على اكمل وجه تائبات اى مقلعات عن الذنوب والمعاصى واذا مسهن شىء منها ندمن وتبن اليه تعالى توبه صادقه نصوحا عابدات اى مقبلات على عبادته تعالى اقبالا عظيما سائحات اى ذاهبات فى طاعه الله اى مذهب من ساح الماء اذا سال فى انحاء متعدده وقيل معناه مهاجرات وقيل صائمات تشبيها لهن بالسائح الذى لا يصحب معه الزاد غالبا فلا يزال ممسكا عن الطعام حتى يجده ثيبات جمع ثيب بوزن سيد وهى المراه التى سبق لها الزواج من ثاب يثوب ثوبا اذا رجع وسميت المراه التى سبق لها الزواج بذلك لانها ثابت الى بيت ابويها بعد زواجها او رجعت الى زوج اخر غير زوجها الاول وابكارا جمع بكر وهى الفتاه العذراء التى لم يسبق لها الزواج وسميت بذلك لانها لا تزال على اول حالتها التى خلقت عليها وهذه الصفات جاءت منصوبه على انها نعت لقوله ازواجا او حال ولم يعطف بعضها على بعض بالواو لاجل التنصيص على ثبوت جميع تلك الصفات لكل واحده منهن وعطف سبحانه وابكارا على ما قبله لتنافى الوصفين اذ الثيبات لا يوصفن بالابكار وكذلك الابكار لا يوصفن بالثيبات ولا يجتمع الوصفان فى ذات واحده**

**#غافر الذنب وقابل التوب**

**قال تعالى : { غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ} (غافر - 3)**

**قال البغوى : غافر الذنب ساتر الذنب وقابل التوب يعني التوبه مصدر تاب يتوب توبا وقيل التوب جمع توبه مثل دومه ودوم وحومه وحوم**

**وقال ابن كثير : وقوله غافر الذنب وقابل التوب اي يغفر ما سلف من الذنب ويقبل التوبه في المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه وقوله شديد العقاب اي لمن تمرد وطغى واثر الحياه الدنيا وعتا عن اوامر الله وبغى وقد اجتمع في هذه الايه الرجاء والخوف وهذه كقوله تعالى {نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم } الحجر 49 50 يقرن هذين الوصفين كثيرا في مواضع متعدده من القران ; ليبقى العبد بين الرجاء والخوف**

**وقال القرطبى : غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قال الفراء جعلها كالنعت للمعرفه وهي نكره وقال الزجاج هي خفض على البدل ، وتحقيق الكلام في هذا وتلخيصه ان غافر الذنب وقابل التوب يجوز ان يكونا معرفتين على انهما لما مضى فيكونا نعتين ويجوز ان يكونا للمستقبل والحال فيكونا نكرتين ولا يجوز ان يكونا نعتين على هذا ولكن يكون خفضهما على البدل ويجوز النصب على الحال .....**

**و " التوب " يجوز ان يكون مصدر تاب يتوب توبا ويحتمل ان يكون جمع توبه نحو دومه ودوم وعزمه وعزم ومنه قوله: فيخبو ساعه ويهب ساعا ، ويجوز ان يكون التوب بمعنى التوبه قال ابو العباس والذي يسبق الى قلبي ان يكون مصدرا اي يقبل هذا الفعل كما تقول قال قولا واذا كان جمعا فمعناه يقبل التوبات**

**وقال ابن عاشور : كانه يقول ان كنتم اذنبتم بالكفر بالقران فان تدارك ذنبكم في مكنتكم لان الله مقرر اتصافه بقبول التوبه وبغفران الذنب فكما غفر لمن تابوا من الامم فقبل ايمانهم يغفر لمن يتوب منكم وتقديم غافر على قابل التوب مع انه مرتب عليه في الحصول للاهتمام بتعجيل الاعلام به لمن استعد لتدارك امره فوصف غافر الذنب وقابل التوب تعريض بالترغيب وصفتا شديد العقاب ذي الطول تعريض بالترهيب**

**والتوب مصدر تاب والتوب بالمثناه والثوب بالمثلثه والاوب كلها بمعنى الرجوع اي الرجوع الى امر الله وامتثاله بعد الابتعاد عنه وانما عطفت صفة وقابل التوب بالواو على صفة غافر الذنب ولم تفصل كما فصلت صفتا العليم وصفه شديد العقاب اشاره الى نكته جليله وهي افاده ان يجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته فيجعلها له طاعه وبين ان يمحو عنه بها الذنوب التي تاب منها وندم على فعلها فيصبح كانه لم يفعلها وهذا فضل من الله**

**وقال طنطاوي : غافر الذنب اى ساتر لذنوب عباده ومزيل لاثرها عنهم بفضله ورحمته فلفظ غافر من الغفر بمعنى الستر والتغطيه يقال غفر الله تعالى ذنب فلان غفرا ومغفرة وغفرانا اذا غطاه وستره وعفا عنه ولفظ الذنب يطلق على كل قول او فعل تسوء عاقبته ماخوذ من ذنب الشئ اى نهايته**

**وقابل التوب والتوب مصدر بمعنى الرجوع عن الذنب والتوبة منه يقال تاب فلان عن الذنب توبة وتوبتا اذا رجع عنه اى انه سبحانه يغفر ذنوب عباده ويقبل توبتهم فضلا منه وكرما [1].**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع الألوكة – د جمال فرحان**

**#قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب**

**قال تعالى : { كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍۢ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } (الرعد - 30)**

**قال ابن عاشور : جمله عليه توكلت واليه متاب هي نتيجه لكونه ربا واحدا ولكنها كالنتيجه ؛ لذلك فصلت عن التي قبلها لما بينهما من الاتصال وتقديم المجرورين وهما عليه و اليه لافاده اختصاص التوكل والمتاب بالكون عليه اي لا على غيره لانه لما توحد بالربوبيه كان التوكل عليه ولما اتصف بالرحمانيه كان المتاب اليه لان رحمانيته مظنه لقبوله توبة عبده والمتاب مصدر ميمي على وزن مفعل اي التوبة يفيد المبالغه لان الاصل في المصادر الميمية انها اسماء زمان جعلت كناية عن المصدر ثم شاع استعمالها حتى صارت كالصريح ولما كان المتاب متضمنا معنى الرجوع الى ما يامر الله به عدي المتاب بحرف الى واصل متاب متابي باضافة الى ياء المتكلم فحذفت الياء تخفيفا وابقيت الكسرة دليلا على المحذوف كما حذف في النادى المضاف الى الياء**

**وقال طنطاوي : والحال انهم يكفرون بالرحمن اى العظيم الرحمه الذى وسعت رحمته كل شئ واوثر اختيار اسم الرحمن من بين اسمائه تعالى للاشاره الى ان ارساله صلى الله عليه وسلم مبعثه الرحمه كما قال تعالى {وما ارسلناك الا رحمه للعالمين} وللرد عليهم فى انكارهم ان يكون الله تعالى رحمانا فقد حكى القران عنهم ذلك فى قوله {واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن } وقد ثبت فى الحديث الصحيح انهم لم يرضوا بكتابة هذا الاسم الكريم فى صلح الحديبيه فعندما قال صلى الله عليه وسلم لعلى اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال احد زعمائهم ما ندرى ما الرحمن الرحيم وقد امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم بما يبطل كفرهم فقال {قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب } اى قل لهم ايها الرسول الكريم الرحمن الذى تتجافون النطق باسم الكريم هو وحده ربى وخالقى لا اله مستحق للعباده سواه عليه لا على احد سواه توكلت فى جميع امورى واليه لا الى غيره مرجعى وتوبتى وانابتى فهذه الجمله الكريمه اشتملت على ابلغ رد على اولئك المشركين الذين انكروا ان يكون الاله جل وعلا رحمانا وانه سبحانه هو المستحق للعباده**

**#** **التوبة لها مبدأ ومنتهى**

**قال ابن القيم رحمه الله: التوبة لها مبدأ ومنتهى، فمبدؤها الرجوع إلى الله بسلوك صراطه المستقيم الذي نصبه لعباده، موصلا إلى رضوانه، وأمرهم بسلوكه بقوله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل} [الأنعام: 153] وبقوله: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض} [الشورى: 52] وبقوله: {وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد} [الحج: 24] .**

**ونهايتها الرجوع إليه في المعاد، وسلوك صراطه الذي نصبه موصلا إلى جنته، فمن رجع إلى الله في هذه الدار بالتوبة رجع إليه في المعاد بالثواب، وهذا هو أحد التأويلات في قوله تعالى {ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا} [الفرقان: 71] قال البغوي وغيره: يتوب إلى الله متابا يعود إليه بعد الموت، متابا حسنا يفضل على غيره فالتوبة الأولى - وهي قوله: ومن تاب - رجوع عن الشرك، والثانية: رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة.**

**والتأويل الثاني: أن الجزاء متضمن معنى الأوامر، والمعنى: ومن عزم على التوبة وأرادها، فليجعل توبته إلى الله وحده، ولوجهه خالصا، لا لغيره.**

**التأويل الثالث: أن المراد لازم هذا المعنى، وهو إشعار التائب وإعلامه بمن تاب إليه، ورجع إليه، والمعنى: فليعلم توبته إلى من؟ ورجوعه إلى من؟ فإنها إلى الله لا إلى غيره.**

**ونظير هذا - على أحد التأويلين - قوله تعالى {ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته} [المائدة: 67] أي اعلم ما يترتب على من عصى أوامره ولم يبلغ رسالته.**

**والتأويل الرابع: أن التوبة تكون أولا بالقصد والعزم على فعلها، ثم إذا قوي العزم وصار جازما وجد به فعل التوبة، فالتوبة الأولى بالعزم والقصد لفعلها، والثانية بنفس إيقاع التوبة وإيجادها، والمعنى: فمن تاب إلى الله قصدا ونية وعزما، فتوبته إلى الله عملا وفعلا، وهذا نظير قوله صلى الله عليه وسلم «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**

**#الله هو يقبل التوبة عن عباده**

**قال تعالى : { أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ**

**(التوبة - 104)**

**قال ابن كثير : هذا تهييج الى التوبه والصدقه اللتين كل منها يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها واخبر تعالى ان كل من تاب اليه تاب عليه ومن تصدق بصدقه من كسب حلال فان الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها حتى تصير التمره مثل احد**

**وقال القرطبى : قيل : قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هولاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم الان وما هذه الخاصه التي خصوا بها دوننا ; فنزلت الم يعلموا فالضمير في يعلموا عائد الى الذين لم يتوبوا من المتخلفين قال معناه ابن زيد ويحتمل ان يعود الى الذين تابوا وربطوا انفسهم وقوله تعالى هو تاكيد لانفراد الله سبحانه وتعالى بهذه الامور وتحقيق ذلك انه لو قال ان الله يقبل التوبه لاحتمل ان يكون قبول رسوله قبولا منه ; فبينت الايه ان ذلك مما لا يصل اليه نبي ولا ملك**

**وقال الطبرى وهذا خبر من الله تعالى ذكره اخبر به المومنين به ان قبول توبة من تاب من المنافقين واخذ الصدقه من اموالهم اذا اعطوها ليسا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وان نبي الله حين ابى ان يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه وحين ترك قبول صدقتهم بعد ان اطلق الله عنهم حين اذن له في ذلك انما فعل ذلك من اجل ان ذلك لم يكن اليه صلى الله عليه وسلم وان ذلك الى الله تعالى ذكره دون محمد وان محمدا انما يفعل ما يفعل من ترك واطلاق واخذ صدقه وغير ذلك من افعاله بامر الله فقال جل ثناوه الم يعلم هولاء المتخلفون عن الجهاد مع المومنين الموثقو انفسهم بالسواري القائلون " لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا " السائلو رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ صدقه اموالهم ان ذلك ليس الى محمد وان ذلك الى الله وان الله هو الذي يقبل توبه من تاب من عباده او يردها وياخذ صدقه من تصدق منهم او يردها عليه دون محمد فيوجهوا توبتهم وصدقتهم الى الله ويقصدوا بذلك قصد وجهه دون محمد وغيره ويخلصوا التوبه له ويريدوه بصدقتهم ويعلموا ان الله هو التواب الرحيم يقول المراجع لعبيده الى العفو عنه اذا رجعوا الى طاعته الرحيم بهم اذا هم انابوا الى رضاه من عقابه**

**وقال ابن عاشور : ان كان الذين اعترفوا بذنوبهم وعرضوا اموالهم للصدقه قد بقي في نفوسهم اضطراب من خوف ان لا تكون توبتهم مقبوله وان لا يكون الرسول عليه الصلاه والسلام قد رضي عنهم وكان قوله ان صلواتك سكن لهم التوبه 103 مشيرا الى ذلك وذلك الذي يشعر به اقتران قبول التوبه وقبول الصدقات هنا ليناظر قوله اعترفوا بذنوبهم التوبه 102 وقوله خذ من اموالهم صدقه التوبه 103 كانت جمله الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبه استينافا بيانيا ناشئا عن التعليل بقوله ان صلواتك سكن لهم التوبه 103 لانه يثير سوال من يسال عن موجب اضطراب نفوسهم بعد ان تابوا فيكون الاستفهام تقريرا مشوبا بتعجب من ترددهم في قبول توبتهم والمقصود منه التذكير بامر معلوم لانهم جروا على حال نسيانه ويكون ضمير يعلموا عائدا الى الذين اعترفوا بذنوبهم وان كان الذين اعترفوا بذنوبهم لم يخطر ببالهم شك في قبول توبتهم وكان قوله ان صلواتك سكن لهم التوبه 103 مجرد ارشاد من الله لرسوله الى حكمة دعائه لهم بان دعاءه يصلح نفوسهم ويقوي ايمانهم كان الكلام عليهم قد تم عند قوله والله سميع عليم التوبه 103 وكانت جمله الم يعلموا مستانفه استئنافا ابتدائيا على طريقة الاستطراد لترغيب امثال اولئك في التوبة ممن تاخروا عنها وكان ضمير الم يعلموا عائدا الى ما هو معلوم من مقام التنزيل وهو الكلام على احوال الامه وكان الاستفهام انكاريا ونزل جميعهم منزلة من لا يعلم قبول التوبة لان حالهم حال من لا يعلم ذلك سواء في ذلك من يعلم قبولها ومن لا يعلم حقيقه وكان الكلام ايضا مسوقا للتحضيض وقوله وان الله هو التواب الرحيم عطف على ان الله هو يقبل التوبه تنبيها على انه كما يجب العلم بان الله يفعل ذلك يجب العلم بان من صفاته العلى انه التواب الرحيم اي الموصوف بالاكثار من قبول توبه التائبين الرحيم لعباده ولا شك ان قبول التوبه من الرحمه فتعقيب التواب ب الرحيم في غايه المناسبه**

**وقال طنطاوي : حرضهم سبحانه على التوبه النصوح وحثهم على بذل الصدقات فقال {الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبه عن عباده وياخذ الصدقات} اى الم يعلم هولاء التائبون من ذنوبهم ان الله تعالى وحده هو الذى يقبل التوبه الصادقه من عباده المخلصين وانه سبحانه هو الذى " ياخذ الصدقات " اى يتقبلها من اصحابها قبول من ياخذ شيئا ليودى بدله فالتعبير بالاخذ للترغيب فى بذل الصدقات ودفعها للفقراء والاستفهام للتقرير والتحضيض على تجديد التوبه وبذل الصدقه وقوله وان الله هو التواب الرحيم تذييل قصد به تقرير ما قبله وتاكيده اى وان الله وحده هو الذى يقبل توبته المره بعد الاخرى وانه هو الواسع الرحمه بهم الكثير المغفره لهم**

**#وقال تعالى : { وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}(الشورى - 25)**

**قال الطبرى : يقول تعالى ذكره والله الذي يقبل مراجعه العبد اذا رجع الى توحيد الله وطاعته من بعد كفره ويعفو عن السيئات يقول ويعفو له ان يعاقبه على سيئاته من الاعمال وهي معاصيه التي تاب منها ويعلم ما تفعلون اختلف القراء في قراءه ذلك فقراته عامه قراء المدينه والبصره " يفعلون" بالياء بمعنى ويعلم ما يفعل عباده وقراته عامه قراء الكوفه تفعلون بالتاء على وجه الخطاب والصواب من القول في ذلك عندي انهما قراءتان مشهورتان في قراءه الامصار متقاربتا المعنى فبايتهما قرا القارئ فمصيب غير ان الياء اعجب الي لان الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر وذلك قوله وهو الذي يقبل التوبه عن عباده ويعني جل ثناوه بقوله ويعلم ما تفعلون ويعلم ربكم ايها الناس ما تفعلون من خير وشر لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو مجازيكم على كل ذلك جزاءه فاتقوا الله في انفسكم واحذروا ان تركبوا ما تستحقون به منه العقوبه حدثنا تميم بن المنتصر قال اخبرنا اسحاق بن يوسف عن شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعي عن همام بن الحارث قال اتينا عبد الله نساله عن هذه الايه وهو الذي يقبل التوبه عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون قال فوجدنا عنده اناسا او رجالا يسالونه عن رجل اصاب من امراه حراما ثم تزوجها فتلا هذه الايه وهو الذي يقبل التوبه عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون**

**وقال ابن كثير : يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم اليه اذا تابوا ورجعوا اليه انه من كرمه وحلمه انه يعفو ويصفح ويستر ويغفر كقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما النساء 110 وقد ثبت في صحيح مسلم رحمه الله حيث قال حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قال حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمه بن عمار حدثنا اسحاق بن ابي طلحه حدثني انس بن مالك وهو عمه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لله اشد فرحا بتوبه عبده حين يتوب اليه من احدكم كان راحلته بارض فلاه فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجره فاضطجع في ظلها قد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذا هو بها قائمه عنده فاخذ بخطامها ثم قال من شده الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شده الفرح " وقد ثبت ايضا في الصحيح من روايه عبد الله بن مسعود نحوه وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله وهو الذي يقبل التوبه عن عباده ان ابا هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لله اشد فرحا بتوبه عبده من احدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف ان يقتله العطش فيه " وقال همام بن الحارث سئل ابن مسعود عن الرجل يفجر بالمراه ثم يتزوجها قال لا باس به وقرا وهو الذي يقبل التوبه عن عباده الايه رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من حديث شريك القاضي عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعي عن همام فذكره وقوله ويعفو عن السيئات اي يقبل التوبه في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي ويعلم ما تفعلون اي هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم ومع هذا يتوب على من تاب اليه**

**وقال القرطبى : قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبه عن عباده قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا الموده في القربى قال قوم في نفوسهم ما يريد الا ان يحثنا على اقاربه من بعده فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وانهم قد اتهموه فانزل ام يقولون افترى على الله كذبا الايه فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق ونتوب فنزلت وهو الذي يقبل التوبه عن عباده قال ابن عباس اي عن اوليائه واهل طاعته والايه عامه وقد مضى الكلام في معنى التوبه واحكامها ومضى هذا اللفظ في براءه ويعفو عن السيئات اي عن الشرك قبل الاسلام ويعلم ما تفعلون اي من الخير والشر**

**وقال ابن عاشور : لما جرى وعيد الذين يحاجون في الله لتاييد باطلهم من قوله تعالى والذين يحاجون في الله من بعدما استجيب له حجتهم داحضه عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الشورى 16 ثم اتبع بوصف سوء حالهم يوم الجزاء بقوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا الشورى 22 وقوبل بوصف نعيم الذين امنوا بقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات الشورى 22 وكان ذلك مظنه ان يكسر نفوس اهل العناد والضلاله اعقب باعلامهم ان الله من شانه قبول توبه من يتوب من عباده وعفوه بذلك عما سلف من سيئاتهم**

**وهذا الاخبار تعريض بالتحريض على مبادره التوبه ولذلك جيء فيه بالفعل المضارع الصالح للاستقبال وهو ايضا بشاره للمومنين بانه قبل توبتهم مما كانوا فيه من الشرك والجاهليه فان الذي من شانه ان يقبل التوبه في المستقبل يكون قد قبل توبه التائبين من قبل بدلاله لحن الخطاب او فحواه وان من شانه الاستجابه للذين امنوا وعملوا الصالحات من عباده وكل ذلك جري على عاده القران في تعقيب الترهيب بالترغيب وعكسه**

**وهذا كله يتضمن وعدا للمومنين بقبول ايمانهم وللعصاه بقبول توبتهم فجمله وهو الذي يقبل التوبه عن عباده معطوفه على جمله وان الظالمين لهم عذاب اليم الشورى 21**

**# توبة القاتل**

**قال تعالى : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍۢ مُّؤْمِنَةٍۢ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّۢ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍۢ مُّؤْمِنَةٍۢ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍۢ مُّؤْمِنَةٍۢ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (النساء - 92)**

**قال الطبرى : قال جل ثناوه {توبة من الله وكان الله عليما حكيما } يعني تجاوزا من الله لكم الى التيسير عليه بتخفيفه عنكم ما خفف عنكم من فرض تحرير الرقبه المومنه اذا اعسرتم بها بايجابه عليكم صوم شهرين متتابعين وكان الله عليما حكيما يقول ولم يزل الله عليما بما يصلح عباده فيما يكلفهم من فرائضه وغير ذلك حكيما بما يقضي فيهم ويريد**

**وقال البغوى : توبه من الله اي جعل الله ذلك توبه لقاتل الخطا وكان الله عليما بمن قتل خطا حكيما فيما حكم به عليكم**

**وقال القرطبى : قوله تعالى توبه من الله نصب على المصدر ومعناه رجوعا وانما مست حاجه المخطئ الى التوبه لانه لم يتحرز وكان من حقه ان يتحفظ وقيل اي فليات بالصيام تخفيفا من الله تعالى عليه بقبول الصوم بدلا عن الرقبه ومنه قوله تعالى {علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم } اي خفف وقوله تعالى {علم ان لن تحصوه فتاب عليكم } الموفيه**

**وقال ابن عاشور : وقوله توبه من الله مفعول لاجله على تقدير شرع الله الصيام توبه منه والتوبه هنا مصدر تاب بمعنى قبل التوبه بقرينه تعديته ب {من} لان تاب يطلق على معنى ندم وعلى معنى قبل منه كما تقدم في قوله تعالى انما التوبه على الله النساء 17 في هذه السوره اي خفف الله عن القاتل فشرع الصيام ليتوب عليه فيما اخطا فيه لانه اخطا في عظيم ولك ان تجعل توبه مفعولا لاجله راجعا الى تحرير الرقبه والديه وبدلهما وهو الصيام اي شرع الله الجميع توبه منه على القاتل ولو لم يشرع له ذلك لعاقبه على اسباب الخطا وهي ترجع الى تفريط الحذر والاخذ بالحزم**

**وقال طنطاوي : توبه من الله وبهذه الاحكام الحكيمه تربى النفوس على الاحتراس والاحتياط واخذ الحذر وتصان الدماء عن ان تذهب هدرا وتعوض اسرة القتيل عن فقيدها بما يخفف الآمها ويجبر خاطرها وتعوض الجماعة الاسلاميه بتحرير رقبة مومنة تعمل لصالح الجماعة بحرية وانطلاق بعد ان كانت تعمل لخدمه سيدها فحسب**

**#الذين يتوبون من كتمان البينات والهدى يتوب الله عليهم**

**{ إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم(160) } البقرة**

**قال الطبرى : يعني تعالى ذكره بذلك ان الله واللاعنين يلعنون الكاتمين الناس ما علموا من امر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته في الكتاب الذي انـزله الله وبينه للناس الا من اناب من كتمانه ذلك منهم وراجع التوبه بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاقرار به وبنبوته وتصديقه فيما جاء به من عند الله وبيان ما انـزل الله في كتبه التي انـزل الى انبيائه من الامر باتباعه واصلح حال نفسه بالتقرب الى الله من صالح الاعمال بما يرضيه عنه وبين الذي علم من وحي الله الذي انـزله الى انبيائه وعهد اليهم في كتبه فلم يكتمه واظهره فلم يخفه " فاولئك " يعني هولاء الذين فعلوا هذا الذي وصفت منهم هم الذين اتوب عليهم فاجعلهم من اهل الاياب الى طاعتي والانابه الى مرضاتي ثم قال تعالى ذكره " وانا التواب الرحيم " يقول وانا الذي ارجع بقلوب عبيدي المنصرفه عنى الي والراد لها بعد ادبارها عن طاعتي الى طلب محبتي والرحيم بالمقبلين بعد اقبالهم الي اتغمدهم مني بعفو واصفح عن عظيم ما كانوا اجترموا فيما بيني وبينهم بفضل رحمتي لهم**

**فان قال قائل وكيف يتاب على من تاب وما وجه قوله " الا الذين تابوا فاولئك اتوب عليهم " وهل يكون تائب الا وهو متوب عليه او متوب عليه الا وهو تائب قيل ذلك مما لا يكون احدهما الا والاخر معه فسواء قيل الا الذين تيب عليهم فتابوا او قيل الا الذين تابوا فاني اتوب عليهم**

**وقال الرازي**

**اعلم أنه تعالى لما بين عظيم الوعيد في الذين يكتمون ما أنزل الله كان يجوز أن يتوهم أن الوعيد يلحقهم على كل حال ، فبين تعالى أنهم إذا تابوا تغير حكمهم ، ودخلوا في أهل الوعيد ، وقد ذكرنا أن التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لا لغرض سواه ؛ لأن من ترك رد الوديعة ثم ندم عليه لأن الناس ذموه ، أو لأن الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا ، وكذلك لو عزم على رد كل وديعة ، والقيام بكل واجب ، لكي تقبل شهادته ، أو يمدح بالثناء عليه لم يكن تائبا ، وهذا معنى الإخلاص في التوبة ، ثم بين تعالى أنه لا بد له بعد التوبة من إصلاح ما أفسده ، مثلا لو أفسد على غيره دينه بإيراد شبهة عليه يلزمه إزالة تلك الشبهة ، ثم بين ثالثا أنه بعد ذلك يجب عليه فعل ضد الكتمان ، وهو البيان وهو المراد بقوله :( وبينوا ) فدلت هذه الآية على أن التوبة لا تحصل إلا بترك كل ما لا ينبغي وبفعل كل ما ينبغي**

**ومعنى : ( أتوب عليهم ) أقبل توبتهم ، وقبول التوبة يتضمن إزالة عقاب ما تاب منها ، فإن قيل : هلا قلتم أن معنى ( فأولئك أتوب عليهم ) هو قبول التوبة بمعنى المجازاة والثواب كما تقولون في قبول الطاعة ؟ قلنا : الطاعة إنما أفاد قبولها استحقاق الثواب ؛ لأنه لا يستحق بها سواه ، وهو الغرض بفعلها ، وليس كذلك التوبة لأنها موضوعة لإسقاط العقاب ، وهو الغرض بفعلها ، وإن كان لا بد من أن يستحق بها الثواب إذا لم يكن مخطئا ، ومعنى قوله : ( وأنا التواب ) القابل لتوبة كل ذي توبة ، فهو مبالغة في هذا الباب ، ومعنى الرحيم عقيب ذلك : التنبيه على أنه لرحمته بالمكلفين من عباده ، يقبل توبتهم بعد التفريط العظيم منهم .**

**وقال طنطاوي : وبعد هذا الوعيد الشديد لاولئك الكاتمين لما امر الله باظهاره اورد القران في اعقاب ذلك آية تفتح لهم نافذة الامل وتبين لهم انهم اذا تابوا وانابوا قبل الله توبتهم ورحمهم فقال تعالى {الا الذين تابوا } اى رجعوا عن الكتمان وعن سائر ما يجب ان يتاب عنه وندموا على ما صدر عنهم واصلحوا ما افسدوه بالكتمان بكل وسيله ممكنه وبينوا للناس حقيقه ما كتموه {فاولئك اتوب عليهم} اى اقبل توبتهم وافيض عليهم من رحمتي ومغفرتي {وانا التواب الرحيم } اى المبالغ في قبول التوبه ونشر الرحمه**

**وقال ابن كثير : ثم استثنى الله تعالى من هولاء من تاب اليه فقال الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا اي رجعوا عما كانوا فيه واصلحوا اعمالهم واحوالهم وبينوا للناس ما كانوا كتموه فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم وفي هذا دلاله على ان الداعيه الى كفر او بدعة اذا تاب الى الله تاب الله عليه وقد ورد ان الامم السابقه لم تكن التوبه تقبل من مثل هولاء منهم ولكن هذا من شريعة نبي التوبة ونبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه ثم اخبر تعالى عمن كفر به واستمر به الحال الى مماته بان عليهم لعنة الله والملائكه والناس اجمعين خالدين فيها اي في اللعنه التابعه لهم الى يوم القيامه ثم المصاحبه لهم في نار جهنم التي لا يخفف عنهم العذاب فيها اي لا ينقص عما هم فيه ولا هم ينظرون اي لا يغير عنهم ساعه واحده ولا يفتر بل هو متواصل دائم فنعوذ بالله من ذلك وقال ابو العاليه وقتاده ان الكافر يوقف يوم القيامه فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكه ثم يلعنه الناس اجمعون**

**وقال القرطبى : قوله تعالى الا الذين تابوا استثنى تعالى التائبين الصالحين لاعمالهم واقوالهم المنيبين لتوبتهم ولا يكفي في التوبة عند علمائنا قول القائل قد تبت حتى يظهر منه في الثاني خلاف الاول فان كان مرتدا رجع الى الاسلام مظهرا شرائعه وان كان من اهل المعاصي ظهر منه العمل الصالح وجانب اهل الفساد والاحوال التي كان عليها وان كان من اهل الاوثان جانبهم وخالط اهل الاسلام وهكذا يظهر عكس ما كان عليه ... وقال بعض العلماء في قوله وبينوا اي بكسر الخمر واراقتها وقيل بينوا يعني ما في التوراة من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجوب اتباعه والعموم اولى على ما بيناه اي بينوا خلاف ما كانوا عليه**

**وقال ابن عاشور : وقوله الا الذين تابوا استثناء من الذين يكتمون اي فهم لا تلحقهم اللعنة وهو استثناء حقيقي منصوب على تمام الكلام من الذين يكتمون ما انزلنا الخ وشرط للتوبة ان يصلحوا ما كانوا افسدوا وهو باظهار ما كتموه وان يبينوه للناس فلا يكفي اعترافهم وحدهم او في خلواتهم فالتوبة هنا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فانه رجوع عن كتمانهم الشهاده له الوارده في كتبهم واطلاق التوبة على الايمان بعد الكفر وارد كثيرا لان الايمان هو توبه الكافر من كفره وانما زاد بعده واصلحوا وبينوا لان شرط كل توبة ان يتدارك التائب ما يمكن تداركه مما اضاعه بفعله الذي تاب عنه ولعل عطف وبينوا على اصلحوا عطف تفسير وقوله فاولئك اتوب عليهم جمله مستانفه لغير بيان بل لفائده جديده لانه لما استثنى الذين تابوا فقد تم الكلام وعلم السامع ان من تابوا من الكاتمين لا يلعنهم الله ولا يلعنهم اللاعنون وجيء باسم الاشاره مسند اليه يمثل النكته التي تقدمت وقرنت الجمله بالفاء للدلاله على شيء زائد على مفاد الاستثناء وهو ان توبتهم يعقبها رضى الله عنهم وفي صحيح البحاري عن ابن مسعود قال رسول الله " لله افرح بتوبه عبده من رجل نزل منزلا وبه مهلكه ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومه فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني فرجع فنام نومه ثم رفع راسه فاذا راحلته عنده " فجاء في الايه نظم بديع تقديره الا الذين تابوا انقطعت عنهم اللعنه فاتوب عليهم اي ارضى وزاد توسط اسم الاشاره للدلاله على التعليل وهو ايجاز بديع**

**# ثواب التوبة النصوح**

**قال تعالى :{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [ الزمر53 ] .**

**وهذه الآية آية التائبين والعائدين إلى الله ، يبشرهم ربهم بأنه يقبل توبتهم ، ولا يقنطوا من رحمة ربهم فهو القريب السميع البصير الذي يسمع نجواهم ومناداتهم لربهم عند توبتهم ، ويقيل عثراتهم ، ويغفر ذنوبهم وزلاتهم وهي أرجى آية في كتاب الله تعالى**

**قال ابن تيمية:**

**‏‏ وقد ذكرنا في غير موضع أن هذه الآية في حق التائبين، وأما آيتا النساء، قوله‏:‏ ‏{‏‏إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء}‏‏ ‏[‏النساء‏:‏ 48- 116‏]‏، فلا يجوز أن تكون في حق التائبين، كما يقوله من يقوله من المعتزلة، فإن التائب من الشرك يغفر له الشرك أيضًا بنصوص القرآن واتفاق المسلمين‏.‏**

**وهذه الآية فيها تخصيص وتقييد، وتلك الآية فيها تعميم وإطلاق، هذه خَصَّ فيها الشرك بأنه لا يغفره، وما عداه لم يجزم بمغفرته، بل علَّقه بالمشيئة فقال‏:‏ ‏{‏‏وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء}‏‏ ‏.‏**

**وقد ذكرنا في غير موضع أن هذه كما تَرُدُّ على الوعيديَّة من الخـوارج والمعتزلة، فهي تَرُدُّ أيضًا على المرجئة الواقفية، الذين يقولون‏:‏ يجوز أن يعذب كل فاسق فلا يغفر لأحد، ويجوز أن يغفر للجميع، فإنه قد قال‏:‏ ‏{‏‏وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء}‏‏ فأثبت أن ما دون ذلك هو مغفور لكن لمن يشاء، فلو كان لا يغفره لأحد بطل قوله‏:‏ ‏{‏‏وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ‏}، ولو كان يغفره لكل أحد بطل قوله‏:‏ ‏{‏‏لِمَن يَشَاء}‏‏، فلما أثبت أنه يغفر ما دون ذلك وأن المغفرة هي لمن يشاء، دل ذلك على وقوع المغفرة العامة مما دون الشرك، لكنها لبعض الناس‏.**

**‏‏ وحينئذ، فمن غُفِر له لم يُعذَّب، ومن لم يُغْفَر له عُذِّب، وهذا مذهب الصحابة والسلف والأئمة، وهو القطع بأن بعض عصاة الأمة يدخل النار وبعضهم يغفر له، لكن هل ذلك على وجه الموازنة والحكمة، أو لا اعتبار بالموازنة‏؟‏ فيه قولان للمنتسبين إلى السنة من أصحابنا وغيرهم، بناء على أصل الأفعال الإلهية، هل يعتبر فيها الحكمة والعدل‏؟‏ وأيضًا، فمسألة الجزاء فيها نصوص كثيرة دلت على الموازنة، كما قد بسط في غير هذا الموضع‏.**

**‏‏ والمقصود هنا أن قوله‏:‏‏{‏‏يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}‏‏ ‏[‏الزمر‏:‏53‏]‏، فيه نهى عن القنوط من رحمة الله تعالى، وإنْ عَظُمَت الذنوب وكثرت، فلا يَحِل لأحد أن يقنط من رحمة الله وإن عَظُمَت ذنوبه، ولا أن يُقَنِّط الناس من رحمة الله‏.**

**‏‏ قال بعض السلف‏:‏ إنَّ الفقيه كل الفقيه الذي لا يُؤْيِس الناس من رحمة الله، ولا يُجَرِّيهم على معاصي الله‏.**

**‏‏ والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له، إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته ويغفر ذنوبه، وإما بأن يقول‏:‏ نفسه لا تطاوعه على التوبة، بل هو مغلوب معها، والشيطان قد استحوذ عليه، فهو ييأس من توبة نفسه، وإن كان يعلم أنه إذا تاب غفر الله له، وهذا يعترى كثيرًا من الناس‏.‏**

**والقنوط يحصل بهذا تارة، وبهذا تارة، فالأول‏:‏ كالراهب الذي أفتى قاتل تسعة وتسعين أن الله لا يغفر له، فقتله وكَمَّلَ به مائة، ثم دُلَّ على عالم فأتاه فسأله فأفتاه بأن الله يقبل توبته‏.**

**‏‏ والحديث في الصحيحين ‏.‏ والثاني‏:‏ كالذى يرى للتوبة شروطًا كثيرة، ويقال له‏:‏ لها شروط كثيرة، يتعذر عليه فعلها، فييأس من أن يتوب‏.‏**

**وقد تنازع الناس في العبد‏:‏ هل يصير في حال تمتنع منه التوبة إذا أرادها‏؟‏ والصواب الذي عليه أهل السنة والجمهور‏:‏ أن التوبة ممكنة من كل ذنب، وممكن أن الله يغفره، وقد فرضوا في ذلك من توسـط أرضًا مغصوبة، ومن توسط جَرْحَى، فكيف ما تحرك قتل بعضهم‏؟‏‏!‏ فقيل‏:‏ هذا لا طريق له إلى التوبة‏.‏ والصحيح‏:‏ أن هذا إذا تاب، قبل الله توبته‏.‏**

**أما من توسط الأرض المغصوبة، فهذا خروجه بنية تخلية المكان وتسليمه إلى مستحِقِّه ليس منهيًا عنه ولا محرَّمًا، بل الفقهاء متفقون على أن من غصب دارًا وترك فيها قماشه وماله، إذا أمر بتسليمها إلى مستحقها فإنه يؤمر بالخروج منها، وبإخراج أهله وماله منها، وإن كان ذلك نوع تَصَرُّف فيها، لكنه لأَجْلِ إخلائها‏.**

**‏‏ والمشرك إذا دخل الحرم أمر بالخروج منه، وإن كان فيه مرور فيه، ومثل هذا حديث الأعرابي المتَّفَق على صحته لمَّا بال في المسجد فقام الناس إليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم "لا تُزْرِموه‏"‏‏، أي لا تقطعوا عليه بوله، وأمرهم أن يصبوا على بوله دلوًا من ماء، فهو لما بدأ بالبول كان إتمامه خيرًا من أن يقطعوه، فيلوث ثيابه وبدنه، ولو زنا رجل بامرأة ثم تاب لنزع، ولم يكن مذنبًا بالنزع، وهل هو وطء‏؟‏ فيه قولان‏:‏ هما روايتان عن أحمد‏.**

**‏‏ فلو حلف ألاَّ يطأ امرأته بالطلاق الثلاث، فالذين يقولون‏:‏ إنه يقع به الطلاق الثلاث إذا وطئها تنازعوا‏:‏ هل يجوز له وطؤها‏؟‏ على قولين‏:‏ هما روايتان عن أحمد‏.‏**

**أحدهما‏:‏ يجوز كقول الشافعى‏.‏**

**والثاني‏:‏ لا يجوز كقول مالك، فإنه يقول‏:‏ إذا أَجزْتَ الوطء لزم أن يباشرها في حال النزع وهى محرمة، وهذا إنما يُجَوَّزه للضرورة، لا يجوزه ابتداء، وذلك يقول‏:‏ النزع ليس بمحرم‏.‏**

**وكذلك الذين يقولون‏:‏ إذا طلع عليه الفجر وهو مولج فقد جامع، لهم في النزع قولان‏:‏ في مذهب أحمد وغيره‏.**

**‏‏ وأما على ما نصرناه فلا يحتاج إلى شيء من هذه المسائل، فإن الحالف إذا حنث يكفر يمينه ولا يلزمه الطلاق الثلاث، وما فعله الناس حال التبيُّن من أَكْل وجَمَاع فلا بأس به، لقوله‏:‏‏{‏حتى‏}‏ والمقصود أنه لا يجوز أن يقنط أحد، ولا يُقَنِّط أحدًا من رحمة الله، فإن الله نهى عن ذلك، وأخبر أنه يغفر الذنوب جميعًا‏.**

**‏‏ فإن قيل‏:‏ قوله‏:‏ ‏{‏‏إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا‏} ‏[‏الزمر‏:‏ 53‏]‏، معه عموم على وجه الإخبار، فدل أن الله يغفر كل ذنب؛ ومعلوم أنه لم يُرِدْ أن من أذنب من كافر وغيره فإنه يغفر له، ولا يعذبه لا في الدنيا ولا في الآخرة، فإن هذا خلاف المعلوم بالضرورة والتواتر والقرآن والإجماع، إذ كان الله أهلك أممًا كثيرة بذنوبها، ومن هذه الأمة من عُذِّبَ بذنوبه، إما قدرًا، وإما شرعًا في الدنيا قبل الآخرة‏.**

**‏‏ وقد قال تعالى‏:‏ ‏{‏‏مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}‏‏ ‏[‏النساء‏:‏ 123‏]‏، وقال‏:‏‏{‏‏فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ‏} ‏[‏الزلزلة‏:‏ 7- 8‏]‏، فهذا يقتضى أن هذه الآية ليست على ظاهرها؛ بل المراد أن الله قد يغفر الذنوب جميعًا‏.**

**‏‏ أي‏:‏ ذلك مما قد يفعله أو أنه يغفره لكل تائب، لكن يقال‏:‏ فَلِمَ أتى بصيغة الجزم والإطلاق في موضع التردد والتقْييد‏؟‏ قيل‏:‏ بل الآية على مقتضاها، فإن الله أخبر أنه يغفر جميع الذنوب، ولم يذكر أنه يغفر لكل مذنب، بل قد ذكر في غير موضع أنه لا يغفر لمن مات كافرًا، فقال‏:‏‏{‏‏إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ‏} ‏[‏محمد‏:‏ 34‏]‏‏.**

**‏‏ وقال في حق المنافقين‏:‏ ‏{‏‏سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ‏} ‏[‏المنافقون‏:‏ 6‏]‏،لكن هذا اللفظ العام في الذنوب هو مطلق في المذنبين، فالمذنب لم يتعرض له بنفي ولا إثبات، لكن يجوز أن يكون مغفورًا له، ويجوز ألا يكون مغفورًا له؛ إنْ أتى بما يوجب المغفرة غُفِر له، وإن أَصَرَّ على ما يناقضها، لم يُغْفَر له‏.‏**

**وأما جنس الذنب فإن الله يغفره في الجملة؛ الكفر والشرك وغيرهما، يغفرها لمن تاب منها، ليس في الوجود ذنب لا يغفره الرب تعالى، بل ما من ذنب إلا والله تعالى يغفره في الجملة‏.**

**‏‏ وهذه آية عظيمة جامعة من أعظم الآيات نفعًا، وفيها رد على طوائف؛ رد على من يقول‏:‏ إن الداعي إلى البدعة لا تقبل توبته، ويحتجون بحديث إسرائيلي، فيه‏:‏‏(‏أنه قيل لذلك الداعية‏:‏ فكيف بمن أضللتَ‏؟‏‏)‏، وهذا يقوله طائفة ممن ينتسب إلى السنة والحديث، وليسوا من العلماء بذلك،كأبي على الأهوازى وأمثاله،ممن لا يميزون بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة،وما يحتج به وما لا يحتج به، بل يَرْوون كل ما في الباب محتجين به وقد حكى هذا طائفة قولا في مذهب أحمد أو رواية عنه، وظاهر مذهبه مع مذاهب سائر أئمة المسلمين أنه تقبل توبته كما تقبل توبة الداعي إلى الكفر، وتوبة من فتن الناس عن دينهم‏.‏**

**وقد تاب قادة الأحزاب مثل‏:‏ أبى سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسُهَيْل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعِكْرِمة بن أبى جهل، وغيرهم بعد أن قُتِل على الكفر بدعائهم من قتل، وكانوا من أحسن الناس إسلامًا وغفر الله لهم‏.‏ قال تعالى‏:‏ ‏{‏‏قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ}‏‏ ‏[‏الأنفال‏:‏ 38‏]‏‏.‏ وعمرو بن العاص كان من أعظم الدعاة إلى الكفر والإيذاء للمسلمين، وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما أسلم‏‏ ‏"‏‏يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله‏؟‏‏"‏‏‏.‏**

**وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود في قوله‏:‏ ‏{‏‏أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}‏‏ ‏[‏الإسراء‏:‏ 57‏]‏، قال‏:‏ كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم أولئك الجن، والإنس يعبدونهم ‏.**

**‏‏ ففي هذا أنه لم يضر الذين أسلموا عبادة غيرهم بعد الإسلام لهم، وإن كانوا هم أضلوهم أولًا‏.**

**‏‏ وأيضًا، فالداعي إلى الكفر والبدعة، وإن كان أضل غيره، فذلك الغير يُعَاقَب على ذنبه؛ لكونه قَبِل من هذا واتبعه، وهذا عليه وزره ووزر من اتبعه إلى يوم القيامة، مع بقاء أوزار أولئك عليهم، فإذا تاب من ذنبه لم يبق عليه وزره ولا ما حمله هو لأجْل إضلالهم، وأما هم فسواء تاب أو لم يتب، حالهم واحد، ولكن توبته قبل هذا تحتاج إلى ضد ما كان عليه من الدعاء إلى الهدى، كما تاب كثير من الكفار وأهل البدع، وصاروا دعاة إلى الإسلام والسنة‏.‏**

**وسحرة فرعون كانوا أئمة في الكفر ثم أسلموا وختم الله لهم بخير‏.‏ ومن ذلك توبة قاتل النفس‏.‏ والجمهور على أنها مقبولة‏.‏وقال ابن عباس‏:‏ لا تقبل‏. وعن أحمد روايتان‏.**

**وحديث قاتل التسعة والتسعين في الصحيحين دليل على قبول توبته، وهذه الآية تدل على ذلك‏.**

**‏‏ وآية النساء إنما فيها وعيد في القرآن كقوله‏:‏ ‏{‏‏إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}‏‏ ‏[‏النساء‏:‏ 10‏]‏، ومع هذا فهذا إذا لم يتب ‏.**

**‏‏ وكل وعيد في القرآن فهو مشروط بعدم التوبة باتفاق الناس، فبأي وجه يكون وعيد القاتل لاحقًا به وإن تاب‏؟‏ هذا في غاية الضعف، ولكن قد يقال‏:‏ لا تقبل توبته بمعنى أنه لا يسقط حق المظلوم بالقتل، بل التوبة تسقط حق الله، والمقتول مُطَالِبُه بحقه، وهذا صحيح في جميع حقوق الآدميين حتى الديْن، فإن في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قال "الشهيد يغفر له كل شيء إلا الديْن‏"‏‏ لكن حق الآدمي يُعْطَاه من حسنات القاتل‏.‏**

**فمن تمام التوبة، أن يستكثر مـن الحسنات حتى يكـون له ما يقابل حق المقتول، ولعل ابن عباس رأى أن القتل أعظم الذنـوب بعـد الكـفر، فلا يكـون لصاحبـه حسنات تُقَابِل حق المقتـول، فلابد أن يبقى له سيئات يعذب بها، وهذا الذي قاله قد يقع من بعض الناس، فيبقى الكلام فيمن تاب وأخلص،وعجز عن حسنات تعادل حق المظلوم، هل يجعل عليه من سيئات المقتول ما يعذب به‏؟‏ وهذا موضع دقيق، على مثله يُحْمَلُ حديث ابن عباس، لكن هذا كله لا ينافي مُوجِب الآية، وهو أن الله تعالى يغفر كل ذنب؛ الشرك، والقتل، والزنا، وغير ذلك من حيث الجملة، فهي عامة في الأفعال مطلقة في الأشخاص‏.‏**

**ومثل هذا قوله ‏:‏ ‏{‏‏فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ‏} ‏[‏التوبة‏:‏ 5‏]‏،عام في الأشخاص مطلق في أحوال‏.‏‏.‏‏.‏ الأرْجُل؛ إذ قد تكون مستورة بالخف واللفظ لم يتعرض إلى الأحوال‏.**

**‏‏ وكذلك قوله تعالى‏:‏ ‏{‏‏يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ‏} ‏[‏النساء‏:‏ 11‏]‏، عام في الأولاد، عام في الأحوال؛ إذ قد يكون الولد موافِقًا في الدين ومخالفًا، وحرًا وعبدًا‏ ، واللفظ لم يتعرض إلى الأحوال‏.**

**‏‏ وكذلك قوله‏:‏‏{‏‏يَغْفِرُ الذُّنُوبَ}‏‏ ‏[‏الزمر‏:‏ 53‏]‏، عام في الذنوب مطلق في أحوالها، فإن الذنب قد يكون صاحبه تائبًا منه،وقد يكون مصرًا، واللفظ لم يتعرض لذلك، بل الكلام يبين أن الذنب يغفر في حال دون حال،فإن الله أمر بفعل ما تُغْفَر به الذنوب،ونهى عما به يحصل العذاب يوم القيامة بلا مغفرة،فقال‏:‏ ‏{‏‏وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}‏‏ ‏[‏الزمر‏:‏ 54 - 59‏]‏ فهذا إخبار أنه يوم القيامة يُعذِّب نفوسًا لم يغفر لها، كالتي كذبت بآياته واستكبرت وكانت من الكافرين، ومثل هذه الذنوب غفرها الله لآخرين لأنهم تابوا منها‏.**

**‏‏ فإن قيل‏:‏ فقد قال تعالى‏:‏ ‏{‏‏إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ}‏‏ ‏[‏آل عمران‏:‏ 90‏]‏، وقال تعالى‏:‏ ‏{‏‏إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا}‏‏ ‏[‏النساء‏:‏ 137‏]‏‏؟‏ قيل‏:‏ إن القرآن قد بيَّن توبة الكافر، وإن كان قد ارتد ثم عاد إلى الإسلام في غير موضع، كقوله تعالى‏:‏ ‏{‏‏كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ‏ ‏[‏آل عمران‏:‏ 86 - 89‏]‏، وقوله ‏:‏ ‏{‏‏كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ‏} أي‏:‏ إنه لا يهديهم مع كونهم مرتدين ظالمين؛ ولهذا قال‏:‏ ‏{‏‏وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}‏‏، فمن ارتد عن دين الإسلام لم يكن إلا ضالًا، لا يحصل له الهدى إلى أي دين ارتد‏.**

**‏‏ والمقصود أن هؤلاء لا يهديهم الله ولا يغفر لهم إلا أن يتوبوا‏.‏**

**وكذلك قال في قوله‏:‏ ‏{‏‏مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ‏} ‏[‏النحل‏:‏ 106‏]‏، ومن كفر بالله من بعد إيمانه من غير إكراه فهو مرتد، قال‏:‏ ‏{‏‏ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ‏} ‏[‏النحل‏:‏ 110‏]‏‏.**

**‏‏ وهو سبحانه في آل عمران ذكر المرتدين، ثم ذكر التائبين منهم، ثم ذكر من لا تقبل توبته،ومن مات كافرًا، فقال‏:‏ ‏{‏‏إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}‏‏ ‏[‏آل عمران‏:‏90-91‏]‏‏.‏**

**وهؤلاء الذين لا تقبل توبتهم قد ذكروا فيهم أقوالًا؛ قيل‏:‏ لنفاقهم،وقيل‏:‏ لأنهم تابوا مما دون الشرك ولم يتوبوا منه، وقيل‏:‏ لن تقبل توبتهم بعد الموت، وقال الأكثرون، كالحسن وقتادة وعطاء الخراساني و السدى‏:‏ لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت، فيكون هذا كقوله‏:‏ ‏{‏‏وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ}‏‏ ‏[‏النساء‏:‏ 18‏]‏‏.**

**‏‏ وكذلك قوله‏:‏ ‏{‏‏إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا}‏‏ ‏[‏النساء‏:‏ 137‏]‏، قال مجاهد وغيره من المفسرين‏:‏ ازدادوا كفرًا ثبتوا عليه حتى ماتوا‏.**

**‏‏ قلت‏:‏ وذلك لأن التائب راجع عن الكفر، ومن لم يتب فإنه مستمر يزداد كفرًا بعد كفر، فقوله‏:‏ ‏{‏‏ثُمَّ ازْدَادُواْ‏}‏‏ بمنزلة قول القائل‏:‏ ثم أصروا على الكفر، واستمروا على الكفر، وداموا على الكفر، فهم كفروا بعد إسلامهم ثم زاد كفرهم ما نقص، فهؤلاء لا تقبل توبتهم، وهى التوبة عند حضور الموت؛ لأن من تاب قبل حضور الموت فقد تاب من قريب ورجع عن كفره، فلم يزدد، بل نقص؛ بخلاف المُصِر إلى حين المعاينة، فما بقى له زمان يقع لنقص كفره فضلًا عن هدمه‏.**

**‏‏ وفي الآية الأخرى قال‏:‏ ‏{‏‏لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ‏}، وذكر أنهم آمنوا ثم كفروا، ثم آمنوا ثم كفروا، ثم ازدادوا كفرًا، قيل‏:‏ لأن المرتد إذا تاب غُفِرَ له كفره، فإذا كفر بعد ذلك ومات كافرًا حبط إيمانه، فعوقب بالكفر الأول والثاني، كما في الصحيحين عن ابن مسعود قال‏ "قيل‏:‏ يا رسول الله، أنؤاخذ بما عَمِلْنا في الجاهلية‏؟‏ فقال‏:‏ ‏من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أُخذ بالأول والآخر‏"‏‏، فلو قال‏:‏ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرًا لم يكن الله ليغفر لهم، كان هؤلاء الذين ذكرهم في آل عمران فقال‏:‏ ‏{‏‏إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ}‏‏ ‏[‏آل عمران‏:‏ 90‏]‏، بل ذكر أنهم آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا بعد ذلك، وهو المرتد التائب، فهذا إذا كفر وازداد كفرًا لم يُغْفَرْ له كفره السابق أيضًا، فلو آمنوا، ثم كفروا، ثم آمنوا، ثم كفروا، ثم آمنوا، لم يكونوا قد ازدادوا كفرًا فلا يدخلون في الآية‏.‏**

**والفقهاء إذا تنازعوا في قبول توبة من تكررت ردته، أو قبول توبة الزنديق، فذاك إنما هو في الحكم الظاهر؛ لأنه لا يوثق بتوبته، أما إذا قُدِّر أنه أخلص التوبة لله في الباطن فإنه يدخل في قوله‏:‏ ‏{‏‏يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}‏‏ ‏[‏الزمر‏:‏ 53‏]‏‏.‏**

**ونحن حقيقة قولنا أن التائب لا يعذب لا في الدنيا ولا في الآخرة، لا شرعًا ولا قدرًا، والعقوبات التي تقام من حدٍّ، أو تعزير، إما أن يثبت سببها بالبينة، مثل قيام البينة بأنه زنا أو سرق أو شرب، فهذا إذا أظهر التوبة لم يوثق بها، ولو دُرِئ الحد بإظهار هذا لم يقم حد، فإنه كل من تقام عليه البينة يقول‏:‏ قد تُبت، وإن كان تائبًا في الباطن، كان الحد مكفرًا، وكان مـأجورًا على صبره، وأمـا إذا جـاء هـو بنفسه فـاعترف وجـاء تائبًا، فهـذا لا يجب أن يقام عليه الحد في ظاهر مذهب أحمد، نص عليه في غير موضع، وهى من مسائل التعليق، واحتج عليها القاضي بعدة أحاديث‏.**

**‏‏ وحديث الذي قال "أصبت حدًا فأقمه علىَّ، فأْقيمت الصلاة‏"‏‏ يدخل في هذا؛ لأنه جاء تائبًا، وإن شهد على نفسه كما شهد به ماعز والغامدية واختار إقامة الحد أقيم عليه، و إلاَّ فلا، كما في حديث ماعز "فهلاَّ تركتموه‏؟‏‏"‏‏ ‏. و الغامدية ردها مرة بعد مرة‏.**

**‏‏ فالإمام والناس ليس عليهم إقامة الحد على مثل هذا، ولكن هو إذا طلب ذلك أقيم عليه، كالذي يذنب سرًا، وليس على أحد أن يقيم عليه حدًا، لكن إذا اختار هو أن يعترف ويقام عليه الحد، أقيم، وإن لم يكن تائبًا، وهذا كقتـل الذي ينغمس في العدو هو مما يرفع الله به درجته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "لقد تابت توبة لو تابها صاحب مَكْسٍ لغفر له، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله‏؟‏‏"‏‏‏.**

**‏‏ وقد قيل في ماعز‏:‏ إنه رجع عن الإقرار، وهذا هو أحد القولين فيه في مذهب أحمد وغيره، وهو ضعيف، والأول أجود‏. وهؤلاء يقولون‏:‏ سقط الحد لكونه رجع عن الإقرار‏.‏**

**ويقولون‏:‏ رجوعه عن الإقرار مقبول‏.**

**‏‏ وهو ضعيف، بل فَرْقٌ بين من أقرَّ تائبًا، ومن أقرَّ غير تائب، فإسقاط العقوبة بالتوبة كما دلت عليه النصوص أولى من إسقاطها بالرجوع عن الإقرار، والإقرار شهادة منه على نفسه، ولو قبل الرجوع لما قام حد بإقرار، فإذا لم تقبل التوبة بعد الإقرار مع أنه قد يكون صادقًا، فالرجوع الذي هو فيه كاذب أَوْلَى‏.(1)**

**#لما دنا أجل رسول الله أمره الله بالتسبيح والإستغفار**

**قال تعالى : { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا } (النصر - 3)**

**قال القرطبى : قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره اي اذا صليت فاكثر من ذلك وقيل معنى سبح صل عن ابن عباس بحمد ربك اي حامدا له على ما اتاك من الظفر والفتح واستغفره اي سل الله الغفران وقيل فسبح المراد به التنزيه اي نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له واستغفره اي سل الله الغفران مع مداومه الذكر والاول اظهر روى الائمه واللفظ للبخاري عن عائشه رضي الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاه بعد ان نزلت عليه سوره {اذا جاء نصر الله والفتح }الا يقول : سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ، وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وفي غير الصحيح وقالت ام سلمه كان النبي صلى الله عليه وسلم اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الا قال " سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه ، قال : فاني امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها " وقال ابو هريره اجتهد النبي بعد نزولها حتى تورمت قدماه ونحل جسمه وقل تبسمه وكثر بكاوه وقال عكرمه لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الآخره ما كان منه عند نزولها ، وقال مقاتل :لما نزلت قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ومنهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم " ما يبكيك يا عم " قال نعيت اليك نفسك قال " انه لكما تقول " فعاش بعدها ستين يوما ما رئي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجه الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما ان هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم " صدقتما نعيت الي نفسي " وفي البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب ياذن لاهل بدر وياذن لي معهم قال فوجد بعضهم من ذلك فقالوا ياذن لهذا الفتى معنا ومن ابنائنا من هو مثله فقال لهم**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)المجلد السادس عشر من مجموع الفتاوي لابن تيمية**

**عمر انه من قد علمتم قال فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن هذه السوره اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا امر الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره وان يتوب اليه فقال ما تقول يا ابن عباس قلت ليس كذلك ولكن اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم حضور اجله فقال : اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامه موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر رضي الله عنه: تلومونني عليه ، وفي البخاري فقال عمر ما اعلم منها الا ما تقول ورواه الترمذي قال كان عمر يسالني مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الرحمن بن عوف اتساله ولنا بنون مثله فقال له عمر انه من حيث نعلم فساله عن هذه الآية اذا جاء نصر الله والفتح فقلت انما هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه اياه وقرا السوره الى اخرها فقال له عمر والله ما اعلم منها الا ما تعلم قال هذا حديث حسن صحيح فان قيل فماذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يومر بالاستغفار قيل له كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : (رب اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت انت المقدم وانت الموخر انك على كل شيء قدير) فكان صلى الله عليه وسلم يستقصر نفسه لعظم ما انعم الله به عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبا ويحتمل ان يكون بمعنى كن متعلقا به سائلا راغبا متضرعا على رؤية التقصير في اداء الحقوق لئلا ينقطع الى رؤية الاعمال ، وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفره بل تعبدا وقيل ذلك تنبيه لامته لكيلا يامنوا ويتركوا الاستغفار وقيل واستغفره اي استغفر لامتك انه كان توابا اي على المسبحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم واذا كان عليه السلام وهو معصوم يومر بالاستغفار فما الظن بغيره ، روى مسلم عن عائشه قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقال : ( خبرني ربي اني سأرى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول : سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها {اذا جاء نصر الله والفتح } فتح مكه ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ) وقال ابن عمر نزلت هذه السوره بمنى في حجه الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش بعدهما النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما ثم نزلت ايه الكلاله فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسه وثلاثين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها واحد وعشرين يوما وقال مقاتل سبعه ايام وقيل غير هذا**

**وقال ابن عاشور : تقديم التسبيح والحمد على الاستغفار لان التسبيح راجع الى وصف الله تعالى بالتنزه عن النقص وهو يجمع صفات السلب فالتسبيح متمحض لجانب الله تعالى ولان الحمد ثناء على الله لانعامه وهو اداء العبد ما يجب عليه لشكر المنعم فهو مستلزم اثبات صفات الكمال لله التي هي منشا انعامه على عبده فهو جامع بين جانب الله وحظ العبد واما الاستغفار فهو حظ للعبد وحده لانه طلبه الله ان يعفو عما يواخذه عليه ومقتضى الظاهر ان يقول فسبح بحمده لتقدم اسم الجلاله في قوله اذا جاء نصر الله فعدل عن الضمير الى الاسم الظاهر وهو ربك لما في صفة رب واضافتها الى ضمير المخاطب من الايماء الى ان من حكمه ذلك النصر والفتح ودخول الناس في الاسلام نعمة انعم الله بها عليه اذا حصل هذا الخير الجليل بواسطته فذلك تكريم له وعنايه به وهو شان تلطف الرب بالمربوب لان معناه السياده المرفوقه بالرفق والابلاغ الى الكمال وقد انتهى الكلام عند قوله واستغفره وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في قراءته يقف عند واستغفره ثم يكمل السوره واستغفره انه كان تذييل للكلام السابق كله وتعليل لما يقتضي التعليل فيه من الامر باستغفار ربه باعتبار الصريح من الكلام السابق كما سيتبين لك ، وتواب مثال مبالغه من تاب عليه وفعل تاب المتعدي بحرف على يطلق بمعنى وفق للتوبه اثبته في اللسان والقاموس وهذا الاطلاق خاص بما اسند الى الله وقد اشتملت الجمله على اربع موكدات هي :ان ،وكان ، وصيغه المبالغه في التواب ، وتنوين التعظيم فيه ، وحيث كان توكيد ب ان هنا غير مقصود به رد انكار ولا ازالة تردد اذ لا يفرضان في جانب المخاطب صلى الله عليه وسلم فقد تمحض ان لافادة الاهتمام بالخبر بتاكيده وقد تقرر ان من شان ان اذا جاءت على هذا الوجه ان تغني غناء فاء الترتيب والتسبب وتفيد التعليل وربط الكلام بما قبله كما تفيده الفاء وقد تقدم غير مره منها عند قوله تعالى { انك انت العليم الحكيم } في سوره البقره 32 فالمعنى هو شديد القبول لتوبه عباده كثير قبوله اياها واذ قد كان الكلام تذييلا وتعليلا للكلام السابق تعين ان حذف متعلق توابا يقدر بنحو على التائبين وهذا المقدر مراد به العموم وهو عموم مخصوص بالمشيئه تخصصه ادله وصف الربوبيه ولما ذكر دليل العموم عقب امره بالاستغفار افاد انه اذا استغفره غفر له دلالة تقتضيها مستتبعات التراكيب فافادت هذه الجمله تعليل الامر بالاستغفار لان الاستغفار طلب لغفر فالطالب يترقب اجابه طلبه واما ما في الجمله من الامر بالتسبيح والحمد فلا يحتاج الى تعليل لانهما انشاء تنزيه وثناء على الله ومن وراء ذلك افادت الجمله اشاره الى وعد بحسن القبول عند الله تعالى حينما يقدم على العالم القدسي وهذا معنى كنائي لان من عرف بكثره قبول توبه التائبين شانه ان يكرم وفاده الوافدين الذين سعوا جهودهم في مرضاته بمنتهى الاستطاعه او هو مجاز بعلاقه اللزوم العرفي لان منتهى ما يخافه الاحبه عند اللقاء مرارة العتاب فالاخبار بانه تواب اقتضى انه لا يخاف عتابا فهذه الجمله بمدلولها الصريح ومدلولها الكنائي او المجازي ومستتبعاتها تعليل لما تضمنته الجمله التي قبلها من معنى صريح او كنائي يناسبه التعليل بالتسبيح والحمد باعتبارهما تمهيدا للامر بالاستغفار كما تقدم انفا لا يحتاجان الى التعليل او يغني تعليل الممهد له بهما عن تعليلهما ولكنهما باعتبار كونهما رمزا الى مداناة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون ما في قوله {انه كان توابا} من الوعد بحسن القبول تعليلا لمدلولهما الكنائي ، واما الامر بالاستغفار فمناسبة التعليل له بقوله {انه كان توابا } ناهضه باعتبار كلتا دلالتيه الصريحه والكنائيه اي انه متقبل استغفارك ومتقبلك باحسن قبول شان من عهد من الصفح والتكرم وفعل كان هنا مستعمل في لازم معنى الاتصاف بالوصف في الزمن الماضي وهو ان هذا الوصف ذاتي له لا يتخلف معموله عن عباده فقد دل استقراء القران على اخبار الله عن نفسه بذلك من مبدا الخليقه قال تعالى {فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم } البقره 37 ومقتضى الظاهر ان يقال انه كان غفارا كما في آية { فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا} نوح 10 فيجرى الوصف على ما يناسب قوله واستغفره فعدل عن ذلك تلطفا مع النبي صلى الله عليه وسلم بان امره بالاستغفار ليس مقتضيا اثبات ذنب له لما علمت انفا من ان وصف تواب جاء من تاب عليه الذي يستعمل بمعنى وفقه للتوبه ايماء الى ان امره بالاستغفار ارشاد الى مقام التادب مع الله تعالى فانه لا يسال عما يفعل بعباده لولا تفضله بما بين لهم من مراده ولان وصف تواب اشد ملاءمه لاقامه الفاصله مع فاصله افواجا لان حرف الجيم وحرف الباء كليهما حرف من الحروف الموصوفه بالشده بخلاف حرف الراء فهو من الحروف التي صفتها بين الشده والرخوه وروي في الصحيح عن عائشه قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاه بعد ان نزلت عليه سوره اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول " سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وقال طنطاوي : فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقوله فسبح جواب اذا والمعنى اذا اتم الله عليك ايها الرسول الكريم وعلى اصحابك النصر وصارت لكم الكلمه العليا على اعدائكم وفتح لكم مكه وشاهدت الناس يدخلون فى دين الاسلام جماعات ثم جماعات كثيره بدون قتال يذكر اذا علمت ورايت كل ذلك فداوم وواظب على تسبيح ربك وتنزيهه عن كل ما لا يليق به شكرا له على نعمه وداوم ايضا على طلب مغفرته لك وللمومنين انه عز وجل كان وما زال توابا اى كثير القبول لتوبه عباده التائبين اليه كما قال سبحانه {وهو الذي يقبل التوبه عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون} وقال ابن عثيمين : {فسبح بحمد ربك واستغفره} عند التأمل تتبين الحكمة فالمعنى أنه إذا جاء نصر الله والفتح فقد قرب أجلك وما بقي عليك إلا التسبيح بحمد ربك والاستغفار {فسبح بحمد ربك} أي سبحه تسبيحاً مقروناً بالحمد. والتسبيح: تنزيه الله تعالى عما لا يليق بجلاله. والحمد: هو الثناء عليه بالكمال مع المحبة والتعظيم. جمع بين التنزيه وبين الحمد {واستغفره} يعني اسأله المغفرة. فأمره الله تعالى بأمرين: الأمر الأول: التسبيح المقرون بالحمد. والثاني: الاستغفار. والاستغفار هو طلب المغفرة. والمغفرة ستر الله تعالى على عبده ذنوبه مع محوها والتجاوز عنها. وهذا غاية ما يريد العبد، لأن العبد كثير الذنب يحتاج إلى مغفرة إن لم يتغمده الله برحمته هلك، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته». لأن عملك هذا لو أردت أن تجعله في مقابلة نعمة من النعم، نعمة واحدة لأحاطت به النعم، فكيف يكون عوضاً تدخل به الجنة؟ ولهذا قال بعض العارفين في نظم له:**

**إذا كان بشكري نعمة الله نعمة\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*علي له في مثلها يجب الشكر**

**فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*وإن طالت الأيام واتصل العمر**

**{إنه كان تواباً} أي: لم يزل عز وجل تواباً على عباده، فإذا استغفرته تاب عليك (1)**

**000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع الألوكة**

**# الأمر بالتوبة**

**قال تعالى : { وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ } (هود - 61)**

**قال طنطاوي : الفاء فى قوله فاستغفروه ثم توبوا اليه للتفريع على ما تقدم اى اذا كان الله تعالى هو الذى انشاكم من الارض واستعمركم فيها فعليكم ان تخلصوا له العباده وان تطلبوا مغفرته عما سلف منكم من ذنوب ثم تتوبوا اليه توبه صادقه تجعلكم تندمون على ما كان منكم فى الماضى من شرك وكفر وتعزمون على التمسك بكل ما يرضى الله تعالى فى المستقبل ثم فتح امامهم باب الامل فى رحمه الله تعالى فقال ان ربي قريب مجيب اى ان ربى قريب الرحمه من المحسنين مجيب الدعاء الداعين المخلصين فاقبلوا على عبادته وطاعته ولا تقنطوا من رحمه الله**

**وقال ابن عاشور : فرع على التذكير بهذه النعم امرهم باستغفاره والتوبه اليه اي طلب مغفره اجرامهم والاقلاع عما لا يرضاه من الشرك والفساد ومن تفنن الاسلوب ان جعلت هذه النعم عله لامرهم بعباده الله وحده بطريق جملة التعليل وجعلت علة ايضا للامر بالاستغفار والتوبه بطريق التفريع وعطف الامر بالتوبه بحرف التراخي للوجه المتقدم في قوله {ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه }هود 51 في الآية المتقدمه وجملة { ان ربي قريب مجيب } استئناف بياني كانهم استعظموا ان يكون جرمهم مما يقبل الاستغفار عنه فاجيبوا بان الله قريب مجيب وبذلك ظهر ان الجملة ليست بتعليل وحرف ان فيها للتاكيد تنزيلا لهم في تعظيم جرمهم منزلة من يشك في قبول استغفاره والقرب هنا مستعار للرافة والاكرام لان البعد يستعار للجفاء والاعراض ، فكذلك يستعار ضده لضده والمجيب هنا مجيب الدعاء وهو الاستغفار واجابة الدعاء اعطاء السائل مسؤوله**

**#وقال تعالى : { وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ } (هود - 90)**

**قال الطبرى : يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل شعيب لقومه استغفروا ربكم ايها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي انتم عليها مقيمون من عبادة الالهه والاصنام وبخس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين ثم توبوا اليه يقول ثم ارجعوا الى طاعته والانتهاء الى امره ونهيه ان ربي رحيم يقول هو رحيم بمن تاب واناب اليه ان يعذبه بعد التوبة ودود يقول ذو محبه لمن اناب وتاب اليه يوده ويحبه \* \* \***

**وقال ابن عاشور : جملة واستغفروا ربكم عطف على جملة لا يجرمنكم شقاقي وجملة ان ربي رحيم ودود تعليل الامر باستغفاره والتوبه اليه وهو تعليل لما يقتضيه الامر من رجاء العفو عنهم اذا استغفروا وتابوا وتفنن في اضافه الرب الى ضمير نفسه مره والى ضمير قومه اخرى لتذكيرهم بانه ربهم كيلا يستمروا على الاعراض وللتشرف بانتسابه الى مخلوقيته والمعنى ان الله شديد المحبه لمن يتقرب اليه بالتوبة**

**وقال طنطاوي : المراد بالبعد في قوله واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود اى واستغفروا ربكم من كل ما فرط منكم من ذنب ثم توبوا اليه توبه صادقه نصوحا ان ربي ومالك امرى رحيم اى واسع الرحمه لمن تاب اليه ودود اى كثير الود والمحبه لمن اطاعه وهكذا نجد شعيبا عليه السلام وهو خطيب الانبياء يلون لقومه النصح وينوع لهم المواعظ ويطوف بهم فى مجالات الترغيب والترهيب**

**#الاستجابة للأمر بالتوبة**

**قال تعالى : {وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ}الأحقاف - 1**

**ابن عاشور : وجمله اني تبت اليك كالتعليل للمطلوب بالدعاء تعليل توسل بصله الايمان والاقرار بالنعمه والعبوديه وحرف ان للاهتمام بالخبر كما هو ظاهر وبذلك يستعمل حرف ان في مقام التعليل ويغني غناء الفاء والمراد بالتوبه الايمان لانه توبه من الشرك وبكونه من المسلمين انه تبع شرائع الاسلام وهي الاعمال وقال من المسلمين دون ان يقول واسلمت كما قال تبت اليك لما يوذن به اسم الفاعل من التلبس بمعنى الفعل في الحال وهو التجدد لان الاعمال متجدده متكرره واما الايمان فانما يحصل دفعه فيستقر لانه اعتقاد وفيه الرعي على الفاصله هذا وجه تفسير الايه بما تعطيه تراكيبها ونظمها دون تكلف ولا تحمل وهي عامه لكل مسلم اهل لوصايه الله تعالى بوالديه والدعاء لهما ان كانا مومنين**

**وقال ابن كثير: هذا فيه إرشاد لمن بلغ أربعين سنة أن يجدد التوبة والإنابة إلى اللَّه عز وجل ويعزم عليها**

**ومن الفوائد : - أهمية التوسل بالعمل الصالح، وكلّما كثّره العبد كان أرجى في الإجابة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِين﴾. - إن التوبة من الذنوب من أعظم أسباب قبول الدعاء : ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ .**

**- ((إن إشهاد الإنسان على نفسه بالإيمان، أو بالإسلام، وما أشبه ذلك، لا يُعدّ من الرياء، ولا سيما في الاتباع))، بل يدلّ على الإقرار لله تعالى، والخضوع والتذلل له، وهذا من أعظم أنواع التوسل بالعمل الصالح؛ لأن الإسلام هو الاستسلام في ظاهر العبد، وباطنه لله رب العالمين .**

**- ينبغي للعبد أن يجدد توبته، وإنابته إلى اللَّه خاصة إذا كمل أربعين عاماً(1)**

**00000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت - موقع الكلم الطيب**

**#وقال تعالى :{ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (الأعراف - 143)**

**قال الطبرى : يقول تعالى ذكره فلما ثاب الى موسى عليه السلام فهمه من غشيته وذلك هو الافاقه من الصعقه التي خر لها موسى صلى الله عليه وسلم " قال سبحانك " تنـزيها لك يا رب وتبرئه ان يراك احد في الدنيا ثم يعيش " تبت اليك " من مسالتي اياك ما سالتك من الرؤية " وانا اول المومنين " بك من قومي ان لا يراك في الدنيا احد الا هلك \***

**وقال البغوى : فلما افاق موسى من صعقته وثاب اليه عقله عرف انه قد سال امرا لا ينبغي له قال سبحانك تبت اليك عن سوال الرؤيه وانا اول المومنين بانك لا ترى في الدنيا**

**وقال ابن كثير : قوله فلما افاق والافاقه انما تكون من غشي قال سبحانك تنزيها وتعظيما واجلالا ان يراه احد في الدنيا الا مات وقوله تبت اليك قال مجاهد ان اسالك الرؤيه وانا اول المومنين قال ابن عباس ومجاهد من بني اسرائيل واختاره ابن جرير وفي روايه اخرى عن ابن عباس وانا اول المومنين انه لا يراك احد وكذا قال ابو العاليه قد كان قبله مومنون ولكن يقول انا اول من امن بك انه لا يراك احد من خلقك الى يوم القيامه وهذا قول حسن له اتجاه**

**وقال طنطاوي : وقوله وخر موسى صعقا اى سقط من هول ما راى من النور الذي حصل به التجلي مغشيا عليه كمن اخذته الصاعقه يقال صعقتهم السماء تصعقهم صعقا فهو صعق اى غشى عليه وقوله فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين اى فلما افاق موسى من غشيته وعاد الى حالته الاولى التي كان عليها قبل ان يخر مغشيا عليه قال تعظيما لامر الله سبحانك اى تنزيها لك من مشابهه خلقك في شيء تبت اليك من الاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك او انا اول المومنين بانه لا يراك احد قال ابو العاليه قد كان قبله مومنون ولكن يقول انا اول المومنين انه لا يراك احد من خلقك الى يوم القيامه**

**# الله يغفر للذين إرتدوا بعد ايمانهم إذا تابوا**

**قال تعالى : {كَيْفَ يَهْدِي الله قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَالله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولئِكَ جَزاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ الله وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خالِدِينَ فِيها لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ (89) آل عمران**

**قال الطبرى : ثم استثنى جل ثناوه الذين تابوا من هولاء الذين كفروا بعد ايمانهم فقال تعالى ذكره " الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا " يعني الا الذين تابوا من بعد ارتدادهم عن ايمانهم فراجعوا الايمان بالله وبرسوله وصدقوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند ربهم " واصلحوا " يعني وعملوا الصالحات من الاعمال " فان الله غفور رحيم " يعني فان الله لمن فعل ذلك بعد كفره " غفور " يعني ساتر عليه ذنبه الذي كان منه من الرده فتارك عقوبته عليه وفضيحته به يوم القيامه غير مواخذه به اذا مات على التوبه منه " رحيم " متعطف عليه بالرحمه**

**وقال طنطاوي : الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ولكن القران مع هذا يفتح باب التوبه لمن اراد ان يتوب وينهى الناس عن ان يقنطوا من رحمه الله متى تابوا وانابوا واصلحوا فيقول بعد تلك الحمله المرعبه التي شنها على الكفر والكافرين الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اى ان اللعنه مستمره على هولاء الذين كفروا بعد ايمانهم وهم خالدون في العذاب يوم القيامه بدون امهال او تاخير الا الذين تابوا منهم عن الكفر الذي ارتكبوه وعن الظلم الذي اقترفوه واصلحوا ما افسدوه بان قالوا ربنا الله ثم استقاموا على طريق الحق وحافظوا على اداء الاعمال الصالحه فان الله تعالى غفور رحيم اى فانه سبحانه يغفر لهم ما سلف منهم من كفر وظلم ففي هذه الايه الكريمه اغراء للكافرين بان يقلعوا عن كفرهم وللمذنبين بان يثوبوا الى رشدهم وبان يتوبوا الى ربهم فانه سبحانه يغفر الذنوب جميعا لمن يتوب ويحسن التوبه فهو القائل {قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمه الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم واسلموا له } اما الذين لا يتوبون ولا يستغفرون ولا يثوبون الى رشدهم بل يصرون على الكفر فيزدادون كفرا والذين يرتكسون في كفرهم وضلالهم حتى تفلت منهم الفرصه وينتهى امد الاختبار وياتى دور الجزاء فهولاء لا توبه لهم ولا نجاة .**

**وقال ابن عاشور : ومعنى فان الله غفور رحيم الكنايه عن المغفره لهم قيل نزلت في الحارث بن سويد الانصاري من بني عمرو بن عوف الذي ارتد ولحق بقريش وقيل بنصارى الشام ثم كتب الى قومه ليسالهم هل من توبه فسالوا رسول الله فنزلت هذه الايه فاسلم ورجع الى المدينه وقوله فان الله غفور رحيم عله لكلام محذوف تقديره الله يغفر لهم لانه غفور رحيم**

**ثم قال ابن عاشور : والاستثناء في قوله : { إلا الذين تابوا } حقه أن يعود إلى جميع ما تقدم قبله كما هو شأن الاستثناء عند الجمهور إلا أنه هنا راجع إلى خصوص عدم قبول شهادتهم وإثبات فسقـهم وغير راجع إلى إقامة الحد ، بقرينة قوله : { من بعد ذلك } ، أي بعد أن تحققت الأحكام الثلاثة فالحد قد فات على أنه قد علم من استقراء الشريعة أن الحدود الشرعية لا تسقطها توبة مقترف موجبها وقال أبو حنيفة وجماعة : الاستثناء يرجع إلى الجملة الأخيرة جرياً على أصله في عود الاستثناء الوارد بعد جمل متعاطفة .**

**ومعنى أصلحوا } فعلوا الصلاح ، أي صاروا صالحين . فمفعول الفعل محذوف دل عليه السياق ، أي أصلحوا أنفسهم باجتناب ما نهوا عنه.**

**#وقال تعالى : { وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} (82) } طه**

**قال الطبرى : وقوله واني لغفار لمن تاب يقول واني لذو غفر لمن تاب من شركه فرجع منه الى الايمان وامن يقول واخلص لي الالوهه ولم يشرك في عبادته اياي غيري وعمل صالحا يقول وادى فرائضي التي افترضتها عليه واجتنب معاصي ثم اهتدى يقول ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيئا منه**

**وقال ابن كثير : وقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا اي كل من تاب الي تبت عليه من اي ذنب كان حتى انه تعالى تاب على من عبد العجل من بني اسرائيل وقوله تاب اي رجع عما كان فيه من كفر او شرك او نفاق او معصيه وقوله وامن اي بقلبه وعمل صالحا اي بجوارحه وقوله ثم اهتدى قال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس اي ثم لم يشكك وقال سعيد بن جبير ثم اهتدى اي استقام على السنه والجماعه**

**وقال القرطبي : أي أقام على إيمانه حتى مات عليه ؛ قاله سفيان الثوري وقتادة وغيرهما . وقال ابن عباس : أي لم يشك في إيمانه ؛ ذكره الماوردي والمهدوي . وقال سهل بن عبد الله التستري وابن عباس أيضا : أقام على السنة والجماعة ؛ ذكره الثعلبي . وقال أنس : أخذ بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر المهدوي ، وحكاه الماوردي عن الربيع بن أنس . وقول خامس : أصاب العمل ؛ قاله ابن زيد ؛ وعنه أيضا : تعلم العلم ليهتدي كيف يفعل ؛ ذكر الأول المهدوي ، والثاني الثعلبي . وقال الشعبي ومقاتل والكلبي : علم أن لذلك ثوابا وعليه عقابا ؛ وقاله الفراء : وقول ثامن : ثم اهتدى في ولاية أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ قاله ثابت البناني . والقول الأول أحسن هذه الأقوال - إن شاء الله - وإليه يرجع سائرها . قال وكيع عن سفيان : كنا نسمع في قوله - عز وجل - : وإني لغفار لمن تاب أي من الشرك وآمن أي بعد الشرك وعمل صالحا صلى وصام ثم اهتدى مات على ذلك**

**وقال طنطاوي : ثم فتح سبحانه باب الامل لعباده فقال واني لغفار اى لكثير المغفره لمن تاب من الشرك والمعاصى وآمن بكل ما يجب الايمان به وعمل صالحا اى وعمل عملا مستقيما يرضى الله تعالى ثم اهتدى اى ثم واظب على ذلك وداوم على استقامته وصلاحه الى ان لقى الله تعالى وثم فى قوله ثم اهتدى للتراخى النسبى اذ ان هناك فرقا كبيرا بين من يتوب الى الله تعالى ويقدم العمل الصالح ويستمر على ذلك الى ان يلقى الله تعالى وبين من لا يداوم على ذلك**

**وقال البغوى : واني لغفار لمن تاب قال ابن عباس تاب من الشرك وامن ووحد الله وصدقه وعمل صالحا ادى الفرائض ثم اهتدى قال عطاء عن ابن عباس علم ان ذلك توفيق من الله وقال قتاده وسفيان الثوري يعني لزم الاسلام حتى مات عليه قال الشعبي ومقاتل والكلبي علم ان لذلك ثوابا وقال زيد بن اسلم تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل قال الضحاك استقام وقال سعيد بن جبير اقام على السنه والجماعه**

**وقال ابن عاشور : وجمله واني لغفار الى اخرها استطراد بعد التحذير من الطغيان في النعمه بالارشاد الى ما يتدارك به الطغيان ان وقع بالتوبه والعمل الصالح ومعنى تاب ندم على كفره وآمن وعمل صالحا وقوله ثم اهتدى ثم فيه للتراخي في الرتبه استعيرت للدلاله على التباين بين الشيئين في المنزله كما كانت للتباين بين الوقتين في الحدوث ومعنى اهتدى استمر على الهدى وثبت عليه**

**# الملائكة تدعوا للمؤمنين التائبين بالمغفرة**

**قال تعالى : { الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7)غافر**

**قال ابن عاشور : صِيغةُ المضارع في { يسبحون } و { يؤمنون } و { يستغفرون } مفيدة لتجدد ذلك وتكرره ، وذلك مشعر بأن المراد أنهم يفعلون ذلك في الدنيا كما هو الملائم لقوله : { فاغفر للذين تابوا } وقوله : { وأدخِلهم جَنَّات عَدننٍ التي وعَدتَّهُم } [ غافر : 8 ] وقوله : { ومَن تَقِ السَّيِئات } [ غافر : 9 ] الخ وقد قال في الآية الأخرى { ويستغفرون لمن في الأرض } [ الشورى : 5 ] أي من المؤمنين كما تقدم .**

**ومعنى تجدد الإِيمان المستفاد من { ويؤمنون } تجدد ملاحظته في نفوس الملائكة وإلا فإن الإِيمان عقد ثابت في النفوس وإنما تجدده بتجدد دلائله وآثاره . وفائدة الإخبار عنهم بأنهم يؤمنون مع كونه معلوماً في جانب الملائكة التنويهُ بشأن الإِيمان بأنه حال الملائكة ، والتعريضُ بالمشركين أن لم يكونوا مثل أشرف أجناس المخلوقات مثل قوله تعالى في حق إبراهيم { وما كان من المشركين } [ الأنعام : 161 ] . وجملة { رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شيء رَحْمَة وعِلمَاً } مبيّنة ل { يستغفرون } ، وفيها قول محذوف دلت عليه طريقة التكلم في قولهم : { ربنا } . والباء في { بِحَمْد رَبهِم } للملابسة ، أي يسبحون الله تسبيحاً مصاحباً للحمد ، فحذف مفعول { يسبحون } لدلالة المتعلِّق به عليه . والمراد ب { الذين آمنوا } المؤمنون المعهودون وهم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم المقصود في هذا المقام وإن كان صالحاً لكل المؤمنين . وافتتح دعاء الملائكة للمؤمنين بالنداء لأنه أدخل في التضرع وأرجى للإِجابة ، وتوجهوا إلى الله بالثناء بسعة رحمته وعلمه لأن سعة الرحمة مما يُطمِع باستجابة الغفران ، وسعة العلم تتعلق بثبوت إيمان الذين آمنوا .**

**ومعنى السعة في الصفتين كثرة تعلقاتهما ، وذكر سعة العلم كناية عن يقينهم بصدق إيمان المؤمنين فهو بمنزلة قول القائل ، أنت تعلم أنهم آمنوا بك ووحّدوك .**

**وجيء في وصفه تعالى بالرحمة الواسعة والعلم الواسع بأسلوب التمييز المحوَّل عن النسبة لما في تركيبه من المبالغة بإسناد السعة إلى الذات ظاهراً حتى كأنَّ ذاته هي التي وَسِعَتْ ، فذلك إجمال يستشرف به السامع إلى ما يرِد بعدَه فيجيء بعده التمييز المبيِّن لنسبة السعة أنها من جانب الرحمة وجانب العلم ، وهي فائدة تمييز النسبة في كلام العرب ، لأن للتفصيل بعد الإِجمال تمكيناً للصفة في النفس كما في قوله تعالى : { واشتعل الرأس شيباً } [ مريم : 4 ] . والمراد أن الرحمة والعلم وَسِعَا كل موجود ، الآن ، أي في الدنيا وذلك هو سياق الدعاء كما تقدم آنفاً ، فما من موجود في الدنيا إلا وقد نالته قسمة من رحمة الله سواء في ذلك المؤمن والكافر والإِنسان والحيوان . و { كُلَّ شيءٍ } كل موجود ، وهو عام مخصوص بالعقل بالنسبة للرحمة ، أي كل شيء محتاج إلى الرحمة ، وتلك هي الموجودات التي لها إدراك تدرك به الملائم والمنافر والنافع والضار ، من الإِنسان والحيوان ، إذ لا فائدة في تعلق الرحمة بالحَجر والشجر ونحوهما .**

**وأما بالنسبة إلى العلم فالعموم على بابه قال تعالى : { ألا يعلم من خلق } [ الملك : 14 ] .**

**ولما كان سياق هذا الدعاء أنه واقع في الدنيا كما تقدم اندفع ما عسى أن يقال إن رحمة الله لا تسع المشركين يوم القيامة إذ هم في عذاب خالد فلا حاجة إلى تخصيص عموم كل شيء بالنسبة إلى سعة الرحمة بمخصصات الأدلة المنفصلة القاضية بعدم سعة رحمة الله للمشركين بعد الحساب .**

**وتَفَرع على هذه التوطئة بمناجاة الله تعالى ما هو المتوسَّل إليه منها وهو طلب المغفرة للذين تابوا لأنه إذا كان قد عَلم صدق توبة من تاب منهم وكانت رحمته وسعت كلَّ شيء فقد استحقوا أن تشملهم رحمته لأنهم أحرياء بها .**

**ومفعولُ { فاغفر } محذوف للعلم ، أي اغفر لهم ما تابوا منه ، أي ذنوب الذين تابوا . والمراد بالتوبة : الإِقلاع عن المعاصي وأعظمها الإشراك بالله .**

**واتباع سبيل الله هو العمل بما أمرهم واجتنابُ ما نهاهم عنه ، فالإِرشاد يشبه الطريق الذي رسمه الله لهم ودلهم عليه فإذا عملوا به فكأنهم اتبعوا السبيل فمشَوا فيه فوصلوا إلى المقصود .**

**{ وَقِهم عذاب الجحيم } عطف على { فاغفر } فهو من جملة التفريع فإن الغفران يقتضي هذه الوقاية لأن غفران الذنب هو عدم المؤاخذة به . وعذاب الجحيم جعله الله لِجزاء المذنبين ، إلا أنهم عضدوا دلالة الالتزام بدلالة المطابقة إظهاراً للحرص على المطلوب . والجحيم : شدة الالتهاب ، وسميت به جهنم دارُ الجزاء على الذنوب .**

**# وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ**

**قال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ }(26) (الشورى)**

**قال ابن كثير : يقول تعالى ممتناً على عباده بقبول توبتهم إذا تابوا ورجعوا إليه، أنه من كرمه وحلمه يعفو ويصفح، ويستر ويغفر، كقوله عزَّ وجلَّ: {ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللّه يجد اللّه غفوراً رحيماً}، وقد ثبت في صحيح مسلم، عن أنَس بن مالك قال، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (لَلّهُ تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح)، وقوله عزَّ وجلَّ: {ويعفو عن السيئات} أي يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي، {ويعلم ما تفعلون} أي هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم، ومع هذا يتوب على من تاب إليه، وقوله تعالى: {ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات} قال السدي: يعني يستجيب لهم، أي الدعاء لأنفسهم ولأصحابهم وإخوانهم، {ويزيدهم من فضله} أي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك،(1)**

**وقال القرطبي : قوله تعالى {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده} قال ابن عباس : لما نزل قوله تعالى:{قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى} قال قوم في نفوسهم : ما يريد إلا أن يحثنا على أقاربه من بعده؛ فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم قد اتهموه فأنزل: { أم يقولون افترى على الله كذبا} الآية؛ فقال القوم : يا رسول الله، فإنا نشهد أنك صادق ونتوب. فنزلت: {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده}. قال ابن عباس : أي عن أوليائه وأهل طاعته. والآية عامة.**

**{ ويعفو عن السيئات} أي عن الشرك قبل الإسلام. {ويعلم ما تفعلون} أي من الخير والشر. وقرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف بالتاء على الخطاب، وهى قراءة ابن مسعود وأصحابه. الباقون بالياء على الخبر،**

**واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنه بين خبرين : الأول {وهو الذي يقبل التوبة عن عبادة} والثاني {ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات}.(2)**

**00000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع موضوعات القرآن الكريم ، (2)الأنترنت – موقع موضوعات القرآن الكريم**

**# ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**

**قال تعالى { وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } التوبة**

**قال السعدي في التفسير : { ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ } أي: أذن في توبتهم ووفقهم لها { لِيَتُوبُوا } أي: لتقع منهم، فيتوب اللّه عليهم، { إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ } أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، { الرَّحِيمُ } وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية. وفي هذه الآيات دليل على أن توبة اللّه على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن اللّه جعلها نهاية خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها.**

**ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة.**

**ومنها: أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر.**

**ومنها: أن توبة اللّه على عبده بحسب ندمه وأسفه الشديد، وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرج إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة.**

**ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقا تاما، وانقطع عن المخلوقين.**

**ومنها: أن من لطف اللّه بالثلاثة، أن وسمهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: { خُلِّفُوا } إشارة إلى أن المؤمنين خلفوهم، أو خلفوا عن من بُتّ في قبول عذرهم، أو في رده وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: "تخلفوا".**

**وقال ابن عاشور : وقوله : {ثم تاب عليهم } عطف على ضاقت عليهم الأرض وما بعده ، أي حتى وقع ذلك كله ثم تاب عليهم بعده . و { ثُم } هنا للمهلة والتراخي الزمَني وليست للتراخي الرتبي ، لأن ما بعدها ليس أرفع درجة مما قبلها بقرينة السياق ، وهو مغن عن جواب ( إذا ) لأنه يفيد معناه ، فهو باعتبار العطف تنهية للغاية ، وباعتبار المعطوف دال على الجواب**

**. واللام في { ليتوبوا } للتعليل ، أي تاب عليهم لأجل أن يكفوا عن المخالفة ويتنزهوا عن الذنب ، أي ليدوموا على التوبة ، فالفعل مستعمل في معنى الدوام على التلبس بالمصدر لا على إحداث المصدر .**

**وليس المراد ليذنبوا فيتوبوا ، إذ لا يناسب مقام التنويه بتوبته عليهم . وجملة { إن الله هو التواب الرحيم } تذييل مفيد للامتنان . فمن أعظم آثار هذا الاسم الشريف أن يصبح الإنسان ويمسي معترفا بذنبه مشفقا منه خائفا من ربه تائبا إليه فلا يتناسى ذنبه مهما طال عهده به فالتناسي شأن من لم يعبأ بالذنب ولم يكترث منه ( وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) بل يجدد توبته كلما ذكر الذنب ولا يتهاون به وإن صغر فلعل في تعظيم حق الله وإجلاله ما يكفر به خطاياه. ملحا على مولاه بالتوبة راجيا قبوله لها فلا يكون آخر عهده بالتوبة بُعيد معصيته فلعل قبول التوبة لم يحن بعد , ولربما أخرت توبته ليعلم الله صدقه فيها ؛ فهؤلاء الثلاثة الذين لهم من الحسنات والصحبة والجهاد والنصرة وتمام الطواعية لله ورسوله. حين تخلفوا عن غزوة واحدة فقط , ثم اعترفوا بذنبهم وأنابوا إلى ربهم , وبلغ بهم من عظيم الندم ؛أن ضاق عليهم كل شيء حتى أنفسهم لم يبق فيها متسع لهم , في حال رهيبة من الحزن , مع صدق الالتجاء إلى الله أن يتجاوز عنهم ؛أتراهم تيب عليهم في يومهم أو في أسبوعهم أو في شهرهم ؟!إنها خمسين ليلة من التضرع والبكاء وأحدهم لم يزل باكيا منذ يومه ذاك ليس به حراك إلى شيء , وهم في وجلأن ترد توبتهم ؛ ليعلم العبد بعد ذلك كله أن توبة الله لا تكون إلا للصادقين وحدهم (وَعَلَى الثَّلاثَةِ الذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) َيا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)) [التوبة]**

**قال الحسن رضي الله عنه :" يا سبحان الله ! والله ما أكلوا مالا حراما ولا أصابوا دما حراما ولا أفسدوا في الأرض غير أنهم أبطأوا عن شيء من الخير والجهاد في سبيل الله وقد - والله - جاهدوا وجاهدوا وجاهدوا فبلغ منهم ما سمعتم فهكذا يبلغ الذنب من المؤمن" فليست التوبة كلمات تقال ولا مشاعر عابرة بل هي حال تخالط القلب فتجعله في كل أحواله منيبا أوابا أواها عندئذ ينال ما وعده الله للمنيبين (وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (32) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (33) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (35)) [سورة ق] (1)**

**وعندما نبحث في سبب نزول هذه الآية، نجدُ أنه لما ذكر الله تعالى أحوالَ المنافقين المتخلِّفين عن الجهاد والمثبِّطين عنه، ذكر صفات المؤمنين المجاهدين الذين باعوا أنفسَهم لله، ثم ذكر قصة الثلاثة الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك، وتوبة الله عليهم، وختَم السورة بتذكير المؤمنين بنِعَمِه العظيمة؛ ببعْثِة السراج المنير النبيِّ العربيِّ محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله الله رحمةً للعالمين.**

**ونستفيد من هذه الآية وتفسيرها ما يلي :**

**00000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع صيد الفوائد – دخالد السليم**

**نستفيدُ أنه يجب على الإنسان المسلمِ ألَّا يُغرِّد خارج السرب؛ لأن الذئب يأكلُ الغَنَم القاصية، وكذلك يجبُ على الفرد أن يَلْتزِمَ بقرار الجماعةِ، ولا يَخرُجَ عليها بتصرُّفٍ أو سلوكٍ خاطئ، غير محمودٍ عُقباه، وبدون رويَّة وتمعُّنٍ، ويجب أن يعرف ذلك المُخطِئُ المتصرِّف بالسلوك غير المسؤول أن عاقبةَ التصرف ليست بالهَيِّنةِ، وعليه أيضًا أن يُقرَّ بخطئه، وأن يستمِعَ من إخوانه ولا يُكابِر، ويجب عليه أن يعترفَ أن الطاعة شيءٌ عظيم، ومنتقده خاسر.**

**وفي السياق نفسه يجب على المسؤول - رغم كلِّ المنغِّصات والعقبات - أن يتصرَّف بالحكمة، وأن يَصبِرَ على الأذى، ويصفح عن الذنب.**

**لقد كان الدرس والعقوبة التي تعرَّض لها الصحابة الثلاثة: (كعب، وهلال، ومُرَارَةُ) - صعبة على النفس البشرية، خاصةً أن رسول الله قد سكت عن المنافقين الذين تخلَّفوا عن الغزوة، ولكن لم يَسكُتْ عن هؤلاء الثلاثة، ولعلَّ رسولَ الله أراد أن يُهذِّب نفوسهم، ويُقوِّم طريقهم؛ لأن رسول الله يدرك أن الإيمان في قلوب هؤلاء الصحابة، فكان لا بدَّ من حسابهم؛ لأنهم رجال الغد الذين سيَحمِلون الإسلام للبشرية.**

**وعندما استجابوا وصبروا، جاءت التوبة من عند الله، الذي لم يكن هنالك ملجأٌ لهم إلا إليه سبحانه.**

**﴿ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ [التوبة: 118] (1)**

**# وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّه** **وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**

**قال الله تعالى: {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا \* فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }**

**سئل الشيخ ابن باز : أن بعض المسلمين يأخذون بهذه الآية أنه لا حرج على المسلم أن يذهب ويشد الرحال إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم يسأله أن يستغفر له رسول الله وهو في قبره، فهل هذا العمل صحيح كما قال تعالى؟ وهل معنى جاءوك باللغة أنه: جاءوك في حياتك أم في موتك؟ وهل يرتد المسلم عن الإسلام إذا لم يحكم سنة رسول الله؟ وهل التشاجر على الدنيا أم على الدين؟**

**000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع الألوكة – ثامر عبدالغني**

**فأجاب : هذه الآية الكريمة فيها حث الأمة على المجيء إليه إذا ظلموا أنفسهم بشيء من المعاصي، أو وقعوا فيما هو أكبر من ذلك من الشرك أن يجيئوا إليه تائبين نادمين حتى يستغفر لهم عليه الصلاة والسلام، والمراد بهذا المجيء: المجيء إليه في حياته صلى الله عليه وسلم، وهو يدعو المنافقين وغيرهم إلى أن يأتوا إليه ليعلنوا توبتهم ورجوعهم إلى الله، ويطلبوا منه عليه الصلاة والسلام أن يسأل الله أن يقبل توبتهم وأن يصلح أحوالهم ولهذا قال: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } سورة النساء الآية 64. فطاعة الرسول إنما تكون بإذن الله. يعني الإذن الكوني القدري، فمن أذن الله له وأراد هدايته اهتدى، ومن لم يأذن الله في هدايته لم يهتد، فالأمر بيده سبحانه، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } سورة التكوير الآية 29.. أما الإذن الشرعي فقد أذن سبحانه لجميع الثقلين أن يهتدوا وأراد منهم ذلك شرعا وأمرهم به، كما قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } سورة البقرة الآية 21.، وقال سبحانه: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } سورة النساء الآية 26.، ثم قال: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ } سورة النساء الآية 64. أي تائبين نادمين لا مجرد قول، واستغفر لهم الرسول أي: دعا لهم بالمغفرة، لوجدوا الله توابا رحيما فهو حث لهم أي للعباد على أن يأتوا للرسول صلى الله عليه وسلم ليعلنوا عنده توبتهم وليسأل الله لهم؟ وليس المراد بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كما يظنه بعض الجهال، فالمجيء إليه بعد موته لهذا الغرض غير مشروع وإنما يؤتى للسلام عليه لمن كان في المدينة أو وصل إليها من خارجها لقصد الصلاة بالمسجد والقراءة فيه ونحو ذلك، فإذا أتى المسجد سلم على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه، لكن لا يشد الرحل من أجل زيارة القبر فقط، بل من أجل المسجد وتكون الزيارة لقبره صلى الله عليه وسلم، وقبر الصديق، وعمر رضي الله عنهما تابعة لزيارة المسجد لقوله صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى متفق على صحته، فالقبور لا تشد إليها الرحال، ولكن متى وصل إلى المسجد النبوي فإنه يشرع له أن يسلم عليه صلى الله عليه وسلم، ويسلم على صاحبيه رضي الله عنهما، لكن لا يشد الرحال من أجل الزيارة فقط للحديث المتقدم.**

**وأما ما يتعلق بالاستغفار: فهذا يكون في حياته لا بعد وفاته، والدليل على هذا أن الصحابة لم يفعلوا ذلك، وهم أعلم الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأفقه الناس في دينه، ولأنه عليه السلام لا يملك ذلك بعد وفاته، عليه السلام، كما قال صلى الله عليه وسلم: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.**

**وأما ما أخبر به عليه الصلاة والسلام أن من صلى عليه تعرض صلاته عليه فذلك شيء خاص يتعلق بالصلاة عليه، ومن صلى عليه صلى الله عليه بها عشرا، وقال عليه الصلاة والسلام: أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي قيل: يا رسول الله كيف وقد أرمت؟ أي بليت، قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فهذا حكم خاص بالصلاة عليه. وفي الحديث الآخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام، فهذا شيء خاص للرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه يبلغ ذلك، وأما أن يأتي من ظلم نفسه ليتوب عند القبر ويستغفر عند القبر فهذا لا أصل له، بل هو منكر ولا يجوز وهو وسيلة للشرك، مثل أن يأتي فيسأله الشفاعة أو شفاء المريض أو النصر على الأعداء أو نحو ذلك، أو يسأله أن يدعو له فهذا لا يجوز؛ لأن هذا ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ولا من خصائص غيره، فكل من مات لا يدعى ولا يطلب منه الشفاعة لا النبي ولا غيره، وإنما الشفاعة تطلب منه في حياته، فيقال: يا رسول الله اشفع لي أن يغفر الله لي، اشفع لي أن يشفي الله مريضي، وأن يرد غائبي، وأن يعطيني كذا وكذا، وهكذا يوم القيامة بعد البعث والنشور، فإن المؤمنين يأتون آدم ليشفع لهم إلى الله حتى يقضي بينهم فيعتذر ويحيلهم إلى نوح، فيأتونه فيعتذر ثم يحيلهم نوح إلى إبراهيم، فيعتذر فيحيلهم إبراهيم إلى موسى، فيعتذر ثم يحيلهم موسى إلى عيسى، فيعتذر -عليهم جميعا الصلاة والسلام- ثم يحيلهم عيسى إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فيأتونه فيقول عليه الصلاة والسلام: أنا لها أنا لها، فيتقدم ويسجد تحت العرش ويحمد ربه بمحامد عظيمة يفتحها الله عليه، ثم يقال له: ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فيشفع صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف حتى يقضى بينهم، وهكذا يشفع في أهل الجنة حتى يدخلوا الجنة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم موجود أما في البرزخ بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فلا يسأل الشفاعة ولا يسأل شفاء المريض ولا رد الغائب ولا غير ذلك من الأمور، وهكذا بقية الأموات لا يسألون شيئا من هذه الأمور، بل يدعى لهم ويستغفر لهم إذا كانوا مسلمين، وإنما تطلب هذه الأمور من الله سبحانه، مثل أن يقول المسلم: اللهم شفع في نبيك عليه الصلاة والسلام، اللهم اشف مريضي، اللهم انصرني على عدوي، ونحو ذلك؛ لأنه سبحانه يقول: ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } سورة غافر الآية 60.، ويقول عز وجل: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } سورة البقرة الآية 186 الآية. (1)**

**# الله يغفر لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى**

**قال الله تعالى ( وإني لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى ) (سورة طه آية82).**

**ذكر الله في هذه الآية للمغفرة أربعة أسباب:**

**1- التوبة النصوح في جميع الأوقات من جميع الذنوب والسيئات قال الله تعالى ( وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ) (سورة النور آية 31).**

**فإذا تبتم افلحتم ونجحتم وسعدتم فى الدنيا والآخرة وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ) (سورة التحريم آية 8) وتكفير السيئات ودخول الجنات المشتملة على ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين حاصل لمن تاب إلى الله تعالى توبة نصوحا صادقة بأن يفعل**

**0000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع الشيخ ابن باز**

**التائب الواجبات ويترك المحرمات ويندم على ما فات من ذنوب وسيئات ويعزم أن لا يعود اليها في المستقبل فإنها تكفر سيئاته ويدخل الجنه برحمة الله تعالى بسبب توبته النصوح وقال تعالى (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) (سورة الأعراف آيه 153 )وقال تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ) (سورة الشورى آية 25 ) والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.**

**2- ومن أعظم أسباب المغفرة الإيمان الصادق بالله تعالى وأمره ونهيه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه ،والإيمان بملائكة الله الكرام البرره وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، والإيمان بكتب الله المنزلة على رسله لهدايتهم واخراجهم من الظلمات إلى النور وفي مقدمتها القرآن الكريم أفضل الكتب السماوية (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (سورة فصلت آية 42) وقال تعالى ( ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين )(سورة النحل آية 89) وقال تعالى (وقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) (سورة المائدة آية 15-16) وقال تعالى (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين)(سورة يونس آية 57 ). والإيمان برسل الله عليهم الصلاة والسلام جملة وتفصيلا وفى مقدمتهم خاتمهم محمد\_ صلى الله عليه وسلم – الذى أرسله الله رحمة للعالمين وجعل أمته خير الأمم وكتابه القرآن خير الكتب وشريعته أفضل الشرائع واسمحها وأسماها وأكمل الله له ولأمته دينهم ورضيه منهم واتم عليهم به النعمة فلله الحمد والشكر والثناء على ذلك . والإيمان بالبعث بعد الموت والجزاء والحساب والثواب والعقاب والحوض والميزان والصراط والجنه والنار وأنهما دار ثواب للمحسنين وعقاب للمسيئين.**

**والإيمان بالقدر خيره وشره وأن ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وأن ماأصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه قال عليه الصلاة والسلام (من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأتى إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه ) رواه مسلم.**

**3-ومن أعظم أسباب المغفرة : العمل الصالح\_ الخالص لله الموافق لسنة رسول الله\_ صلى الله عليه وسلم \_ من صلاة وصدقة وصوم وحج وتلاوة القرآن وذكر لله ودعاء واستغفار وأمر بمعروف ونهي عن منكر وجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران قال الله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم)(سورة لقمان آية 8-9) وقال تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا )(سورة الكهف آية 107- 108) وفي القرآن ما يزيد على خمسين آية يقرن الله فيها الإيمان بالعمل الصالح ويرتب عليهما سعادة الدنيا والآخرة والسلامة من شقاوة الدنيا والآخرة .**

**4- والإستمرار على الإيمان الصادق والعمل الصالح والتوبة النصوح مدى الحياة حتى الممات قال الله تعالى ( واعبد ربك حتى يأتيك اليقين )(سورة الحجر آية 99) أى حتى تموت قال تعالى (إن الذين قالوا رينا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ) سورة الأحقاف آية 13-14).**

**وطلب رجل من النبي- صلى الله عليه و سلم – وصية جامعة لأبواب الخير فقال ( يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك. قال : قل آمنت بالله ثم استقم ) وفي رواية( قل ربي الله ثم استقم ) رواه مسلم . والاستقامة هي لزوم طاعة الله تعالى وتشمل فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات قال\_ صلى الله عليه وسلم\_ ( استقيموا ولن تحصول و اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) رواه أحمد و غيره ورمز السيوطي لصحته . فأسباب المغفرة كلها منحصرة في هذه الأسباب الأربعة : الإيمان الصادق والعمل الصالح و التوبة النصوح والاستقامة على ذلك فإن التوبة تجب ما قبلها والإيمان و الإسلام يهدم ما قبله و العمل الصالح الذي هو الحسنات يذهب السيئات، وسلوك طرق الهداية من تعلم علم وتعليمه والدعوة إليه و العمل به و الصبر عليه كلها مكفرات للذنوب و موجبات للمغفرة و الرحمة و الرضوان و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم .(1)**

**#طريقة سهلة لعلاج المعاصي والذنوب والأحزان :**

**قال الدكتور : عبد الدايم الكحيل : في هذه المقالة نحاول أن نستفيد معاً من الأفكار التي طرحها القرآن والأحاديث الصحيحة التي أخبر بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وربما كثير من القراء يجهل هذه المعلومات، أو يعرفها ولكن لا يعرف الطريقة العملية لتطبيقها، ولذلك سوف نعدّد أهم "التقنيات" للتغيير الناجح والابتعاد عن المعصية والتمتع بحياة إيجابية أفضل يملؤها رضا الله تعالى :**

**# المحافظة على الصلاة**

**إن أهم عمل وأحب عمل إلى الله تعالى هو الصلاة، وهي مفتاح الخير وتركها يفتح أبواب الشر. ولكن بعض الناس يعتقدون أن المعصية تلغي أو تمحو العمل الصالح، وهذا الاعتقاد غير صحيح، بل العكس هو الصحيح، فالعمل الصالح هو الذي يلغي العمل السيء، لأن الله تعالى قال: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) [هود: 114]. فالحسنة تُذهب السيئة، وليس العكس.**

**00000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع شبكة النصيحة الإسلامية**

**أثبتت الدراسات العلمية أن الصلاة تعالج عشرات الأمراض المستعصية على رأسها آلام الرقبة وأسفل الظهر ويقول العلماء إذا أردتَ أن تقي نفسك من أمراض الدوالي وتصلب الشرايين ومرض الزهايمر فعليك بالمحافظة على الصلوات، ونحن ننصحك أخي المؤمن بالمحافظة على الصلوات لعلاج المعاصي والذنوب.**

**إذاً عندما تُبتلى بكثرة المعاصي فعليك بالصلاة لأنها خير وسيلة تساعدك على التخفيف من هذه المعاصي حتى تتركها نهائياً بإذن الله تعالى. ولا يغرنك وسوسة الشيطان عندما يقول لك: إنك لن تستفيد شيئاً من هذه الصلاة ما دمتَ تعصي الله... فهذه طريقة الشيطان لإبعادك عن الخير ولتغوص في المعصية أكثر.**

**أقنع نفسك فوراً بأن تحافظ على الصلاة مهما كانت الظروف والمعاصي، حتى لو كنتَ تدخن أو تنظر إلى النساء أو تمارس بعض المعاصي فإن الصلاة لا علاقة لها بهذه الأعمال، أي لا تخلط بين الصلاة وبين العمل السيء. فالصلاة أمر أساسي في حياتك لا تتخلى عنه أبداً، لأن الصلاة هي الأمل الوحيد الذي بفضله ستترك المعاصي.**

**الصلاة هي أهم وسيلة لعلاج المعصية، فما دُمتَ تقيم الصلوات وتحافظ عليها فلا خوف عليك، لأن الصلاة سوف تنهاك عن فعل المنكر، وهذا ليس كلامي بل كلام الله تعالى فهو القائل: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) [العنكبوت: 45].**

**# غض من بصرك**

**لقد أعطانا القرآن الكريم قاعدة ذهبية للوقاية من المعاصي قبل وقوعها، وهي غض البصر.**

**فكم من إنسان ابتُلي بالنظر الحرام إلى النساء –وبخاصة في هذا العصر- ثم ارتكب الفاحشة وضيع وقته وماله ودينه وربما مات وهو مدمن على النساء!**

**ولذلك ننصحك أخي المؤمن أن تنوي منذ هذه اللحظة أن تغض بصرك عما حرم الله، وبخاصة أن العلماء أثبتوا أن النظر إلى النساء يضعف الذاكرة ويسبب مشاكل في نظام المناعة بالإضافة لمشاكل نفسية عديدة.**

**في بحث علمي جديد تبين للعلماء أن الإدمان على النظر الحرام إلى النساء يسبب أمراضاً عديدة، حيث يقوم الدماغ بإفراز هرمون الإجهاد بكميات كبيرة وبالتالي فإن تكرار النظر والتفكير في النساء بشهوة يسبب أمراض القلب وتصلب الشرايين وربما ارتفاع ضغط الدم، ولذلك نصيحتنا أن نتجنب المنكر بتجنب أهم سبب له، كما قال تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [النور: 30].**

**# الزم الاستغفار**

**للاستغفار سرّ غريب فهو أسهل عمل تقوم به لدرء المعاصي وإبدالها بالأعمال الحسنة التي يرضاها الله، فإذا أردتَ أن يفرّج الله همك وينجيك من المواقف الحرجة فالزم الاستغفار لأن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قال: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً)، ولا ننسى أن الله عز وجل يناديك باستمرار ويقول لك: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) البقرة: 186].**

**لقد كان النبي الأعظم وهو الذي جعله الله رحمة للعالمين، كان يستغفر الله سبعين مرة وفي رواية مئة مرة وذلك كل يوم! والأجدر بمن ابتُلي بالمعاصي أن يستغفر الله على الأقل سبعين مرة كل يوم، وهذا الذكر سوف يمنحك حالة من الإحساس بالقرب من الخالق عز وجل، وسوف تكره المعاصي تدريجياً.**

**صورة لخلية عصبية من الدماغ حيث يتم تخزين الأفكار، وقد أثبت علماء النفس أن الكلام الذي يقوله الإنسان ويكرره لمرات كثيرة يترك أثراً كبيراً في العقل الباطن، مما يؤدي إلى تغيير سلوك هذا الإنسان، وذلك حسب العبارات التي يرددها. وعبارة الاستغفار هي بمثابة رسالة قوية توجهها لنفسك لكي تقول لها: إن ما تأمرينني به خطأ وهاأنذا أستغفر الله وأتوب إليه، وسوف لن أعود لما يغضب الله تعالى.**

**ينبغي عليك ألا تنسى الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى باستمرار، يقول تعالى: (وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) [الأعراف: 153]. لا تنسَ أن تستغفر الله بعد كل معصية وتتوب إليه، ولا تدع المعاصي تتراكم عليك فتهلكك.**

**# الإصرار على المعصية أخطر من المعصية**

**في أبحاث عديدة قام بها بعض الخبراء في البرمجة اللغوية العصبية وجدوا أن ما يفكر به الإنسان له دور كبير في سلوكه وتصرفاته وردود أفعاله. فعندما نجد شخصاً يفكر دائماً بالسرقة حتى يسيطر عليه هذا الإحساس فإنه لابد أن يمارس السرقة ولو مرة لأن الفكرة سوف تصبح حقيقة.**

**على العكس تماماً الإنسان الذي لا يفكر بالسرقة ويفكر دائماً بأن السرقة حرام وأن عقوبتها كبيرة جداً وأكبر من قيمة الشيء المسروق بكثير، فإنه لن يمارس السرقة ولو تم تعريضه لأقسى الظروف.**

**من هنا نستطيع القول بأن الإنسان الذي يقنع نفسه بأنه لن يعصي الله ولن يرتكب محرماً، فإن هذه الفكرة عندما تتعمق وتتأصل فإنها ستخفض الرغبة لديه بالمعصية، وسوف يجد نفسه محرجاً لمجرد التفكير بالمعصية، ومع مرور الزمن سوف يبتعد عن هذه المعاصي، ولن يستمتع بها أبداً.**

**يقول العلماء إن أي عمل يقوم به الإنسان هو في الأساس عبارة عن فكرة، ولذلك فإن الأفكار التي يحملها الإنسان ويعتقد بها تسيطر على أفعاله وتتحكم بتصرفاته وتحدد سلوكه العملي. ولذلك فإن القرآن ركّز كثيراً على الاهتمام بالعقيدة الصحيحة وأن الله تعالى قادر على مغفرة الذنب، وأن الله سوف يساعدك ولن يتركك وحيداً في مواجهة مشاكلك، وبالتالي فإن هذه الأفكار الإيجابية عندما تتعمق في الدماغ وتتأصّل فإنها توجه العقل الباطن للإنسان ليقوم بالأفعال الصحيحة.**

**ولذلك نجد كثيراً من الناس يقولون إنهم لا يستطيعون ترك المعصية وهذا خارج عن إرادتهم، والحقيقة أن العلاح بسيط وهو أن تعتقد بأن المعصية سوف توصلك إلى غضب الله وعذابه، وأن طريق المعصية هو أسوأ طريق وعواقبه وخيمة ونتائجه مدمرة، وأنك قادر على تغيير هذا الواقع وعندها سوف تشعر بحلاوة الإيمان ولذة ترك المعاصي.**

**وربما نتذكر نصيحة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما أكد لنا أن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركه مخافة الله أبدله الله نوراً يجد حلاوته في قلبه!! ونستفيد من هذا الحديث أن نرسخ فكرة في دماغنا تقول بأنك يجب أن تترك المعصية مخافة الله تعالى وابتغاء رضوانه، والله سوف يساعدك ويبدلك نوراً تجد لذّته وحلاوته في قلبك.**

**من هنا ندرك معنى قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [آل عمران: 135].**

**# اليقين بأن الله قادر على مغفرة الذنب**

**من أهم الأشياء النفسية التي ينبغي على المؤمن أن يقنع نفسه بها، أن الله تعالى قادر على كل شيء، قادر على أن يرزقك وأن يبعد عنك الشر وقادر على أن يعذبك أو يكرمك... وقادر على أن يغفر لك الذنوب مهما كانت عظيمة، ولن يكلفه ذلك شيئاً.**

**إن هذه القناعة لها أثر كبير في جلب الراحة النفسية للإنسان وإبعاده عن الاكتئاب واليأس. وتسهل لك طريق التوبة والبعد عن المعاصي. وربما نذكر قصة ذلك الرجل الذي أصاب ذنباً فقال: أي رب اغفر لي، فقال الله تعالى: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ فتقول الملائكة نعم يا رب، فيقول قد غفرت لعبدي، ثم يمكث هذا العبد فيصيب ذنباَ آخر وتتكرر القصة ذاتها مرات... في كل مرة يستغفر، وفي كل مرة يقول الله تعالى: أَعَلِمَ عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟ فتقول الملائكة نعم يا رب، فيقول قد غفرت لعبدي فليفعل ما يشاء!!**

**هذه هي رحمة الله، وهذه هي ثقافة الرحمة التي ينبغي على كل مؤمن أن يدركها، وأن يعلم أن رحمة الله أوسع بمليارات المرات مما نظن! فالله تعالى يقول: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [الزمر: 53].**

**# إياك واليأس من رحمة الله**

**أيها الأحبة تأملوا معي قصة سيدنا يوسف عليه السلام، هذا النبي الكريم قد مكر به إخوته وألقوه في غيابة الجب، ولكن الله تعالى لم يتركه وحيداً بل أنقذه وسخر له أسباب الملك، ولكن ماذا عن أبيه سيدنا يعقوب عليه السلام؟ لقد مضى على غياب يوسف سنوات طويلة ولكن الأب لم يفقد الأمل من الله عز وجل، وقال كلمة رائعة ينبغي أن نحفظها ونتذكرها في المواقف الصعبة، يقول تعالى على لسان يعقوب: (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف: 87].**

**لقد اعتبر أن اليأس من رحمة الله بمثابة الكفر بالله، فالذي عرف الله وأيقن بصفاته وقدرته لا ييأس منه أبداً. وإن أكثر ما يدمر الإنسان ليس المعصية ذاتها، بل الاعتقاد بأن الله لن يغفر الذنوب وأنه لا يمكن ترك المعصية، إذاً الإنسان قد يعصي الله ولكن الخطورة الاستمرار في هذه المعصية.**

**# لماذا لا تشغل نفسك بعمل مفيد؟**

**من أكثر الأشياء المدمرة للذات هو الفراغ، فالشيطان يتسلل إلى عقلك في حالة فراغ الذهن ويوسوس لك لتفعل الشر، ويزين لك الأعمال السيئة لتراها حسنة، وبالتالي فإن أفضل طريقة لمنع الوساوس ودرء المفاسد أن تشغل وقتك بعمل مفيد تبتغي به وجه الله، وبخاصة حفظ القرآن.**

**فقد ثبت علمياً أن حفظ القرآن وتلاوته والاستماع لآياته ينشط خلايا الدماغ ويرفع النظام المناعي ويمنح المؤمن صحة نفسية وجسدية أفضل. ولذلك ننصحك أخي الحبيب أن تشغل وقتك بأعمال مفيدة مثل الدعوة إلى الله بأسلوب علمي حديث، من خلال نشر مقالة حول إعجاز القرآن قد تصادف من يحتا جلها ويهتدي بها.**

**يمكنك أن تشغل وقتك بتدبر آيات الإعجاز العلمي وتأمل خلق الله في الكون والنفس، وتحاول إقناع من حولك من الضالين بصدق القرآن، لا تدري فقد تكون أنت سبباً في هداية إنسان حائر، فيكون هذا العمل خير من الدنيا وما فيها كما أخبر بذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.**

**في بحث علمي نشر مؤخراً في مجلة أرشيف الطب النفسي أن إبقاء الذهن منشغلاً في أشياء مفيدة يساعد على علاج الاكتئاب وأمراض نفسية أخرى. وتؤكد الدراسة أن تمرين الذهن لا يقل أهمية عن تمرين العضلات، فخلايا الدما بحاجة للعمل المستمر، وأفضل الأعمال على الإطلاق أن تتدبر كتاب الله تعالى.**

**#لا تدع الشيطان يتلاعب بك**

**الشيطان لديه أساليب متعددة للإغواء والإضلال، وينبغي ألا تترك له مجالاً ليعبث بك ويستخف عقلك ويوسوس لك. وربما يكون أهم أسلوب يستخدمه الشيطان لإبعادك عن طاعة الله والتوبة هو أنه يوسوس لك قائلاً: ما دمت تعصي الله فإن الله لن يقبل منك أي عمل صالح، والعمر أمام طويل لتتوب توبة نهائية، ولكن الآن استغل فترة الشباب لتستمتع بالحياة...**

**والطريقة السهلة لعلاج ذلك أن تبادر بالتوبة إلى الله فوراً ومن دون أن تنتظر المستقبل، لأن الموت إذا جاء لا ينتظرك حتى تتوب! ويجب أن تخاطب نفسك قائلاً: أيتها النفس سوف أتوب إلى الله وأستغفره وهو القادر على المغفرة والهداية وهو القادر أن يخلصني من الأعمال السيئة وهو القادر على إبعاد المعصية عني.**

**قد يقول لك الشيطان: ما الفائدة من التوبة إذا كنتَ سترجع إلى ممارسة المعصية؟ فلا تستمع إلى هذا القول بل سارع إلى التوبة ولو رجعت إلى المعصية في اليوم الثاني أيضاً سارع إلى التوبة وهكذا، اجعل كل لحظة من لحظات حياتك عبارة عن توبة إلى الله، فالله تعالى لم يقل: "يحب التائبين" بل قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: 222]، والتوّابون هم الذين يتوبون إلى الله باستمرار "صيغة مبالغة للدلالة على كثرة توبتهم إلى الله" ولا نعجب أن النبي كان يتوب إلى الله كل يوم أكثر من سبعين مرة، فماذا عنا نحن اليوم؟!**

**#اكره المعصية**

**إياك أن تحب المعاصي أو تفتخر بها أو تعتبر أنها شيء حسن، وانظر معي إلى هذه الآية الكريم التي يقول فيها تبارك وتعالى: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [فاطر: 8]. وكم من إنسان عصى الله فستره الله ثم بات بفضح نفسه ويتباهى بالمعصية!**

**ونصيحتنا أن تعتبر المعصية شيئاً قبيحاً ومكروهاً ويجرّ عليك الدمار والغضب من الله في الدنيا والآخرة، وأن تشعر بمراقبة الله تعالى لك في كل لحظة، فهذه وسيلة فعالة لترك المعصية وعدم الاقتراب منها.**

**تصور لو أن أحداً ثبت كاميرا تصور حركاتك وتسجل صوتك، فماذا عساك تفعل؟ هل تستطيع أن تخطئ والشريط يسجل كل حركة تقوم بها وسوف يراها الناس؟ فكيف إذا كان الله يراك ويعلم كل شيء عنك وهو معك وأقرب إليك من حبل الوريد! كيف بك إذا كان الله تعالى يعلم كل فكرة تخطر ببالك، حتى ما تختلسه من نظرات أو تخفيه في صدرك يعلمه الله، فهو القائل: (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر: 19].**

**#التأثير المذهل للصدقة**

**من الأشياء المهمة أخي المؤمن أن تلجأ إلى التصدق بشيء من المال على من يحتاجه، وبالتالي تعطي على قدر استطاعتك مخلصاً هذا العمل تبتغي به وجه الله وتنوي أن يهديك الله ببركة هذا العمل. وكم من قصة رأينا فيها مريضاً عافاه الله ببركة الصدَقة، وكم من عاصٍ هداه الله ببركه إطعام فقير أو إكرام الأقربين أو مساعدة المحتاج.**

**فإذا كنتَ ممن ابتلاهم الله بالمعاصي فعليك بالإكثار من الصدقة والعطاء وأن تنوي وأنت تتصدق على الفقراء أن يخلّصك الله من المعصية ويبعد عنك شر الشيطان ويبدلك أعمالاً صالحة، فالله تعالى يقول: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) [النساء: 114].**

**#صادق صالحاً**

**ننصحكم إخوتي وأخواتي في الله، أن تصادقوا الصالحين والأتقياء، فمثل الجليس الصالح كبائع المسك إما أن يعطرك أو تجد منه ريحاً طيباً أو أن تشتري منه عطراً. ومثل الجليس السيء كنافخ الكير الذي ينفخ النار عند الحداد، إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثاً أو أن يؤذيك.**

**ولذلك إذا كانت لديك معاصي لا تستطيع التخلص منها، ففتش بين أصدقائك عن جليس سيء وتخلص منه أو حاول أن تهديه إلى الطريق الصحيح. حاول التعرف على أصدقاء صالحين وتعمق علاقتك معهم وتدريجياً تقلل عدد أصدقائك السيئين. وهذه الطريقة تساعدك على التخلص من المعاصي بغذن الله.**

**#أساليب أخرى**

**هناك طرق كثيرة للتخلص من المعصية مثل :**

**1=التفكر في خلق الله تعالى، فالله عز وجل يقول: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [آل عمران: 191]،**

**2=وينبغي علينا تذكر الموت والآخرة، وتدبر آيات وأحاديث العذاب فهي وسيلة لنتذكر الموت وبالتالي نوقن بأن الله تعالى سيحاسبنا على هذه المعاصي وأن المعصية ستكون سبباً في دخول جهنم.**

**3=وكذلك فإن الصبر عن المعصية من أهم أنواع الصبر، فللصبر أنواع كثيرة ربما يكون أصعبها أن تصبر عن المعاصي، أي تعتبر أن المعصية هي مرض وبلاء لابد أن يُذهبه الله عنك فتصبر وتحتسب وتفكر بالعودة إلى الله باستمرار. يقول تعالى: (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) [القصص: 54].**

**4=وأخيراً ؛من الأساليب المهمة للخلص من المعاصي التفكير بمخاطر وعواقب المعصية، فلماذا لا تضع مخططاً تحسب فيه العواقب الوخيمة للمعاصي. فعلماء النفس ينصحون بالتفكير بالنتائج السلبية للعمل السيء حتى تتمكن من ترك هذا العمل، يقول تعالى: (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [النمل: 90].**

**5=كذلك ينبغي أن نفكر بالنتائج الإيجابية لترك المعصية، وتأملوا معي هذه الآيات الرائعة التي تلخص لنا سر التخلص من المعاصي والسيئات والوسائل التي تدخلنا الجنة، عسى أن نكون منهم: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد: 20-24].**

**6=ويجب ألا ننسى أهمية الدعاء فإن الدعاء هو العبادة، وهو الطريق السهل لحل المشاكل أن تدعو الله وأنتَ موقن بالإجابة، يقول تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186].**

**ومن الأدعية المهمة التي دعا بها أنبياء الله تعالى، دعاء سيدنا يونس: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء: 87]. فإذا أردت أن يخلصك الله من المشاكل والهموم والمعاصي فعليك بهذا الدعاء وغيره من أدعية القرآن والسنة، مع اليقين بأن الله سيحل مشاكلك ويبدلك خيراً منها بل ويبدل سيئاتك بحسنات، يقول تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) [الفرقان: 70]، اللهم اجعلنا من الذين تبدل سيئاتهم حسنات، إنك على كل شيء قدير . (1)**

**#أسبابُ مغفرة الذنوب**

**إن مغفرة الذنوب غاية كل مسلم ومطلب كل مؤمن لأنه عندما تغفر ذنوب العبد من قبل ربه عز وجل فإن في هذا سعادته في الدنيا والآخرة .**

**قال تعالى : {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } [آل عمران : 133]**

**00000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت - بقلم عبد الدائم الكحيل**

**وقال تعالى : {وَقِهِمْ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [غافر : 9 ] .**

**فعلى كل مسلم أن يسعى إلى تحقيق هذه المغفرة له من قبل الله عز وجل، وذلك بفعل الأسباب التي جعلها الله عز وجل سببًا لغفران الذنوب والتجاوز عن السيئات والعيوب ، وهذه الأسباب سبعة (1) هي:**

**أولاً : التوبة إلى الله عز وجل : التوبة هي: رجوعُ العبد إلى الله والإنابة إليه، ولها شروط ثلاثة وهي: الندم، والإقلاع عن الذنب، والعزيمة على عدم العودة، وإن كان ذلك في حق أخيك المسلم فترد عليه حقه أو التحلل منه.**

**والتوبة من أفضل الأعمال وأجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه عز وجل، وقد بين مكانة هذه العبادة عند الله عز وجل الرسول ( بقوله : «للّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى? رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ. فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ. وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ. فَأَيِسَ مِنْهَا. فَأَتَى شَجَرَةً. فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا. قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ. فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا. ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»رواه البخاري ومسلم . (2)**

**وقد أمره الله عز وجل بذلك، فقال تعالى : ( فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [محمد : 19]، وقال تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) [النور : 31 ].**

**قد كان يكثر من الاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل حتى أنه في المجلس الواحد يتوب إلى الله ويستغفره سبعين مرة ، فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ( قال: سمعتُ رسول اللّه( يقول: «واللّهِ إني لأستغفرُ اللّهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعينَ مرَّة». رواه البخاري (3)**

**وفي حديث الأغر بن يسار ( قال رسول الله ( : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى? اللّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ، إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ». رواه مسلم . (4)**

**00000000000000000000000000000000000000000**

**(1) لفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن السَّعد ،**

**(2) البخاري (6164) ومسلم (6909) واللفظ له، من حديث أنس.**

**(3) البخاري(6162) ، (4) مسلم (6809) ،**

**وقد شرع الله لعباده الاستغفار بعد الأعمال الصالحة كالصلاة و الحج ، قال تعالى : (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [البقرة : 199 ] ، وعن ثوبان( قال : « كان رسول الله إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً ». رواه مسلم .(1)**

**ثانياً : تحقيق التوحيد واجتناب الشرك:**

**قال تعالى : ( الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام : 82 ]، أي: آمنوا بالله ولم يلبسوا إيمانهم بشرك، فلهم الأمن في الآخرة، وهم مهتدون في الدنيا .**

**فالتوحيد هو أساس الدين، وهو الشرط الأول لقبول القربات والطاعات ومغفرة الذنوب ، وتحقيقه يكون بتخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي ، فيكون بإفراد الله عز وجل بالعبادة وإثبات ما أثبته الله لنفسه ، ومراقبته والتعلق به، وكثرة دعائه واللجوء إليه، والإتيان بالأركان والواجبات وتكميل ذلك بالسنن والمستحبات.**

**وترك ما ينافي ذلك كله من الشرك الأكبر الذي ينافي أساس التوحيد وأصله ، وترك الشرك الأصغر والكبائر والتي تنافي كمال التوحيد الواجب ، وترك كل ما ينافي كماله المستحب من الاسترقاء - وهي طلب الرقية من الغير -، ومثله الاكتواء، كما جاء في حديث ابن عباس ( في السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب .(2)**

**ومما يحقق التوحيد محبته ـ محبة التوحيد وأهله والذود عن أعراضهم والرد على مخالفيهم ـ، قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله : من لم يحب التوحيد لم يكن موحدًا ؛ لأنه هو الدين الذي رضيه الله لعباده، كما قال تعالى : (وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِيناً) . (3)**

**وقال الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : من أحب الله أحب دينه ، وما لا فلا . كما أن الشرك أعظم سبب يمنع العبد من مغفرة الذنوب، قال تعالى : (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأنعام : 88 ] وقال : (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء : 48 ]. فتحقيق التوحيد واجتناب الشرك من أعظم الأسباب التي يتحقق من خلالها المغفرة للعبد، فقد أخرج مسلم عن أبي ذر ( قال: سمعت رسول الله ( يقول : «يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ..... وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». (4)**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) مسلم (1285) ، (2) البخاري (5620) ومسلم (220) ،**

**(3) انظر مجموعة التوحيد 1/51. (4) مسلم (2687)**

**وأخرج الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ( قال : سمعت رسول الله ( يقول : «إِنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍ مِثْلُ مَدّ البَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئَاً؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحافِظُونَ؟ فيَقُولُ لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ يَا ربِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَع هَذِهِ السِّجِلاَّتُ؟ فَقَالَ فَإِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ. قالَ: فَتُوْضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالِبطَاقَةُ في كِفَّةٍ فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَت البِطَاقَةُ، ولا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شَيْءٌ» إسناده جيد، وقد صححه ابن حبان والحاكم.(1)**

**قال ابن رجب: من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة... إلى أن قال: فإن كَمُل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل من سوى الله محبة وتعظيماً، وإجلالاً ومهابة، وخشية وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها، وإن كانت مثل زبد البحر.ا.هـ ملخصًا (2)**

**قال العلامة ابن القيم – رحمه الله تعالى -:ويُعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك مالا يعفى لمن ليس كذلك، فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئاً البتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقي معه ذنب؛ لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة، والدافع لها قوي.ا.هـ. (3) هذا السبب من الأسباب العظيمة التي يحصل بها مغفرة الذنوب سواء كان العمل من الواجبات أو المستحبات، والأدلة على ذلك كثيرة جداً منها :**

**قوله تعالى : ( ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[النحل : 32] فلا يدخلون الجنة إلا بغفران ذنوبهم .**

**ثالثاً : الأعمال الصالحة :**

**وقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانَاً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ \* أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)**

**000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الترمذي (2708) وابن حبان (224) والحاكم (9)**

**(2)جامع العلوم والحكم 1/398 ، (3) إغاثة اللهفان 1/63**

**فإقامة الصلاة في وقتها وبأركانها وواجباتها وإخراج الزكاة وغير ذلك من الأعمال الصالحة سبب لمغفرة الذنوب والرزق الكريم .**

**عن عمرو بن عبسة السلمي ( قال: سمعت رسول الله ( يقول : «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يَقُرِّبُ وُضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ. ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ الله إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى?، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى? عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لله، إِلاَّ انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» رواه مسلم . (1)**

**وفي «الصحيحين» : «مَنْ صامَ رَمَضانَ إيماناً، واحْتِساباً، غُفِرَ لهُ ما تَقدَّم مِنْ دَنْبه» ،(2) وفي رواية : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»،(3) وفي رواية:«من قام ليلة القدر» .(4)**

**وسئل ( عن صوم يوم عرفة فقال: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ». وسئل ( عن صيام يوم عاشوراء فقال: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيةَ». (5)**

**والأدلة في هذا كثيرة من القرآن والسنة ، وهذا أمر معلوم لدى كل مسلم ، فعلى كل أحد أن يكثر من الأعمال الصالحة قولية كانت أم فعلية.**

**رابعاً : اجتناب السيئات والذنوب :**

**قال تعالى : وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى \* الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ النجم : 31-32 .وقال تعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً النساء : 31 فهذا وعد من الله لعباده أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات، وأدخلهم مُدخلاً كريماً ـ كثير الخير ـ وهي الجنة المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر . ويدخل في اجتناب الكبائر: فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكباً للكبائر ، كما أخرج الإمام مسلم في «صحيحه»**

**00000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) مسلم (1880) ، (2) البخاري(38) مسلم (1731) من حديث أبي هريرة**

**(3) البخاري (37) مسلم (1729) ، (4) البخاري (1802) ،(5) مسلم (2700)**

**من حديث أبي هريرة ( قال: قال النبي ( : «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ. إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ».(1) ، فاجتناب السيئات والذنوب بشتى أنواعها سبب لغفران الذنوب .**

**خامساً : الإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم :**

**قال تعالى : وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [النور : 22 ].**

**سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر ( كان يتصدق على مسطح بن أثاثة, فعندما حصل منه ما حصل تجاه عائشة رضي الله عنها امتنع من الإحسان إليه، فنزلت هذه الآية الكريمة ، كما في «الصحيحين» من حديث عائشة رضي الله عنها .(2)**

**وعن أبي هريرة ( عن النبي ( قال : «بينما رجل يمشى بطريق ـ وفي رواية امرأة بغياً ـ أشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له» قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجر . فقال : «في كل كبد رطبة أجر». رواه البخاري.(3)**

**فغفر لهذه المرأة بسبب إحسانها لهذا الكلب، فكيف بمن يحسن إلى الناس ، ويسعى إلى تفريج كربهم ؟!**

**وعن حذيفة بن اليمان ( قال: سمعت رسول الله ( يقول : «ماتَ رجُلٌ، فقيلَ لهُ: ما كنتَ تقولُ ؟ قال: كنتُ أُبايِعُ الناسَ، فأتجوّزُ عنِ الموسِرِ وأُخَفّفُ عنِ المُعسِرِ. فغُفِرَ لهُ». رواه البخاري (4)**

**وكما أن أذى الناس من الأسباب المانعة لمغفرة الذنوب، قال تعالى : وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً [الأحزاب : 58 ].**

**وعن أبي هريرة ( أن النبي ( قال : «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَـ?ذَا، وَقَذَفَ هَـ?ذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَـ?ذَا،**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) مسلم (505) ، (2) البخاري (2609) مسلم(2770)**

**(3) البخاري (2423) مسلم (5811) ، (4) البخاري (2350)**

**وَسَفَكَ دَمَ هَـ?ذَا، وَضَرَبَ هَـ?ذَا. فَيُعْطَى? هَـ?ذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَـ?ذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى? مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». رواه مسلم(1)**

**فالإحسان إلى الناس، والتخفيف عنهم، وتفريج كربهم، وقضاء حوائجهم، وكف الأذى عنهم، سبب لمغفرة الله للعبد**

**سادساً : المصائب والبلاء الذي يصيب المسلم في الحياة الدنيا .**

**قال تعالى : وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ \* أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [آل عمران 139ـ 142]**

**وقال تعالى : ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [النور : 110**

**وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ( : « ما من مصيبة تصيبُ المسلم إلا كفَّر الله بها عنه، حتى الشوكةَ يشاكها». رواه البخاري ومسلم (2)**

**وعن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة ( عن النبي ( قال: «ما يُصيبُ المسلمَ من نَصبٍ ولا وَصَبٍ ولا همّ ولاَحَزَن ولا أذى ولا غَمّ ـ حتى الشَّوكةِ يُشاكها ـ إلا كفَّرَ اللهُ بها من خَطاياه».. رواه البخاري (3)**

**وعن أبي هريرة ( قال: قال رسول (: «ما يَزَالُ الْبَلاَءِ بالمُؤمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى الله وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح (4)**

**سابعاً : دعاء الله عز وجل .**

**فإن دعاء الله عز وجل سبب عظيم لمغفرة الذنوب والتجاوز عن العيوب والسيئات . قال تعالى : { رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ \* رَبَّن َا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ \* فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ**

**000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) مسلم (6531) ، (2) البخاري (5513) مسلم (6517)**

**(3) البخاري (5514) ، (4) الترمذي (2441)**

**مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ } [آل عمران: 193**

**وعن أبي بكر ( قال: قلت: يا رسول ( علمني دعاء أدعوا به في صلاتي. قال: « قل : اللّهمَّ إِني ظَلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنتَ، فاغفِرْ لي مَغفِرةً من عِندكَ، وارحمني إِنك أَنتَ الغفور الرَّحيم». رواه البخاري ومسلم (1)**

**فعلى العبد أن يكثر من دعاء الله عز وجل أن يغفر له ذنوبه ويتجاوز عن عيوبه، لا سيما في أوقات الإجابة، كجوف الليل الآخر، وآخر ساعة من يوم الجمعة، وبين الأذان والإقامة، وغير ذلك.**

**وقال تعالى : سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الحديد : 21 ]..(2)**

**# ومن أسباب مغفرة الذنوب أيضا :**

**ومن الأسباب التي جعلها الله موجبة لمغفرة الذنوب حتى تدفع عن نفسك اليأس والقنوط من رحمة الله تعإلى وتسارع إلى مغفرة الله ورضوانه {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ }[آل عمران:133].**

**1 - الإسلام: قال الله تعإلى: قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ [الأنفال:38].**

**وعن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله : { أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله } [أخرجه مسلم].**

**2 - الهجرة في سبيل الله: وهي الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام قال الله تعإلى: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِن بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَاهَدُواْ وَصَبَرُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }[النحل:110]. وحديث عمرو بن العاص وفيه: { وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها }.**

**3 - الحج المبرور: عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله : {.. وأن الحج يهدم ما كان قبله }.**

**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله : { من حج لله ولم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه } [رواه البخاري].**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) البخاري (825) مسلم (6819) ، (2)الأنترنت – موقع أسبابُ مغفرة الذنوب لفضيلة الشيخ عبدالله السَّعد**

**4 - الذكر عند سماع الأذان: عن سعد قال: قال رسول الله : { من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً غفر له ما تقدّم من ذنبه } [أخرجه مسلم].**

**5 - من وافق تأمينه تأمين الملائكة: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : { إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه } [رواه البخاري ومسلم].**

**6 - من وافق قوله: ( سمع الله لمن حمده ) قول الملائكة: قال : { إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده. فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه } [رواه البخاري ومسلم].**

**7 - صلاة ركعتين لا سهو فيهما: لقوله : { من توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين لا سهو فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه } [رواه أحمد وحسنه الألباني].**

**8 - مسح الحجر الأسود والركن اليماني: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله : { إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطاً } [رواه أحمد، وصححه الألباني].**

**9 - الاجتماع على ذكر الله: عن سهل بن الحنظلة قال: قال رسول الله : { ما اجتمع قوم على ذكر فتفرقوا عنه إلا قيل لهم: قوموا مغفوراً لكم } [رواه أحمد وصححه الألباني].**

**وعن أنس قال: قال رسول الله : { ما جلس قوم يذكرون الله تعإلى إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم } [رواه أحمد وصححه الألباني].**

**10 - مرض الإنسان: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله : { إن العبد إذا مرض أوحى الله إلى ملائكته، أنا قيدت عبدي بقيد من قيودي، فإن أقبضه أغفر له، وإن أعافه فحينئذ يقعد لا ذنب له } رواه الحاكم وحسنه الألباني**

**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله : { إذا اشتكى المؤمن أخلصه من الذنوب. كما يخلص الكير خبث الحديد } [رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني]. (1)**

**#أسباب دفع العقوبات**

**ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن المؤمن إذا فعل سيئة، فإن عقوبتها تندفع بنحو عشرة أسباب:**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) الأنترنت – موقع كلمات**

**أحدها: أن يتوب توبة نصوحاً، ليتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.**

**الثاني: أن يستغفر الله، فيغفر الله تعإلى له.**

**الثالث: أن يعمل حسنات يمحو بها تلك السيئة لقوله تعإلى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ هود:114**

**الرابع: أن يدعو له إخوانه المؤمنون، ويشفعوا له حياً وميتاً.**

**الخامس: أن يهدي له إخوانه المؤمنون من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به بحسب ما جائت به النصوص .**

**السادس: أن يشفع فيه نبينا محمد .السابع: أن يبتليه الله في الدنيا بمصائب في نفسه وماله وأولاده وأقاربه ومن يحب ونحو ذلك. الثامن: أن يبتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة وهي عصر القبر، فيكفر بها عنه.**

**التاسع: أن يبتليه الله في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفّر عنه.**

**العاشر: أن يرحمه أرحم الراحمين.**

**فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومنّ إلا نفسه، كما قال تعإلى في الحديث القدسي : ( إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه ) [مسلم].(1)**

**#خطر الاستهانة بالذنوب واستصغارها : ( 2)**

**لقد كانت نفسيات الصحابة حساسة جداً ضد الذنوب، يقول أنس رضي الله عنه فيما رواه البخاري رحمه الله في صحيحه : [إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الموبقات] فإذاً: قضية استصغار الذنوب مشكلة عند بعض الناس، يستصغرون الذنوب ويحتقرونها، ولذلك يقول بعض السلف: "لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى من عصيت"، انظر إلى من عصيت عند ذلك تجد فعلاً أنك تستنكر كيف فعلت هذا الأمر؟! تتهول ما فعلت، فبعض الناس يستصغرون مثلاً: النظر واللمس المحرم والحديث المحرم في الهاتف وغيره، والقبلة التي هي من مقدمات الزنا، ويستصغرون النظر إلى المجلات والمسلسلات ويقولون: هذه أشياء بسيطة جداً، يعني: ماذا ستؤثر؟ ومن ضمن الناس الذين قد يتجاوزون أناسٌ أبيح لهم النظر**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع كلمات ( 2) هذا مبحث فيه فوائد جمة منقول من موقع كلمات ، لفضيلة الشيخ محمد المنجد**

**للضرورة فتوسعوا فيه مثل: الطبيب والخاطب، امرأة لم تجد طبيبةً مسلمةً مؤهلةً للنظر في ذلك المرض، فذهبت إلى الطبيب، يباح للطبيب أن ينظر من المريضة إلى الموضع الذي يحتاج أن ينظر إليه للعلاج، وقد يتوسع الطبيب أكثر من ذلك، فبعض الأطباء قد يتساهل، والخاطب يباح له أن ينظر إلى مخطوبته حتى يرى ما يدعوه إلى نكاحه منها، فإذا رأى وقرر وانتهينا وعرف النتيجة، ثم طلب أن يرى مرة ثانية وأنه جلس معها فترة طويلة ساعة أو ساعتين وهو لا يحتاج إلى هذه الفترة، فإذاً: هذا إنسان متعدٍ ينبغي له أن يتوب من هذه الزيادة. وهذا الاستصغار يولد الاستهتار والوقوع في الكبائر، ويترك الإنسان الخوف ويستهين بالمعصية، سألني أحد الناس سؤالاًَ عن معصية، قال: ما حكم كذا؟ قلت له: هذه حكمها حكم المسألة أو بالدليل من كلام العلماء أنها محرمة فهي حرام، فقال: حرام، يعني: حرام كثير أم قليل؟ فيها سيئات كثير وإلا كم؟ لماذا يسأل بعض العامة هذه الأسئلة؟ لأن عندهم مبدأ الاستهانة بالصغائر، ومحقرات الذنوب هذه مسألة لا يلتفتون إليها ولا يلقون لها بالاً. وقال ابن القيم رحمه الله: وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة ما يلحقها بالكبائر بل يجعلها من رتبتها؛ من رتبة الكبائر.**

**#حرص الصحابة على إصلاح الخطأ:**

**كان الصحابة رضوان الله عليهم عندهم اهتمام بالغ فإذا أخطئوا حاولوا إصلاح الخطأ بأي وسيلة ولو كلفهم إصلاح الخطأ والتوبة ولو كلفتهم أنفسهم، ففي الصحيح عن بريدة رضي الله عنه أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (يا رسول الله! إني قد ظلمت نفسي وزنيت -اعترف- وإني أريد أن تطهرني، فرده وأعرض عنه، فلما**

**كان من الغد أتاه، فقال: يا رسول الله! إني قد زنيت، فرده ثانيةً، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه فقال: أتعلمون بعقله بأساً؟ تنكرون منه شيئاً؟ فقالوا: ما نعلمه إلا وفيَّ العقل من صالحينا فيما نرى -نعرف أنه من الصالحين، عندنا أنه إنسان صالح- فأتاه الثالثة، فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه، فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعة حفر له حفرةً ثم أمر به فرجم رضي الله عنه) دفع حياته ثمناً لتكفير تلك الفاحشة التي وقع فيها. قال: (فجاءت الغامدية -يقول الراوي في نفس الرواية- فجاءت الغامدية) وبعض العلماء يقولون: إن ماعزاً زنا بتلك الغامدية (فجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله! إني قد زنيت فطهرني، وإنه ردها، فلما كان الغد قالت: يا رسول الله! لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً، فوالله إني لحبلى -أنا حبلى والدليل على الفاحشة لا يحتاج إلى سؤال ولا يحتاج إنه قد بان والمسألة ظاهرة- قال: أما لا -يعني: أما وقد حصل هذا فلا، انتهت المسألة، وصل الحد إلى الإمام وهو ظاهر فلابد من إقامته- فاذهبي حتى تلدي، قال: فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة، قالت: هذا قد ولدته) -ما فرت ولا تراجعت طيلة أشهر الحمل وهي لا تزال متذكرة الذنب وتنتظر متى تلد حتى تأتي ليقتص منها لتتوب لتتطهر فلم تنس ولم تتراجع عن المبدأ طيلة الأشهر مع أنه قضية موت- (قال: اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه -والرضاع يأخذ وقتاً- فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبزٍ -حتى تبين أنه فعلاً انفطم وأنه الآن بدأ يأكل الطعام ولا حاجة له للرضاع- فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين، ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضخ الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله سبه إياها، فقال: مهلاً يا خالد ! فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبةً لو تابها صاحب مكس لغفر له -الذي يأخذ الضرائب على الحجاج- ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت) تابت توبةً لو وزعت على سبعين من الفساق لكفتهم، تابت توبة عظيمة تسع أهل مدينة بأسرها.**

**#خطر استعظام الذنوب:**

**بالنسبة لقضية استعظام الذنوب، فبعض الناس يستعظمون الكم الهائل من الذنوب التي ارتكبها عبر عشرات السنين في الماضي وجاء الآن ليتوب، وقد ملأت تلك الذنوب نفسه وضاقت بها جوانحه وهو يريد الخلاص، فقد يقول كما ذكرت قبل قليل: كيف يغفر الله لي؟ هذه أشياء عظيمة جداً، كثير من الناس يأتي بعضهم يقول: يا أخي! أنا ما تركت بلية إلا فعلتها، ما تركت فاحشة إلا وأتيتها، ليس هناك حد من حدود الله إلا وانتهكته، كل ما تتصور ببالك من المعاصي والآثام أنا فعلتها، ماذا يمكن أن أفعل؟ هذه نفسية كثير من الناس يكتبونها برسائل أو يأتون يشافهون بها وهم في غاية الحرج، يقول: فعلنا وفعلنا، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل: (من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئا) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل في الحديث الصحيح أيضاً: (يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا بن آدم! لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة) إن الله عز وجل واسع المغفرة واسع الرحمة: وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى [طه:82]. وفي حديث أبي ذر : (يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم) سبحانه وتعالى ما أحلمه! ما أرحمه! ما أشد عفوه! وما أوسع مغفرته! لو قال إنسان: يا أخي هذه من الناحية النظرية أنت تأتيني بآيات وأحاديث، لكن أعطني مثالاً واقعياً على أناس اشتدت بهم الفواحش ثم غفر الله لهم، نقول لك: نعم يا أخي يوجد، والحمد لله، ورصيد التجربة وهو رصيد مهم للأمة الإسلامية ولجيل الصحوة، رصيد التجربة رصيد موجود والحمد لله، في القرآن والسنة ما نقل إلينا من السابقين ومن سيرة المسلمين التي نحن الآن نقرؤها، مثل: حديث قاتل المائة النفس حادث عملي، وشيء وقع، شخص قتل مائة نفس قتلها كلها ظلماً وعدواناً، فهو معتد ظالم، وبعد ذلك يقول له العالم وليس العابد الجاهل: وما الذي يحول بينه وبين التوبة؟ نعم. لك توبة، ثم يتوب فيتوب الله عليه وتختصم فيه الملائكة فيكون من نصيب ملائكة الرحمة، وقد قتل مائة نفس. إذاً: حتى نقرب المسألة عملياً إلى الأذهان نقول: نعم، هناك أمثلة عملية، فهذا قتل مائة نفس، فهل عندك جريمة مثل هذه؟ قتل مائة نفس! والعلماء يصنفون الذنوب: الشرك ثم البدعة ثم قتل النفس ثم الفواحش الأخرى، قتل النفس عظيم، وقول ابن عباس رحمه الله فيه أنه خالد مخلد في جهنم، والعلماء لهم فيها أقوال بسطها ابن القيم رحمه الله في المدارج وغيرها ورجح فيها**

**#تبديل سيئات التائبين إلى حسنات:**

**إذاً: إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً [الفرقان:70] فماذا تريد إذا تبت أكثر من أن يبدل الله سيئاتك حسنات؟ هذه السيئات كلها التي فعلتها في الماضي تنقلب إلى حسنات بالتوبة ليست فقط تغفر السيئات، وإنما تنقلب إلى حسنات، لكن ليس هذا فتح باب للشر ولا هو دفعٌ للناس أن نقول لهم أذنبوا أذنبوا واستكثروا من الذنوب، لأنها كلها ستنقلب إلى حسنات، لا. فهذا لا يمكن أن يحدث للعابين البطالين، كلا -أيها الإخوة- المسألة لها ضوابط وحدود، والدين ليس لعباً وهزوا، كلا: إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً [الفرقان:70] لاحظ الشروط: التوبة، والإيمان، والعمل الصالح، وفي الآية الأخرى: ثُمَّ اهْتَدَى [طه:82] بعد ذلك تبدل السيئات حسنات. وقال ابن القيم رحمه الله: إما أن تبدل بالسيئات حسنات من ناحية الصفة، يعني: أن يبدل الله بالشرك الإيمان، وبالزنا عفةً وإحصاناً، وبالكذب صدقا، وبالخيانة أمانة، هذا أحد المعاني: يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ [الفرقان:70] من المعاني أيضاً: تبديل السيئات التي عملوها في الدنيا بحسنات يوم القيامة، وهذا الأخير قد يقل وقد يكثر، يعني: لو أن شخصاً عنده مليون سيئة فقد تبدل بحسنات مثلها في العدد، أو أقل منها، أو أكثر منها، أو أنها أكثر في الكيفية أو أقل أو مثلها في الكيفية كما أنها في الكمية على حسب ماذا؟ على حسب استقامة الشخص والأعمال الصالحة التي فعلها بعد ارتكاب تلك الفواحش. ومسألة رغبة الناس أن يكونوا عند الهداية قد مُسِح عنهم الماضي فهي رغبة عند كثيرين من مريدي التوبة، يريدون مسح الماضي بأي وسيلة، فكثير من الشباب الذين هداهم الله عز وجل والكبار الذين هداهم الله عز وجل والنساء اللاتي هداهن الله عز وجل يأتون يقول لك: أنا أريد أن أهتدي، لكن ماذا عن سيئاتي الماضية هل تمحى أم لا؟ هذا سؤال مصيري يهمني، أريد أن أعرف هل يمكن أن يمسح الماضي أم لا؟ أنا قلق على الماضي، أنا لا أزال أتذكر تلك الفواحش، ماذا سيحدث؟ يعبر عن هذه النفسية الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه في صحيح مسلم قال: (فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه فقبضت يدي -غريب لماذا قبض عمرو يده؟- قال: ما لك يا عمرو ؟ -هل تراجعت؟- قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط بماذا؟ قلت: أن يغفر لي - عمرو بن العاص يريد أن يدخل الإسلام لكن يريد في نفس الوقت أن تمحى الصفحة الماضية وتطوى بالكلية- قال: يا عمرو ! أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟) وقال الله عز وجل: كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ [آل عمران:86] إلى أن قال سبحانه: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران:89] إذاً ليست المسألة أن نتوب الآن وبعد دقائق أو بعد أيام نرجع مرة أخرى ونواصل ونضحك على أنفسنا ونخادع الله كما يخادع بعض الناس الصبيان، الآن أفعل الذنب وأتوب بعد خمس دقائق، وأفعله مرة ثانية وهكذا، وأقول: تبدل السيئات حسنات ومسح هذا الماضي! ويعبر عن هذه النفسية أيضاً نفسية إرادة مسح الماضي بالكلية الحديث الآتي: عن ابن عباس ( أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن -كلامك جميل جداً ونحن مقتنعون به- فلو تخبرنا، أن لما عملنا كفارة، فنـزل قول الله تعالى: وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً [الفرقان:68] ونزل قول الله عز وجل: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ [الزمر:53] )**

**#طريقة لتكفير المعاصي:**

**فمثلاً: أنا حصلت لي معصية الآن كيف أبدل؟ قال البخاري رحمه الله وساق بإسناده إلى ابن مسعود : إن رجلاً أصاب من امرأة قبلة ؛ روى الإمام أحمد و مسلم قصة هذا الرجل: عن ابن مسعود قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إني وجدت امرأة في بستان لوحدها، ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها، قبلتها ولزمتها، ولم أفعل غير ذلك، فافعل بي ما شئت ) انظر نفسية الإنسان عندما يأتي تائباً، يقول: يا رسول الله! عملت كذا وكذا وكذا، فهذا أنا بين يديك افعل بي ما شئت، فيه أسلوب الصدق في التوبة، يقول: افعل بي ما شئت، أنا يا رسول الله يبن يديك افعل بي ما شئت (فلم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فذهب الرجل، فقال عمر : لقد ستر الله عليه لو ستر نفسه؟ فأتبعه صلى الله عليه وسلم بصره ثم قال: ردوه علي، فردوه عليه، فقرأ عليه: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } [هود:114] فقال معاذ : يا رسول الله! أله وحده أم للناس كافة؟ فقال: بل للناس كافة) وهذا الحديث أيضاً له طريق آخر عند ابن جرير لا نذكره خشية الإطالة في هذه النقطة بالذات. ولكن المقصود أن المسلم مهما كان مستقيماً ومهما كان قد تلقى من التربية يمكن أن يقع في يومٍ من الأيام في فاحشة، فلو وقع ماذا يفعل؟ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ [هود:114] فقط المسألة بسيطة.**

**#مكانة المذنب في المجتمع الإسلامي:**

**ما هو موقع المذنب في المجتمع المسلم؟ سؤال مهم جداً، كيف ينظر إلى من تاب؟ وهذا كلام مهم بالذات للدعاة إلى الله، ما هو الموقف من المذنب؟ شخص أذنب، فما هو موقفنا منه؟ كيف نعامله؟ كيف نواجهه؟ بأي وجه نتلقاه؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب، فقال: اضربوه -اضربوه الحد- قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ومنا الضارب بنعله ومنا الضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا هذا، لا تعينوا عليه الشيطان). هذه مسألة مهمة يجب أن يكون موقفنا تجاه المذنب عندما يقام عليه الحد، أو عندما يأخذ جزاءه، أو عندما تصح توبته وفعلاً يستقيم، فلا نقول: هذه فعلة فعلتها سود الله وجهك، وهذا عمل أخزاك الله تفعله، وهذا كذا، هذا العمل ما الذي يفعل في نفس المذنب؟ إنه يرى أن الناس كلهم ينظرون إليه بمنظار أسود، بالرغم من أنه تاب وأقيم عليه الحد وطهر، فكيف يقال له: أخزاك الله؟! فإذاً ينفر من الوسط ويترك ولا يجلس مع الصالحين فنعين عليه الشيطان، إذاً: مراعاة شعور التائب إذا صلح حاله، نقطة هامة فتجب مراعاة شعور التائب إذا صلح حاله.**

**وحديث المرأة المخزومية وهذا طريق من طرق حديث هذه المرأة، فشأن هذه المرأة فيه فائدة مهمة، فقد سرقت المرأة المخزومية وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقطع يدها، فكلم الناس أسامة أن يشفع عند الرسول صلى الله عليه وسلم فيها، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم وخطب خطبةً مهمة وقال القاعدة الإسلامية في هذا الموضوع وأمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها، قالت عائشة رضي الله عنها [فحسنت توبتها بعد -المرأة المخزومية هذه التي قطعت يدها حسنت توبتها بعد- وتزوجت وكانت تأتيني بعد ذلك، فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، انظر حسنت التوبة، فلما حسنت التوبة استقبل الصحابة المرأة هذه استقبالاً حسناً فوجدت مكاناً في المجتمع المسلم، فصارت تأتي إلى عائشة وتجلس عند عائشة وتزوجت وصلح حالها، و عائشة طبعاً ترفع أمرها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. إذاً: لولا أن المرأة وجدت مكانة في المجتمع هل كانت ستأتي وتجلس عند عائشة وتتحدث عندها، فحسن استقبال الصحابة للتائب هذا يؤدي إلى أن يكون التائب لبنة صالحة في المجتمع**

**الآن خطأ بعض الدعاة إلى الله وبعض الناس أنهم يستقبلون التائب استقبالاً سيئاً يقولون: اذهب أنت بعد كل هذه الأعمال تأتي الآن، اذهب من هنا، لا مكان لك عندنا، ماذا يحدث عند الشخص؟ يفور وربما رجع وانتكس انتكاسةً أشد من الأولى، من هو السبب؟ أنت السبب، أنت الذي نفرته، هذه المشكلة، المشكلة الأسلوب، المشكلة مشكلة الأسلوب عند الكثيرين، فلو دخل واحد إلى طريق الاستقامة، وحصل سوء تفاهم بينه وبين واحد من إخوانه الدعاة، فصار فيه كلام فذهب لشخص ثانٍ يشكو حاله، يقول له: لقد حصل بيني وبين فلان خلاف وكذا، وأنه أخطأ علي بكذا وقال كذا وكذا، فقال الشخص الثاني كلمة واحدة فقط فصلت الموضوع، قال له: أحسن، تستاهل، طبعاً باقي القصة متوقعة، تائب جديد يلجأ لمن؟ لقد أغلقت الطريق أمامه فإلى أين يذهب؟ وحتى في الردة في الحديث الصحيح عن ابن عباس قال: كان رجلٌ من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة؟ ندم مع أنه ارتد، لكنه ندم، فجاء قومه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن فلاناً قد ندم وإنه أمرنا أن نسألك هل له من توبة، فنزلت: {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ }[آل عمران:86].. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا [البقرة:160] هؤلاء الله عز وجل لهم غفور رحيم، حتى لو ارتد يرجع. شخص سافر إلى الخارج، كان مسلماً واعتنق الأفكار العلمانية، ثم جاءنا كافراً، ثم بعد ذلك تاب، وقال: أنا يا جماعة كنت في يوم من الأيام ملحداً فهل لي من توبة؟ نقول: نعم لك توبة، لا أحد يمنعك من التوبة، تعال، نعلمه ونرفق به ونتلقاه تلقياً حسناً، فلا يلبث أن يكون داعيةً إلى الله.**

**#مسامحة المذنب إذا تاب:**

**من المواقف أيضاً للمذنب أننا إذا استطعنا أن نسامحه في شيء نسامحه فيه، فلو سرق شخص من شخص، وقبل أن يصل الأمر إلى القاضي أو الحاكم، لو استطعت أن تسامحه فسامحته فهذا شيء طيب، قبل أن يصل الأمر، لكن لو وصل فلا فائدة، يبين ذلك الحديث الصحيح الآتي: عن أبي ماجدة قال: (كنت قاعداً مع عبد الله بن مسعود ، فقال: إني لأذكر أول رجلٍ قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسارق فأمر بقطعه، فكأنما أسف وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قطع اليد، فقال: يا رسول الله! كأنك كرهت قطعه، قال: وما يمنعني، لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم، إنه لا ينبغي للإمام إذا انتهى عليه حدٌّ ألا يقيمه إن الله عفوٌ يحب العفو: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [النور:22]) حديث حسن السلسة الصحيحة رقم أربعة. فإذاً الرسول صلى الله عليه وسلم يحث الصحابة قال: لو أنكم سامحتموه قبل أن يصل أمره إلي لكان حسناً، لكن مادام وصل الأمر فلا تنفع المسامحة بعد ذلك، ولابد من إقامة الحد حتى لا يحصل التلاعب.**

**#النهي عن التعيير بالذنب:**

**ومن الأمور المهمة في موقفنا من المذنبين التائبين العائدين إلى الله قضية خطيرة يقع فيها البعض وهي تعييرهم بالذنب وتذكيرهم به فترة بعد فترة، وهذه المسألة التي تجعل كثيراً من الناس لا يتوبون، عندما يرى الآن أن معاملة الناس الطيبين تعير بالذنب، يقول: لماذا أتوب؟ إن ألسنتهم لن ترحمني، فلذلك لا يتوب، وربما تاب ولكنه عاش في الوسط محطماً، لماذا؟ لأن هؤلاء الذين من حوله لا يساعدونه على نسيان الماضي، هذه نقطة مهمة أرجو أن تنتبهوا إليها، فالناس الذين من حوله لا يحاولون أن ينسى الماضي وإنما يذكرونه به مرة تلو الأخرى، ولذلك قد يتوب لكن يعيش شخصية محطمة لا ينتفع منها المسلمون من طاقاته، من الموقف الذي حصل تجاهه. وقد يكون تعيير المسلم لأخيه بذنب فعله أعظم إثماً من المذنب لما فيه من إظهار الطاعة وتزكية النفس وتبرئتها من العيوب، يقول عليه الصلاة والسلام: (إذا زنت أمة أحدكم، فليقم عليها الحد ولا يثرب) لا يثرب يعني: لا يعير، في الحديث الصحيح، وورد عن بعض السلف قوله: "إن من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله"، وقال بعضهم: "لا تظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك"، فإذاً: أنت لابد أن تحس يا أخي أنك يمكن أن تقع في نفس ما وقع فيه هذا الشخص، فعندما تعيره بالفاحشة فقد تقع في الفاحشة، وعندما تعيره بالكذب فقد تقع في الكذب {وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً [الإسراء:74] هذا الرسول صلى الله عليه وسلم يقال له هذا الكلام، وقال يوسف: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ [يوسف:33] هذا النبي يوسف يقول لربه لو لم تصرف عني كيد هؤلاء النسوة أقع في الفاحشة، وكان عامة يمينه صلى الله عليه وسلم: لا. ومقلب القلوب. ولذلك الرجل الذي جاء لمذنب وقال: إني أنصحك عشرين مرة ولا فائدة، أنت تصر على المعصية، أنت .. أنت .. لا يغفر الله لك، في الحديث الصحيح: (إن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، قال الله: من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك) هذا تعدٍّ على حق من حقوق الله، من الذي يغفر؟ إنه الله عز وجل هو الذي يغفر، أنت لا تعطي الناس كروتاً إلى جهنم والجنة توزع عليهم تقول: أنت يغفر لك وأنت لا يغفر لك، ليست من صلاحياتك.**

**#ذنوب لها فائدة:**

**فإن قال قائل: إذا نظرنا إلى الذنب نجد أن لبعض الذنوب فائدة، فقد يستغرب البعض ويقول: كيف تكون للذنوب فائدة؟ طبعاً أولاً أقول حتى لا يفهم الكلام فهماً خاطئا: كوننا نقول: إن بعض الذنوب لها فائدة، هذا لا يعني أن نفعل الذنوب حتى نحصل على هذه الفائدة، لأن هناك أشياء لا يجوز أصلاً أن يفعلها الإنسان حتى لو ترتب عليها خير، بل إن من فعلها فإنه لن يحصل على خيرها، يعني: إذا فعل شخص الشيء هذا لأجل الخير الذي فيه وهو أصلاً محرم، فربما لا يحصل على الخير أصلا. إن الذنوب تحدث فيها أحياناً أشياء إيجابية في النفس، وهي لا يجوز فعلها، لكنها وقعت، فعند بعض الناس يكون للذنوب أثر إيجابي في النفس، كيف؟ هذا الانكسار الذي يحدث للمذنب التائب العائد إلى الله وليس المتكبر المستهين أصلاً الذي لا يحصل له خير نهائياً، هذا رجل حصل منه الذنب وتاب إلى الله، ماذا يحصل له؟ يحصل له انكسار وذلة وخضوع بين يدي الله ويتخلص من الكبر، بعض الناس يتخلص من الكبر بطريقة عجيبة: فهو إنسان مستقيم ولكن عنده كبر ويرى نفسه أنه أحسن من الناس وأن الناس هؤلاء يذنبون، فهو أحسن منهم، ويتكبر ويتعالى عليهم، وبعد فترة يقع في ذنب هو نفسه يقع في ذنب، فإذا وقع في الذنب يتبين له حقارة نفسه، ويتبين له قيمتها، ويتبين أيضاً أن الشيء الذي كان يذم الناس به ويتعالى عليهم قد وقع هو فيه، فتذهب صفة العجب، أو يكون هذا الذنب فيه علاج لصفة الكبر الذي في نفسه، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجر المسبحين المتفاخرين، أيهم أحب إلى الله شخص مسبح يتعالى ويتفاخر في التسبيح ويرائي به، أم إنسان انكسر بين يدي الله لذنب فعله وهو يئن الآن ويستغيث بالله أن ينجيه من هذا الهم والكرب الذي وقع فيه؟**

**هذا المذنب لعل الله قد أسقاه بهذا الذنب دواءً استخرج به داءً قاتلاً هو فيه ولا يشعر كما قال ابن القيم :**

**وهذا الانكسار بين يدي الله له أهمية عظيمة، ولذلك أنت تجد في حديث (يا بن آدم! مرضت ولم تعدني، قال: يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما إن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما لو عدته لوجدتني عنده) لماذا؟ بينما الجائع والعطشان قال: (لوجدت ذلك عندي) أما عند المريض قال: (لوجدتني عنده) يقول ابن القيم رحمه الله معلقاً:**

**فتأمل هذه اللفظة لماذا؟ للكسرة الحاصلة في نفس المريض من المرض ولو كان أكبر متكبر إذا مرض، يعني: مرضاً شديداً جداً أقعده يحصل عنده نوع من الانكسار، ولذلك تجد الله عند المنكسرة قلوبهم من أجله، وهذا والله أعلم السبب في استجابة دعوة المظلوم والمسافر والصائم، لأن المظلوم انكسرت نفسه بالظلم، والصائم انكسرت نفسه بالجوع، فانكسرت حدة هذه النفس السبعية الغضبية التي لا تشبع، وهذا المسافر انكسرت نفسه بالغربة، ولذلك تجد الله يستجيب دعاء هؤلاء الناس المسافر والصائم والمظلوم، وكذلك المريض. ويقول ابن القيم رحمه الله أيضاً:**

**وقد يكون ذنبٌ عند بعض الناس أعظم أثراً من طاعة، كيف؟ يقول: يعمل الذنب فلا يزال هذا الذنب نصب عينيه، إن قام وإن قعد وإن مشى ذكر ذنبه، فيُحدِث له انكساراً وتوبةً وندماً، فيكون ذلك سبب نجاته وفي المقابل شخص محسن وضع الحسنة أمام عينيه يراها دائماً، يقول: ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه إن قام وإن قعد وإن مشى كلما ذكرها أورثته عجباً، وكبراً ومنةً فتكون سبب هلاكه، فيكون الذنب موجباً لترتب طاعات وحسنات لأنه يرى السيئة أمام عينيه دائماً فيعمل طاعات ويعمل حسنات، ويخاف الله ويستحي منه ويطرق بين يديه منكسراً خجلاً باكياً نادماً مستقبلاً ربه، حتى يقول الشيطان -اسمع هذه الطرفة- يقول ابن القيم رحمه الله:**

**هذا المذنب الذي يضع السيئة أمام عينيه حتى تحدث له كل هذه الأشياء، حتى يقول الشيطان: يا ليتني لم أوقعه فيها، لما يرى من ترتب الحسنات والعودة العظيمة إلى الله، فيندم الشيطان على إيقاعه في الذنب كندامة فاعله على ارتكابه، لكن شتان ما بين الندمين. والذنب أيضاً يحدث الاعتذار إلى الله واللجوء إلى الله ومناجاة الله عز وجل، فلله! ما أحلى قول المذنب في هذه الحالة:**

**أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، أسألك بقوتك وضعفي وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذل لك قلبه. هذه المناجاة التي تحدث عقب الذنب، لأن الإنسان يحس بالخطأ يحس بالندم، فيدفعه إلى هذه الأشياء التي يقبل بها على ربه، وهذا هو موضع الحكاية المشهورة التي جاءت عن بعضهم أنه شرد وأبق من سيده، فرأى في باب السكك باباً قد فتح، وخرج منه صبي يستغيث ويبكي وأمه خلفه تطرده حتى خرج، فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، فذهب الصبي غير بعيد - لاحظ تطابق هذا المثال مع المذنب - فذهب الصبي غير بعيد ثم وقف مفكراً، فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه ولا من يئويه غير والدته، فرجع مكسور القلب حزيناً فوجد الباب مرتجاً مغلقاً فتوسده ووضع خده على عتبة الباب ونام، فخرجت أمه بعد وقت فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه والتزمته تقبله وتبكي وتقول: يا ولدي أين ذهبت عني؟ ومن يئويك سواي؟ ألم أقل لك لا تخالفني ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادة الخير لك؟ ثم أخذته ودخلت. يقول ابن القيم رحمه الله -هذا الرجل العظيم الذي قلما أنتجت الأمة الإسلامية مثله في طب القلوب- يقول:**

**فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم: (لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها) وأين تقع رحمة الوالدة هذه التي في القصة الآن من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟**

**#حكم التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره:**

**قد يسأل بعض الناس يقول: هل تصح التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره، يعني: شخص الآن يشرب الخمر ويزني وهو مصر على شرب الخمر، لكنه امتنع من الزنا وتاب، هل تقبل توبته من الزنا وهو يصر على شرب الخمر؟ قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ساق اختلاف العلماء: والذي عندي في المسألة أن التوبة لا تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من نوعه، وأما التوبة من ذنب مع مباشرة آخر لا تعلق له به ولا هو من نوعه فتصح، كما إذا تاب من الربا ولم يتب من شرب الخمر، فإن توبته من الربا صحيحة، لأن الربا ليس من نوع شرب الخمر، وأما إذا تاب من ربا الفضل وبقي مصراً على ربا النسيئة هل تقبل توبته؟ لأنه ما زال مصراً على نوع آخر من نفس المعصية، أو تاب من تناول الحشيشة -هذا ابن القيم يقول الحشيشة ونحن نقول: المخدرات أيصاً- شخص تاب من المخدرات وأصر على شرب الخمر، فهاتان المعصيتان من نوع واحد أم من نوعين مختلفين؟ فلا تقبل التوبة والحالة هذه، هذا مثل واحد يتوب عن الزنا بامرأة ويصر على الزنا بامرأة أخرى، فنقول: لا، لا ينفع، لأنه ما زال واقعاً في الزنا. وقد يعدل الإنسان عن معصية إلى معصية أخرى لأسباب، فمنها: إما أن يترك معصية ويصر على أخرى، لأن الأخرى وزرها أخف، يقول مثلاًَ: أنا تبت عن الزنا لكن لا أريد أن أتوب عن النظر إلى المسلسلات والصور المحرمة، لماذا؟ يقول: لأن هذه إثمها أقل، لذلك أنا تبت عن هذه، لكن أبقى على هذه. أو لغلبة دواعي الطبع عليه، فهناك شخص مثلاً قد لا يسبل، يترك معصية الإسبال لأنها ليست متعلقة بشهوة كما قال أحدهم، قال: أنا قد أعفي لحيتي وأقصر ثوبي لأني لا أجد فيها مقاومة للنفس، لكن بصراحة لا يمكن أن أترك النظر إلى المرأة الأجنبية، لماذا؟ لأن نفسه تلك ما فيها مقاومة، هذه ليست فيها مقاومة للنفس، فلذلك قد لا يستطيع أن يتركها. وبعض المعاصي أسبابها حاضرة بين يديه فمثلاً يمكن بسهولة أن يضع فيلماً ويشغله ويراه بسهولة، لكن مثلاً المخدرات يقول: كيف أحضرها؟ ومن أين أبحث عنها؟ صعبة!! ولذلك هو يترك ذلك الذنب ويصر على هذا لأن أسباب تحصيل هذا متوفرة، وأسباب تحصيل ذلك الذي تركه صعبة، فمثل هذا لا يكون صادقاً مع الله. أو أن بعض أقران السوء وخلطائه لا يدعونه يتوب من المعصية، لماذا؟ لأنه قد يترك جاهه، فقد يكون مترئساً مجموعة يفعلون فعلاً، أو هو الذي يجلب لهم المنكر الذي يقارفونه، وهذا موجود، فهو الآن عندهم زعيم عظيم ووجيه، لو تاب فقد الزعامة، فبعض الناس يحب الرئاسة بأي طريقة حتى لو بحصب جهنم، المهم أن يكون هو الذي ينظر إليه، فمثل هذا مثل أبي نواس الشاعر الفاجر الذي نصحه أبو العتاهية ولامه على تهتكه في المعاصي، فقال أبو نواس :**

**أتراني يا عتاهـي تاركاً تلك المـلاهي \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\* أتراني مفسداً بالنـ سك عند القوم جاهي**

**#رجوع التائب من المعصية إلى منزلته التي كان عليها قبل المعصية :**

**بعض الناس يفكر إذا تاب الآن هل يرجع أحسن مما كان عند الله أم أقل مما كان أم مثل ما كان، هذه المسألة ذكر فيها بعض أهل العلم أقوالاً، ولكن ابن القيم رحمه الله** **يقول: الصحيح التفصيل وهو ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إن من التائبين من لا يعود إلى درجته قبل الذنب، ومنهم من يعود إلى نفس الدرجة، ومنهم من يعود إلى درجة أعلى، وذلك بحسب الهمة، لو أن واحداً كان بمستوى معين من الطاعة، ثم أذنب وتاب، وهذه التوبة دفعته إلى مزيد من الأعمال أكثر من الأول، فإنه يرجع إلى درجة أعلى، وآخر تاب لكنه رجع إلى نفس المستوى من الطاعة، محت التوبة الذنب فاستمر على نفس الدرجة، وثالث تاب لكن الذنب شرخ شرخاً قلل الطاعة عنده فهو الآن يرجع إلى مستوى أقل مما كان عليه قبل الذنب، وداود عليه السلام رجع بعد التوبة إلى منـزلة أعلى من منـزلته قبلها لأن توبته كانت عظيمة. بعض الناس يتوبون -وهذه مسألة مهمة نتيجة عبادة من العبادات مؤقتة أو حدث معين، بعض الناس يذهب إلى الحج أو العمرة ويرجع متغيراً، تاب إلى الله وتجده الآن قد تحسن مظهره وتغير شكله، أو شخص أصابه حادث سيارة ونجا منه، طبعاً رق قلبه للحادث وكيف حصل وكيف أنجاه الله، فتحسنت أحواله والتزم بطاعة الله، أو مثلاً مرض مرضاً شديداً ثم شفي منه، تجد بعض الناس يتحسنون، لكن لا يستغلون هذا التحسن في تنمية إيمانهم والمزيد من العبادات، يبقى على حاله حتى يخف تدريجياً مع الزمن حتى يعود كما كان، ولذلك لابد من استغلال هذه الأشياء.**

**#أنواع غير مقبولة من التوبة:**

**أحياناً بعض أنواع من التوبة ليست صادقة ولا مقبولة، مثل شخص أحس أن الذنوب ستؤثر على جاهه وسمعته بين الناس وربما طرد من وظيفته، شخص يشرب الخمر ويسكر ويسكر، فقد يطرد من العمل، يأتي متأخراً جداً غير صاح، وتؤثر على عمله وعلى وظيفته، فترك الخمر لا لله، لكن حفاظاً على الوظيفة، هل توبته صحيحة؟ رجل تاب لحفظ حاله وقوته، شخص ترك الزنا مثلاً واللواط خشية مرض الإيدز والهيربس، ليس خشيةً لله، هل توبته صحيحة؟ فكر يجب أن يكون الدافع للتوبة لله لا خشية الأشياء الدنيوية. شخص ذهب ليسرق بيتاً، فلم يجد منفذاً، ووجد سيارة الشرطة، فخاف ورجع، هل توبته صحيحة؟ إنسان جاء شخص يعطيه رشوة فامتنع عن هذه الرشوة، لماذا؟ قال: أخاف أن يكون هذا المال الذي يعطيني الرجل من هيئة مكافحة الرشاوي والفساد الإداري، ولذلك أنا لا آخذ الرشوة، فهو ما ترك أخذ الرشوة لله وإنما خشية من هيئة مكافة الرشاوي، ولذلك يا جماعة يركز المسئولون الصالحون دائماً على قضية الرقابة الذاتية لأنها هي التي تكفل استقامة الناس. لو أن بعض الناس مثلاً يتوبون إلى الله بعد حصول شيء عندهم يفقدهم القدرة عن المعصية، فشخص كاذب أصيب بشلل في لسانه، ما عاد يستطيع أن يتكلم ولا يكذب، أو زان فقد القدرة على الوقاع، أو سارق فقد أطرافه في حادث، الصحيح أن هؤلاء إذا تابوا إلى الله توبة صحيحة أنها تقبل إذا تابوا لله ليس لأنه مجرد فقد الأدوات، تاب لله، فتوبته إن شاء الله صحيحة.**

**#تذكرة للمشتاقين إلى التوبة :**

**نختم هذا الكلام بتذكرة إلى الذين كانوا في يوم من الأيام مستقيمين على طاعة الله فانحرفوا وتلوثوا بالمعاصي فرجعوا إلى أنفسهم رجعةً تذكروا فيها جمال الماضي وحلاوة الإيمان التي سلبوها، فتشوقت أنفسهم للرجوع، إلى هؤلاء الناس الذين كانوا مستقيمين ثم فعلوا أشياء وهم يتوقون للعودة إلى الماضي وربما لا يعودون لأسباب، وهذا الموضوع بالذات قضية الانتكاس وظروفه ما هي الأسباب والعلاج وحال الناكص على عقبيه قد ذكرناها في محاضرة منفصلة بعنوان: لا ترتدوا على أدباركم. إلى هذا الشخص نقول هذا الكلام الذي ذكره ابن القيم رحمه الله: وصاحب هذا المشهد يشهد نفسه كرجل كان في كنف أبيه يغذيه بأطيب الطعام والشراب، ويلبسه أحسن الثياب، ويربيه أحسن التربية ويعطيه النفقة وهو القيم بمصالحه كلها، فبعثه أبوه في حاجة له -الأب بعث الابن في حاجة له- فخرج عليه -على الولد- في طريقه عدو فأسره وكتفه وشد وثاقه، ثم ذهب به إلى بلاد الأعداء فسامه سوء العذاب وعامله بضد ما كان أبوه يعامله به، فهو يتذكر تربية والده وإحسانه إليه الفينة بعد الفينة فتهيج في قلبه لواعج الحسرات كلما رأى حاله، ويتذكر ما كان عليه وكل ما كان فيه، فبينما هو في أسر عدوه يسومه سوء العذاب ويريد ذبحه في نهاية المطاف إذ حانت منه التفاتة نحو ديار أبيه، فرأى أباه منه قريباً، فسعى إليه وألقى نفسه عليه وانطرح بين يديه يستغيث: يا أبتاه! يا أبتاه! يا أبتاه! انظر إلى ولدك وما هو فيه ودموعه تسيل على خديه، قد اعتقنه والتزمه، وعدوه في طلبه حتى وقف على رأسه، وهو ملتزم لوالده ممسك به، فهل تقول إن والده يسلمه مع هذه الحالة إلى عدوه مرةً أخرى ويخلي بينه وبينه؟ -تظنون هذا يا جماعة؟- فما الظن بمن هو أرحم بعبده من الوالد بولده ومن الوالدة بولدها؟ إذا فرَّ عبدٌ إليه وهرب من عدوه إليه. شخص يكون ماشياً في طريق الاستقامة ويأتي الشيطان ويستحوذ عليه ويحرفه عن سبيل الله، ثم يبصر طريق الهداية مرة أخرى يريد أن يرجع، فإذا رجع إلى الله رجع صادقاً وصحيحاً، تظنون أن الله يسلمه إلى الشيطان مرة أخرى إذا كان صادقاً. إذا فرَّ عبدٌ إليه وهرب من عدوه إليه وألقى بنفسه طريحاً ببابه يمرغ خده في ثرى أعتابه باكياً بين يديه يقول: يا رب! يا رب ارحم من لا راحم له سواك، ولا ناصر له سواك، ولا مؤوي له سواك، ولا مغيث له سواك، مسكينك وفقيرك وسائلك ومؤملك، لا ملجأ له ولا منجى منك إلا إليك، أنت معاده وبك ملاذه :**

**يا من ألوذ به فيما أؤمـله\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*ومـن أعــوذ بـه ممـا أحـاذره لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره \*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*\*ولا يهيضون عظماً أنت جابره**

**إذا خاف الواحد من أحد من البشر فإنه يهرب منه، لكن أنت إذا خفت الله تذهب إلى من؟ ترجع إليه وهو الذي خفت منه، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، اللهم إنا نسألك أن تغفر لنا وترحمنا، وأن ترزقنا التوبة النصوح، وأن تعفو عنا، وأن تتجاوز عن سيئاتنا بمنك ورحمتك يا أرحم الراحمين**

**#الجهل بالأحكام من معوقات التوبة :**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد. هذا الدرس الذي اقترح عنوانه بعض الإخوان "أريد أن أتوب ولكن" أساس الدرس الكلام على العوائق التي تحول بين بعض الناس وبين التوبة، يعني: يقول: أريد أن أتوب ولكن كيف يغفر الله هذه الذنوب كلها؟ أريد أن أتوب ولكن أصدقاء السوء لا يدعوني سيشهرون بي، أريد أن أتوب ولكن لا أعرف كيف أتوب؟ أنا تركت صلوات وتركت زكاة وتركت كذا، وسرقت مالاً وعندي أموال ربوية، لا أعرف كيف أتوب. فإذاً: نحن -أيها الإخوة- ركزنا أصلاً في الدرس حول هذه النقاط التي هي تشكل عقبة في طريق التائبين، أو أمور تزيل ذلك الحرج الذي لا يجعل الشخص ينتج في المجتمع المسلم نتيجة الكابوس الذي يبقى فوق رأسه، وقبل أن نبدأ بأسئلتكم، وأنا لا أنوي الإطالة بالأسئلة حتى لا يحصل الملل أكثر مما حصل. أريد أن أذكر بعض الأحكام قبل أن تأتي الأسئلة لأن الأحكام التي سنذكرها ربما تجيب أصلاً عن بعض الأسئلة المطروحة، وهذه الإجابات على هذه الأسئلة قد جمعتها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم وبعض الأشياء سألت فيها الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، والشيخ عبد الله بن جبرين .**

**#أحكام توبة تارك الصلاة أو الصيام:**

**بعض الناس يحول بينهم وبين التوبة عدم معرفتهم بالأحكام فمثلاً: رجلٌ كان تاركاً للصلاة ثم اهتدى، ماذا يفعل بصلواته الماضية؟ هذه المسألة فيها نزاعٌ بين أهل العلم، والأرجح والله أعلم أنه لا يلزمه القضاء ولكنه يكثر من التوبة والاستغفار وصلوات النوافل لعلها تعوضه عما فاته، لأن الوقت لا يمكن إرجاعه مرة أخرى وهذا ليس معذوراً كالنائم والناسي، الخلاف طويل، هذا الملخص فقط. أو كذلك رجل ترك الطمأنينة في الصلاة، رجل صلاته كنقر الغراب، ثم تاب إلى الله وعرف أن الطمأنينة ركن كيف يفعل؟ استدلالاً بحديث المسيء صلاته لا يجب عليه أن يعيد وإنما يستأنف الآن الصلاة بطمأنينة. ورجل ترك الصيام، هذا الرجل إن كان تركه للصيام حاصلاً وهو يصلي ولم يرتكب مكفراً، يعني: ترك الصيام ولم يزل مسلماً، فهذا عليه أن يقضيه الآن، يقضي الصيام الماضي الذي تركه، أما إذا كان أصلاً كافراً مستهزئاً بالدين مرتداً عن الإسلام تاركاً للصلاة بالكلية، فهذا لا يؤمر بإعادة الصيام لأنه كان عند تركه للصيام كافراً، والرسول صلى الله عليه وسلم ما طلب من الصحابة الذين أسلموا أن يعيدوا الصيام الذي فاتهم مثلاً، وكذلك الزكاة، ولكن نضرب مثالاً بمسألة تحصل ويسأل عنها بعض النساء، تقول المرأة مثلاً: أنا عندما بلغت لم أخبر أحداً ببلوغي لأني خجلت ممن حولي، وتظاهرت بالإفطار وأفطرت حتى لا يحسوا بأنها قد بلغت لأنه أمرٌ مخزٍ عندها، وما أعلمتهم وتركت الصيام، وبعد مرور سنوات طويلة تقول: ماذا أفعل بصيامي الذي تركته، فالجواب: إن توبتها إلى الله عز وجل تقضي بأن تصوم هذه المرأة ما فاتها من الأيام في بداية بلوغها أو بعده مثلاً: تركت الصيام سنتين فتصوم شهرين، فهذه تصوم أيام الحيض التي تقضيها أصلاً [كنا نؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة] تصوم أيام الحيض وغيرها، يعني: تصوم الشهر كاملاً الذي تركته، وإن كانت صامت بعضاً وأفطرت بعضاً، فإنها تصوم ما فاتها منها. ولكن إذا أخرت ذلك الصيام حتى جاء رمضان الذي بعده ولما تقضه بعد، فعليها بالإضافة إلى قضاء الصيام إطعام مسكين عن كل يوم، يقول الشيخ عبد العزيز : وهذه فتوى ستة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم أن من أخر صيام رمضان حتى دخل رمضان الذي بعده، فإن عليه بالإضافة إلى قضاء الصيام إطعام مسكين عن كل يوم أخره من رمضان هذا إلى الذي بعده، وقد يقول قائل: أنا مر علي عشرون رمضاناً، ولم أصم منها إلا ثلاثة، فهل تتضاعف الكفارة؟ فنقول: لا. كما أجاب عن ذلك أهل العلم، لا تتضاعف الكفارة، تقضي ما فاتك في الماضي وتطعم عن كل يومٍ مسكيناً.**

**#أحكام التوبة المتعلقة بالزكاة:**

**بالنسبة للزكاة، إن كان قد ترك الزكاة وهو مسلم أو ترك بعضها، أو مثلما يفعل بعض الناس الآن، يأتي على الزكاة يأخذ من عرض ماله عشرين ألفاً وعنده ملايين الملايين، ربما تكون الزكاة مليوناً، لكن هذا الرجل مستهتر بالزكاة عد عشرين ألفاً وأخرجها زكاة، وعليه أكثر من ذلك، فعليه أن يقدر كم الذي تركه من الزكاة وهو الآن يتوب إلى الله، كم الذي تركه من الزكاة فيخرجه، باقٍ في ذمته دين عليه لله عز وجل. امرأة تركت زكاة ذهب الحلي، فيقول الشيخ عبد العزيز حفظه الله: إن كانت تركته لشبهة كأن تركتها لعلمها أنه لا زكاة فيه، كانت مقتنعة من قبل أنه لا زكاة فيه، فهذه ليس عليها إعادة إخراجها للشبهة التي حصلت عندها في الحكم، لكن لما تغيرت قناعتها وعرفت بالدليل على وجوب الزكاة في الحلي، فإنه يجب من عند تلك اللحظة أن تخرج الزكاة التي عليها ولو لسنوات مضت تقدرها تقديراً إن استحال تعيين المبلغ.**

**#توبة أهل الأفكار المنحرفة:**

**فبعض الناس الآن يتوبون وقد نشروا بين الناس أفكاراً ضالة، كرجل علماني أو رجل مخرف في العقيدة أو حامل لواء بدعة يضل الناس، أو رجل يكتب قصصاً لكنها سم ضد الدين أو يؤلف الأشعار وينظم الأشعار الساقطة مثلاً، هذا الرجل إذا هداه الله عز وجل ماذا يفعل؟ يقول الله عز وجل: إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا [البقرة:160] فلا تكفيه التوبة المجردة وإنما يجب أن يزيد عليها تبرؤه مما فعل في الماضي، يعلن للناس الذين أعلن لهم الشرك والكفر والبدعة والفساد يعلن لهم أنه قد تاب منها وأنه بريءٌ من كل ما كتب في الماضي، وليس ذلك فقط، بل إنه يرد على نفسه، يعني: يقول: أنا قلت كذا وأحذركم إن كلامي كان خطأ ضد الدين، أو أني زللت فيه في النقطة الفلانية والفلانية والفلانية، والرد عليها إن كان قد أثار في كتبه شبهات، بعض الناس يؤلفون كتباً فيها شبهات تطعن في الدين، فلو تاب إلى الله عليه أن يؤلف أو ينشر في أي مكان آخر ما يصل إلى الناس الذين قرءوا الكلام الأول على الأقل بغلبة الظن يرد على الشبهات التي سبق أن طرحها حتى تكتمل توبته. وقضية البيان مهمة، وبها نرد على من قال: إن ابن سينا الملحد تاب -طبعاً هناك أناس أصلاً لا يعرفون أنه ملحد- لكن إذا قال شخص: ابن سينا تاب، كيف ندري أنه تاب؟ وطه حسين عميد الأدب العربي -أستغفر الله، عميد قلة الأدب العربي- تاب، كيف نعرف ذلك؟ هل قدم لنا شيئاً مكتوباً أنه تاب، هل كتب شيئاً نقض فيه ما كان يعتقده وينشره بين الناس، وأن يسخر قلمه هذا من كمال التوبة، وأن يسخر قلمه لنصرة هذا الدين والرد على أعداء الله وعلى شبه الكفار والملاحدة، وأنه لو كان نشر في الرذيلة فيكتب الآن في الفضيلة، ولو نشر في البدعة فيكتب الآن في السنة، ولو نشر في الشرك فيكتب الآن في التوحيد وغيره، لكن هذه بالتركيز لأنه كان قد قصدها في الماضي، هذا من كمال توبته، ولو أن إنساناً ضلل شخصاً آخر مثلاً: أقنعه باللواط والعياذ بالله، أو بمقدماته، قال: هذه لا شيء فيها، فذاك المسكين كان قد غرر به، يجب عليه أن يبين له: يا أخي ما قلته لك سابقاً خطأ وكان من الشيطان، وأنا أستغفر الله منه وهذا حرام، وهذه لا تجوز، لأنه كان قد ضلله، إذا لم ينتبه الشخص الآن ولم تتغير الفكرة لديه وما زالت في ذهنه أنها ليس فيها شيء وأنه شيء شرعي مثلاً، فعليه عليه أن يبين له ما قد أقنعه به في الماضي.**

**#أحكام التوبة من جريمة القذف:**

**ومن ذلك أيضاً في قضية التبيين يلتحق بها القاذف، فإذا قذف شخص شخصاً مثلاً بالفاحشة بالزنا وذلك المقذوف بريء، فإن عليه الآن أن يبين أن ذلك المقذوف بريء، وليس مجرد أن يستغفر الله ويتعرف بأن القذف حرام، بل إن عليه أن يبين سلامة ذلك الشخص مما قذفه به، وأن يكذب ما قاله عنه، يقول: يا جماعة أنا رميت فلاناً بكذا وأنا أشهدكم أنه بريء وأني كذبت عليه وأن الشيطان أزلني وأنا أستغفر الله، فيبين براءة الشخص. وأحياناً تجد من يفتري على إنسان مستقيم فيقول: هذا يفرق صفوف المسلمين، هذا صاحب بدعة -أي تهمة من التهم- فإذا أراد أن يتوب إلى الله عليه أن يبين، يقول: لا يا جماعة، أنا كنت قد رميته بأنه يفرق صفوف المسلمين كلا، إنه يجمعها، رميته بأنه مبتدع، كلا. إنه صاحب سنة، قلت إنه كذاب، لا، إنه صادق، أو إني لا أعرف حاله أنا افتريت عليه، عليه أن يبين، لاحظوا هذه الأشياء قد يقع فيها طائفة من الناس الذين ظاهرهم الاستقامة، بل وحتى الدعوة إلى الله عليهم أن ينتبهوا إلى كيفية التوبة من هذه الأشياء وهذه قضية خطيرة وحساسة. وكذلك إذا كان الذنب في حق آدمي مثل القذف الذي بدأنا به الآن، أو الاتهام بأشياء باطلة سواء رجل اتهم امرأة، أحياناً يتهم امرأة يقول: فلانة فيها كذا، فلانة كذا، يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، فعليه أن يتوب إلى الله وأن يبين سلامة تلك المرأة من القذف الذي قذفها به، أو امرأة كذبت على رجل، فتبين سلامة الرجل، أو أن شخصاً شكك في شخص ليس بناءً على أشياء محسوسة وواقعية، فعليه الآن أن يبين: يا جماعة أنا شككت فيه عن هوى، عن تسويل الشيطان، وليس عندي في الحقيقة مستند لظن السوء.**

**#أحكام التوبة من انتهاك الأعراض:**

**فإذا كانت السيئة في حق الآدمي فيجب على التائب أن يخرجها من نفسه بأدائها إلى المظلوم، أو باستحلاله منها على الأقل بعد إعلامه بها، فإن كانت حقاً مالياً أو جناية على بدنه فيجب عليه أن يتحلل من أخيه المسلم الذي ظلمه؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح: (من كان لأخيه عنده مظلمة من مال أو عرض فليتحلله اليوم قبل ألا يكون دينارٌ ولا درهم إلا الحسنات والسيئات). فإذاً: حقوق الآدميين إما في العرض أو في المال، فيجب عليه أن يتحلل منهم. وهناك أشياء تتعلق بالعرض فلو أن رجلاً زنى أو فعل الفاحشة بشخص ويريد الآن أن يتوب، فإن كان الشخص المقابل راضياً فلا يتحلل منه لأنه راض وتكفيه توبته فقط، أما إن كان مغصوباً فيجب عليه أن يتحلل منه بطريقة لا تؤدي إلى المفسدة، فقد يقول تائب: أنا غصبت امرأة مثلاً، فهل أتحلل منها بأن أكلمها وأراسلها حتى أتحلل منها؟ وقد أقع فيها، نقول: لا. إذا كنت ستقع لا تطرق هذا الباب، فهذه المسألة فيها حساسيات معينة، وفيها إحراجات كثيرة، ولذلك لا أرى الآن من المناسب أن أطرح هذا الموضوع وأتوسع فيه لأنه غير مناسب، فالمسألة فيها أشياء، وقد يخون شخص جاره في زوجته، فهل يذهب إلى الجار ويكلم المرأة، ماذا تفعل مع زوجها؟ هذه مشكلة المعاصي والفواحش، وبعد هذا تصبح مشكلة كبيرة جداً، ولذلك الذي عنده سؤال خاص بهذا الموضوع، فعليه أن يسأل أهل العلم عن هذه الجزئية في الموضوع، لأن هذه ستدور في الأذهان كيف أفعل؟ ماذا أقول؟ كيف أعمل؟ إنما أكتفي بما قلت فيكفي التوبة بينه وبين الله، يتوب إلى الله عز وجل ويستقيم. وأما إن كانت المعصية في غيبة أو نميمة، يعني: في العرض أيضاً فحصل أيضاً خلاف بين أهل العلم في المسألة هل يجب عليه أن يخبره أم لا؟ وحتى لا نطيل فالقول الوسط كما ذكر شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله: لا يشترط الإعلام بما ناله في عرضه من قذف واغتياب، بل يكفي توبته بينه وبين الله، وأن يذكر المغتاب والمقذوف في مواضع غيبته وقذفه بضد ما ذكره به من الغيبة، فيبدل بغيبته مدحاً وثناءً عليه وذكراً لمحاسنه، ويبدل قذفه للشخص الآخر بذكر عفته وإحصانه ويستغفر له بقدر ما اغتابه وهذا اختيار شيخنا أبي العباس ابن تيمية رحمه الله؛ لأن إعلام الشخص بالغيبة والنميمة والقذف الذي فعلته في حقه وفي عرضه إذا جئت وعلمته بالمسألة قلت: فعلت كذا وقلت عليك كذا وكذا، فإنها مفسدة محضة لا تتضمن مصلحة، فإنه لا يزيده إلا أذى وحنقاً وغماً، وقد كان مستريحاً قبل سماعه، فإذا سمعه ربما لم يصبر على حمله، وربما كان إعلامه به سبباً للعداوة، فلا يصفو له أبداً، وينتج عنه شر أكبر من الغيبة نفسها، ويوجد التقاطع بين المسلمين. خلاصة المسألة: إذا كنت تظن أنك إذا أخبرت الشخص أنك قلت عنه كذا وكذا وكذا، فتزيد الأمور تعقيداً وسوءاً فلا تفعل، أما إذا كنت تعتقد أنه من النوع المتسامح، أنه لن يأخذ في نفسه، فقل له: يا أخي! أنا أخطأت عليك -بكلام عام- سامحني! وإذا عرفت أنه يقول: ما هو الكلام بالضبط، وقد إذا قلته وأخبرته بالتفصيل تتفاعل المسألة في نفسه وتقع العداوة، فلا يجب عليك إخباره ولكن تجب عليك أشياء أخرى، أن تذكره بضد ما اغتبته فيه، وأن تدافع عنه في المجالس التي يغتاب فيها وأن تستغفر له، وأن تبين محاسنه، وبهذا تكون قد استكملت توبتك من الغيبة أو القذف**

**#كيفية التحلل فيما يتعلق بالأموال والجنايات:**

**أما بالنسبة للأشياء المالية والجنايات البدنية فهناك فرق بينها وبين الغيبة لأن الحقوق المالية والجنايات البدنية ينتفع بها صاحبها إذا أخبرته عنها، فلا يجوز إخفاؤها عنه ويجب أداؤها إليه بخلاف الغيبة والقذف، فإنه ليس هناك شيء ينفعه يؤديه إليه إلى الإضرار والتهييج، والشيء الثاني: إذا أعلمت شخصاً أنك سرقت منه مثلاً ولم تؤذه وتجرح شعوره وتسبب غضباً وعداوة، بل ربما سره ذلك في الغالب، ينبسط أنك الآن اعترفت له، وبالنسبة لقضية الجنايات نبدأ الآن نفصل في قضايا الجنايات والأموال: بالنسبة للجنايات لو جنيت على شخص مثلاً: قتلت إنساناً وهربت ولم يقبض عليك ويقتص منك، هربت أنت وأخفيت أثر الجريمة، فالآن القاتل يتعلق عليه ثلاثة حقوق: الأول: حق لله. الثاني: وحق للقتيل. الثالث: وحق لورثة القتيل. فأما حق الله فبالتوبة، إذا تبت إلى الله قضي عنك حق الله، وأما بالنسبة للورثة فإنك يجب عليك أن تسلم نفسك إليهم لأن لهم حقاً وهم يستوفون حقهم منك إما بالمال (الدية) أو بالعفو مجاناً يطلقونك لوجه الله، أو يقولون: لابد لنا من القصاص، لابد أن نقتص منك وتقتل أنت لأنك قتلت صاحبنا، فحق الورثة لا يسقط إلا إذا سلم نفسه إليهم وهم الآن بالخيار إما أن يعفوا عنه مجاناً، أو يأخذوا منه مالاً، أو أن يطلبوا القصاص، وبقي حق القتيل، حق القتيل كيف تقضيه؟ لا يمكن، ولذلك حصل خلاف بين العلماء في هذه المسألة، الأوسط فيها أن الإنسان القاتل إذا تاب إلى الله توبة صادقة صحيحة فإن الله يتحمل عنه حق القتيل ويعطي القتيل في الآخرة من الحسنات أو من العوض ما يعوضه عن حقه على القاتل، هذه رحمة الله عز وجل**

**#إرجاع الأموال المسروقة:**

**فإذا سرق شخص عليه أن يرد المسروق، فلو جاء وأخبر الشخص أنه قد سرق منه، قال: وهذا المال الذي أنا سرقته منك، فلو كان المال قد تلف، وليس عنده الآن مالٌ يعطيه إياه، شخص سرق وسرق وسرق وأتلفها وبذرها وأفلس، والآن أراد أن يتوب، فعليه أن يتحلل من المسروق منه، يذهب إليه يقول: يا فلان! يا مديري! يا رئيس الشركة! أنا سرقت منك، يقول ذلك بأسلوب معين، مثلاً يقول: الشيطان وكذا ونفسي الأمارة بالسوء أخذت منك أموالاً بغير علمك، تحللني؟ فإن حلله فالحمد لله، وإذا لم يحلله فتبقى هذه الأموال ديناً في ذمته، فإذا فتح الله عليه وأغناه الله يعيدها إليه مع الأيام. قد يقول بعض الناس: أنا أتحرج، أنا عندي المسروق، عندي المبلغ لكن أتحرج أن أرده إلى المسروق منه، فقد يسأل شخص سؤال يقول: أنا كنت أسرق من جيب أبي، وأنا الآن كبرت وأنا موظف وعندي مال، لكن من الصعب أن أذهب إلى أبي، وأقول: يا أبي أنا كنت أسرق منك، أو مثلاً: موظف في شركة يستحي أن يقول لمدير الشركة: أنا قد سرقت من الشركة، فكيف هذا؟ فيقول أهل العلم: لا يجب عليه الذهاب والمصارحة وإنما يرده إليهم بطريقة حتى لو لم يعلموا، مثلاً: يذهب إلى جيب أبيه فيضع فيه المبلغ الذي سرقه ولو أراد أن يضعه على مراحل حتى لا يكتشفه الأب فهذا ممكن، أو مثلاً: يذهب إلى الشركة يقول: إن فلاناً واحد من الناس لا يريد ذكر اسمه -وهو يعني نفسه- قد سرق منكم والمبلغ هذا وأنا الآن أرده بالنيابة عنه، أو إنه أعطاني إياه لأرده إليكم، فخذوه، أو أرسله بظرف مختوم، أو أي شيء آخر بطريقة من الطرق فهذا حسن، إذا كان لا يستطيع أن يقول لهم: سرقت منكم، فالمهم الآن هو إرجاع الحق لأصحابه، أو مثلاً: شركة مساهمة، كيف يذهب ويدور على المساهمين يعتذر منهم واحداً واحداً؟ هذا أمر صعب، فالمهم الآن أن يرجع المال المسروق إلى الشركة بطريقة من الطرق. ولو غصب مالاً، شخص غصب مال أيتام وأخذه بالقوة فاتجر به وربح ونما المال، فماذا عليه؟ بعض العلماء يقولون: النماء للمالك الأصلي، وبعضهم يقولون: النماء للمنمي (السارق) وبعضهم يقول وهو القول الوسط: رأس المال يعني: المبلغ المسروق أو المغصوب الأصلي يرجع لصحابه مع نصف الأرباح، وهو يأخذ النصف الآخر، الغاصب يأخذ نصف النماء أو نصف الأرباح ويرجع رأس المال مع نصف الأرباح ونصف النماء إلى صاحب المال الأصلي للتوبة، وهو رواية عن أحمد واختيار شيخنا رحمه الله يعني: يقصد ابن تيمية ، وهو أصح الأقوال. وهذا مثل شخص غصب ناقة أو غصب شاة فأنتجت أولاداً فإنه يردها ونصف أولادها إلى صاحب المال الأصلي، لو ماتت هذه المغصوبة مثلاً الناقة أو الشاة، فيدفع ثمنها مع نصف النتاج إلى صاحب المال الأصلي، وهذا أيضاً ما ذكره الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله في هذه المسألة، يرجع أصل المال ونصف النماء. وإذا ما وجد الرجل صاحب الشركة أو الرجل المغصوب قد مات، فهذه الأموال لمن ترجع؟ترجع إلى الورثة، وإن مات الورثة فإلى ورثتهم، فالحق باقٍ. (1)**

**# رد البلاء بالاستغفار (2)**

**الاستغفار في القرآن الكريم على وجهين :**

**أحدهما نفس الاستغفار، ومنه في سورة هو : " وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ " (سورة هود : 90 ) .**

**وفي سورة يوسف : " وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ " (سورة يوسف : 29) .**

**وفي سورة نوح : " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ "(سورة نوح : 10 ) .**

**والثاني : الصلاة ومنه سورة آل عمران : " وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ " (سورة آل عمران : 17 ).**

**وفي سورة الأنفال : " وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (سورة الأنفال : 33)، وفي سورة الذاريات : " وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (سورة الداريات : 18 ) ، وقد ذهب إلى أن الآية التي في سورة هود والتي في سورة نوح بمعنى التوحيد.**

**" الاستغفار في البيان الإلهي "**

**أمر الله –عز وجل- عباده بالاستغفار وحثهم عليه ووعدهم على ذلك بالمغفرة والثواب العظيم، والعطاء الجزيل، ومن أصدق من الله قيلا نذكر منها ما يلي :**

**\* قال تعالى : " غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ " (سورة غافر : 3 )**

**والمعنى :**

**الله غافر ذنوب المستغفرين، وقابل توبة التائبين، الذي يرحم المنيبين، وهو شديد العقاب على من تجاوز حدوده واستهان بأمره وأصر على ذنبه، وهو صاحب التفضل على العباد وصاحب الإنعام على الخليقة، لا معبود بحق سواه ولا إله غيره، ولا شريك له، إليه يعود الخلق لإحقاق الحق ومجازاة كل بما يستحق .**

**\*وقال تعالى: "فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ"(سورة غافر : 55 ).**

**والمعنى :**

**أيها الرسول أصبر على تكذيب الكفار وأذى الفجار، فإن الله وعدك بالنصر والتمكين والرفعة، وهو –سبحانه- لا يخلف ما وعد، بل يُنجزه لك وقد حصل هذا، وعليك بالاستغفار من الذنوب، فبالاستغفار تنال رضى الواحد القهار وتنجو من الأخطار، ونزِّه ربك ومجِّده بالتسبيح الذي تنفي فيه النقص عن الله المقرون بالحمد الذي هو إثبات الكمال له سبحانه في كل مساء وكل صباح .**

**\* وقال تعالى : " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ " (سورة محمد : 19 ) الشرح :**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)الأنترنت – موقع كلمات**

**(2) لمصطفى شيخ إبراهيم حقى – الأنترنت – موقع الكلم الطيب**

**فاعلم – أيها الرسول - أنه لا يستحق العبادة إلا الله، وأنه لا شريك له، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات، والله يعلم حركتكم بالنهار في الأعمال، واستقراركم بالليل للراحة من الأشغال، وفي الآية الجمع بين التوحيد والاستغفار والعلم والعمل .**

**\* وقال تعالى: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"(سورة آل عمران : 133 ) الشرح :**

**بادروا –أيها المؤمنون- وعجلوا- أيها المتقون- ما يوجب لكم مغفرة ربكم وما تستحقون به دخول جنة مولاكم إلى جنة عرضها عرض السموات والأرض، والفوز برضوانه ونيل النعيم الذي أعده لأوليائه، وذلك بفعل الطاعات وترك المحرمات، فإن من عمل صالحا وأكل حلالا وقال خيرا، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وسابق في الخيرات استحق أن يتجاوز الله –عز وجل- عن سيئاته، وأن يُعظم حسناته، ويرفع درجاته في جناته .**

**\* وقال تعالى : " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (سورة آل عمران : 135 ) .**

**والمعنى :**

**ومن صفات هؤلاء المتقين أنهم إذا ارتكبوا كبيرة أو اقترفوا جريرة وظلموا أنفسهم باعتدائهم على غيرهم، عادوا إلى ربهم سبحانه فتذكروا عقابه وما أعد لمن عصاه فاستغفروا الله من الخطيئة، وسألوه المغفرة، وندموا على ما فعلوا، وتأسفوا عمَّا اقترفوا، وعلموا أنه لا يغفر الذنب، ولا يتجاوز عن الخطأ، ولا يعفو عن السيئة إلا الله الواحد الأحد، ولم يداوموا على هذه المعاصي، ولا يَلِجوا في الخطأ، ولا يستمروا على الذنب، ولا ينهمكوا في الإجرام، بل أصبح عندهم من القلق والاضطراب والأسف والندم على ما فعلوا ما يوجب معرفتهم بقبح الذنب، ويعلمهم أنه يجب عليهم التوبة، ويعلمهم أن الله يغفر الذنوب جميعا، فيحملهم ذلك على التوبة والاستغفار والمبادرة إلى طلب العفو من العزيز الغفار .**

**\* وقال تعالى : " وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا " (سورة النساء : 106 ) .**

**والمعنى :**

**وعليك أن تستغفر ربك إن كنت هممت أن تُدافع عن خائن أو تجادل عن منافق، فإن الله –سبحانه وتعالى- يتجاوز عن خطئك، ويغفر لك ويرحمك، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، وفيه أن من وقع منه مثل هذه النية، فعليه أن يستغفر ربه ويتوب إليه جل في علاه .**

**\*وقال تعالى: "وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا"(سورة النساء : 110 ).**

**والمعنى :**

**ولكن المسلم إذا وقع منه السوء وظلم نفسه بارتكاب معصية، ثم ندم واستغفر وأناب وتأسف على ما فعل وعاد إلى ربه بطلبه الغفران منه يجد ربه كريما، فإن الله أكرم من العبد، رحيم يتجاوز عنه ويقابل الإساءة بالإحسان، والمعصية بالغفران، ويتغمده بالرضوان، ويسكنه الجنان، فلا أحسن من التوبة إلى الله، ولا من استغفاره جل في علاه .**

**والآيات في الاستغفار كثيرة ومعروفة فقط أوردنا بعض الآيات مع الشرح .(1)**

**#" الاستغفار في البيان النبوي "**

**ومن الأحاديث الواردة في الاستغفار حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستغفر ربه ويتوب إليه ويتضرع بين يديه امتثالا لأمر الغفار –عز وجل- في قوله : " فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا " (سورة النصر : 3 ) فعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» (رواه البخاري) .**

**\* وروي في سنن أبي داود والترمذي عن ابن مسعود –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قال : استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غُفرت ذنوبه وإن كان قد فرَّ من الزحف» (قال الحاكم : حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم) .**

**\* وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم» (رواه مسلم) .**

**\* وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة –رضي الله عنها- : «إن كنت أَلممت فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب، تاب الله عليه» (رواه البخاري) .**

**\* وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «خيار أمتي الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا وشرار أمتي الذي ولدوا في النعيم فلُذُّوا به، إنما همتهم ألوان الطعام والثياب ويتشدَّقون في الكلام» (رواه أبو نعيم في الحلية) .**

**0000000000000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1)**  **الشروح مقتبسة من كتاب التفسير الميسر للشيخ عائض القرني .**

**\* وقوله صلى الله عليه وسلم : «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد حتى يعلو قلبه ذاك الران الذي ذكره الله عز وجل في القرآن : " بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (سورة المطففين : 14 ) (رواه الإمام أحمد في مسنده واللفظ له، وابن ماجه في السنن) .**

**\* وفي حديث عبد الله بن عمرو –رضي الله عنه- أن أبا بكر –رضي الله عنه- قال : يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال : «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» (رواه مسلم) .**

**\* بالاستغفار يُودع الميت : لذا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت. وقف عليه فقال : «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت، فإنه الآن يُسأل» (رواه أبو داود) .**

**\* وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله –عز وجل- ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول : يا رب أن لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك» (رواه الإمام أحمد) .**

**#" تعزَّ بأهل البلاء "**

**تَلفَّتْ يُمنة ويُسرى، فهل ترى إلا مُبتلى ؟ وهل تشاهد إلا منكوبا في كل دار نائحة، وعلى كل خدٍّ دمعٌ وفي كل واد بنو سعد .**

**كم من المصائب، وكم من الصابرين، فلست أنت وحدك المصاب، بل مصابك أنت بالنسبة لغيرك قليل، كم من مريض على سريره من أعوام، يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، يئن من الألم، ويصيح من السقم**

**كم من محبوس مرَّت به سنوات ما رأى الشمس بعينه، وما عرف غير زنزانته ؟ كم من رجل وامرأة فقدا فَلَذَات أكبادهما في ميعة الشباب وريعان العمر ؟ وكم من مكروب ومدين ومصاب ومنكوب .**

**آن لك أن تتعظ بهؤلاء، وأن تعلم علم اليقين أن هذه الحياة سجن للمؤمن ودار للأحزان والنكبات، تُصبح القصور حافلة بأهلها وتمسي خاوية على عروشها، يبنيها الشمل مجتمع والأبدان في عافية، والأموال وافرة، والأولاد كثر، ثم ما هي إلا أيام فإذا الفقر والموت والفراق والأمراض. قال تعالى : " وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ " (سورة إبراهيم: 45 ) .**

**فعليك أن توطِّن مصابك بمن حولك، وبمن سبقك في مسيرة الدهر، ليظهر لك أنك معافى بالنسبة لهؤلاء، وأنه لم يأتك إلا وخزاتٌ سهلة، فاحمد الله على لطفه، واشكره على ما أبقى، واحتسب ما أخذ واتعظ بمن حولك ولك في الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة وقد وُضع السَّلى على رأسه، وأُدميت قدماه وشُجَّ وجهه، وحُوصر في الشِّعْب حتى أكل ورق الشجر، وطرد من مكة، وكسرت ثنيته، ورُمي عرض زوجته الشريفة، وقُتل سبعون من أصحابه، وفقد ابنه، توفي أكثر بناته في حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع واتُّهم بأنه شاعر ساحر كاهن مجنون كاذب، صانه الله من ذلك، وهذا بلاء لابد منه وتمحيص لا أعظم منه، وقد قُتل زكريا، وذُبح يحيى، وهُجر موسى ووضع الخليل في النار، وسار الأئمة على هذا الطريق فضُرِّج عمر بدمه واغتيل عثمان، وطُعن عليٌّ وجُلدت ظهور الأئمة وسُجن الأخيار ونُكِّل الأبرار قال تعالى : " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا " (سورة البقرة: 214 ) (1)**

**#" مظاهر الابتلاء "**

**أولا : الابتلاء بالشر : وله عدة صور منها ما يلي :**

**1- أن يبتلي الله المؤمن بفقد عزيز عليه كأبيه أو أمه أو ولده .**

**2- أن يبتلى المؤمن بفقد جزء من جسمه كذهاب بصره، أو سمعه، أو رجله، أو يده .**

**3- ابتلاء المؤمن بمرض عُضال أو فتاك، أو يُبتلى بالخوف والجوع وضيق الرزق. قال تعالى : إشارة إلى تعدد مظاهر الابتلاء : " وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ " (سورة البقرة: 155 ) .**

**4- ومن أعظم ما يبتلى به المؤمن من صور الابتلاء بالشر هي المصيبة في الدين، فهي القاصمة والمهلكة والنهاية التي لا ربح معها، وعموما فإن مصاب الدين لا فداء له، فهو أعظم من مصيبة النفس والمال؛ لأن المال يخلفه الله تعالى، وهو فداء الأنفس، والنفس فداء الدين، والدين لا فداء له (انظر تسلية أهل المصائب لأبي عبد الله المنجي) ذلك أن كل مصيبة في دنيا الإنسان قد تعوض بخير منها أو مثلها، أما مصيبة الدين فحسرة لا تُعوَّض (الإيمان والحياة للدكتور الشيخ يوسف القرضاوي) .**

**5- الابتلاء بالسيئات أو المعاصي، وهذه قد تَخفى حكمته على الكثيرين إذ قد يراد به "اختبار الصدق في الإيمان"(موسوعة نضرة النعيم) .**

**00000000000000000000000000000000000000000**

**(1) (هكذا هزموا اليأس، سلوى العضيدان) .**

**ويشير ابن القيم –رحمه الله- إلى ثمرة هذا الابتلاء بقوله: "لو لم تكن التوبة أحب إلى الله لما ابتلى بالذنب أكرم المخلوقات عليه –آدم عليه السلام- فالتوبة هي غاية كل كمال آدمي وقد كان كمال أبينا آدم –عليه السلام- بها" (مفتاح دار السعادة لابن قيم ) .**

**ثانيا : الابتلاء بالخير : ويقصد به اختبار الله تعالى عبده المسار ليشكره وله صور شتى منها :**

**1- أن يبتلى العبد بالغنى وكثرة العرض : قال صلى الله عليه وسلم : «فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم فتَنافِسوها كما تنافسوها وتُلهيكم كما ألهتهم» (صحيح البخاري) .**

**2- ابتلاؤه بزينة الدنيا وزهرتها. قال صلى الله عليه وسلم : « إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» (صحيح البخاري) .**

**3- الابتلاء بحب الرياسة والجاه، فيطلبها ويحرص عليها فيكون فيها هلاكه. لقوله صلى الله عليه وسلم : «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة، وبئست الفاطمة» (صحيح البخاري).**

**4- ويدخل في هذا المظهر ابتلاء العبد بالطاعات ليشكر ربه على ما هداه إليه، فضرب الله لنا أروع الأمثلة : بإبراهيم –عليه السلام- لما ابتلاه الله بذبح ولده وفلذة كبده فأراد أن يمضي تلك الطاعة لربه فناداه الله تعالى بقوله : " وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ " (سورة الصافات : 104-106 ) .**

**والابتلاء بالخير هو أشد البلاء؛ لأن القيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر. فصارت المنحة أعظم البلاءين لهذا قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- : "بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر" وقال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- : "من وُسِّع عليه في دنياه فلم يعلم أنه قد مُكر به فهو مخدوع في عقله" (بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي) .**

**أخي القارئ : فالبلاء يكون حسنا ويكون سيئا كما أسلفنا وأصله المحنة، والله عز وجل يبلو عبده بالصنيع الجميل ليمتحن شكره، ويبلو بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره، عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما- قال : أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، أعوذ بالله أن تدركوهن»**

**1-لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها إلا فشي بهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا .**

**2- ولم يقتصوا المكيال والميزان، إلا ابتلوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم .**

**3- ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا .**

**4- ولم ينقضوا عهد الله ورسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيدهم .**

**5- وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله عز و جل إلا جعل الله بأسهم بينهم »(سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات) .**

**وبين الله –عز وجل- سبب الابتلاءات، كرغد العيش، أو ضيقه، واعتدال المناخ أو قسوته، كالزلازل والبراكين والفيضانات والأعاصير والقحط، وما أشبه ذلك في قوله تعالى : " ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " (سورة الروم : 41 ) .**

**أي ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله عن الناس الغيث وأغلى سعرهم ليذيقهم عقاب بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ) .**

**قيل : "إن الله يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات اختبارا لهم ومجازاة على صنيعهم، لعلهم يرجعون عن المعاصي".**

**سؤال (كشف الأسرار عما خفي عن الأفكار، شهاب الدين الأقفهسي) ، لم شدد البلاء على الأفاضل ؟**

**الجواب : قيل لأن الله تعالى يبغض الدنيا، وامتحن الأولياء فيها كي لا يميلوا إليها وهي مبغوضة وأيضا ليكثر الأجر لهم .**

**فإن قيل : لم حجب عنهم الدنيا ؟ قيل : ليتفرغوا لطاعته ولا يشتغلوا بها عنه فتحملهم على المعصية، فربما تكون النعمة سببا للمعصية، لقوله تعالى : " فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ " (سورة الأنعام : 44 ) .**

**#" الابتلاء سنة من سنن الله في حياة الناس "**

**رغم أن البلاء والابتلاء سنة ربانية في حياة البشر قال تعالى : " لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا " (سورة الملك : 2 )، إلا أنه ليس للمسلم أن يسأل الله الابتلاء أو يتمناه فقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نفعل ذلك فقال : «لا تتمنوا لقاء العدو، فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون به، ولكن قولوا اللهم أكفناهم، وأكفف بأسهم» (رواه البخاري ومسلم) .**

**لذا جعل الله عز وجل الابتلاء والمحن سنة في حياة الناس، قال تعالى : " أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ \* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ " (سورة العنكبوت: 2-3 ) "وهذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية في ميزان الله سبحانه" ويقول أيضا : "أنها سنة العقائد والدعوات، لابد من بلاء ولابد من أذى في الأموال والأنفس، ولابد من صبر ومقاومة واعتزام، إنه الطريق إلى الجنة، وقد حُفت الجنة بالمكاره، بينما حُفت النار بالشهوات" .**

**وفي تفسير هذه الآية : أظن العباد أنهم إذا قالوا : آمنا تركوا على هذه الدعوة لم يختبروا ويبتلوا ؟ بلى سوف يختبرون بالبلاء ليظهر الصادق من الكاذب، ولقد امتحن الله الأقوام السابقين بإرسال الرسل إليهم، فظهر علم الله في صدق الصادق في إيمانه، وكذب الكاذب في دعواه (التفسير الميسر، الشيخ عائض القرني) .**

**#" نزول البلايا بالمؤمن وغيره "**

**نزول البلايا والمصائب لا يُختص به أحد دون أحد، فقد تنزل بالبر والفاجر، والمسلم والكافر .**

**ولكن فرق بين نزولها على البر المؤمن، وبين نزولها على الفاجر أو الكافر، فالمؤمن البارُّ يستقبلها برضا وسرور، فترتفع بها درجاته في الدنيا والآخرة .**

**وكلما زيد في بلاء المؤمن فصبر واحتسب ورضي –أعانه الله- ولطف به وأنزل عليه من السكينة والرضا، واليقين، والقوة ما لا يخطر ببال .**

**أما الفاجر والكافر، فيستقبلها بهلع، وجزع، فتزداد مصائبه، وتكون من عاجل العقوبة له. قال عمر بن العزيز –رضي الله عنه- : "أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر، إن تكن السراء فعندي الشكر، وإن تكن الضراء فعندي الصبر" (خواطر، د. محمد بن إبراهيم الحمد) .**

**أخي القارئ : ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، جف القلم بما أنت لاق ولا حيلة لك في القضاء فالبلاء يقرب بينك وبين الله ويعلمك الدعاء، ويذهب عنك الكبر والعجب والفخر**

**وأعلم إنك لست الوحيد في البلاء، فما سلم من الهمِّ أحد وما نجا من الشدة بشر وتقين أن الدنيا دار مِحن وبلاء ومُنغصات وكدر فاقبلها على حالها واستعن بالله .**

**ولا تجزع من المصائب، ولا تكترث بالكوارث، ففي الحديث : «إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط» (مقالات الشيخ عائض القرني من كتابه لا تحزن) .**

**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما يزال بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة»(مجالس الصالحين، د. عائض القرني) .**

**#" الخشية والخوف من الله من أسباب مغفرة الذنوب "**

**قال عقبة بن عمر لحذيفة: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إني سمعته يقول : «إن رجلا كان فيمن كان قبلكم، أتاه الملك ليقبض روحه، فقيل له : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم، قيل له : انظر، قال : ما أعلم شيئا غير أني كنت أبايع الناس في الدنيا، وأجازيهم فأنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة» قال: وسمعته يقول : «إن رجلا حضره الموت، فلما يئس من الحياة، أوصى أهله - إذا أنا مت، فأجمعوا لي حطبا كثيرا وأوقدوا فيها نارا، حتى إذا أكلت لحمي، وخلصت إلى عظمي، فامتحشت فخذوها فاطحنوها، ثم انتظروا يوما راحا : فاذروه في اليوم ففعلوا، فجمعه الله، فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك، فغفر الله له» قال عقبة بن عمرو : أنا سمعته يقول ذاك وكان نباشا .**

**والشرح المختصر للحديث القدسي المذكور : قوله: وخلصت إلى عظمي، أي وصلت إليه «فامتُحشت» بالبناء للفاعل، أو بالبناء للمفعول أي احترقت .**

**وقوله : «يوما راحا» : هو بفتح الراء ممدود، وبحاء مهملة منونة، أي كثير الريح وقوله : «فاذروه» بهمزة وصل، وبذال معجمة، أي طيروه في الريح حتى لا يجتمع .**

**وقوله : «ففعلوا» أي فعلوا ما أوصاهم به أبوهم. «فجمعه الله» : أي جمع ذراته وأحياه وقال له : «لم فعلت ذلك» ؟ أي لم أوصيت بإحراقك وذروك في الريح ؟ «قال : من خشيتك» أي فعلت ذلك وأوصيت به يا رب من خشيتك، وخوفا منك، فغفر الله له : «وكان نبَّاشا» أي كان هذا الرجل، مع أنه لم يفعل خيرا نباشا للقبور ويسرق أكفان الموتى وظاهره أن ذلك من قول عقبة، لكن أورد ابن حبان من طريق ربعي عن حذيفة قال : توفي رجل كان نباشا، فقال لولده : "أحرقوني" فهنا سؤال : هل الخوف أفضل أم الرجاء؟ فالجواب : قال بعضهم : سواء لا يفضل أحدهما على الآخر .**

**ويقال : ما دام الرجل صحيحا فالخوف أفضل، وما دام مريضا فالرجاء أفضل .**

**ويقال : الخوف للعاصي أفضل، والرجاء للمطيع أفضل .**

**ويقال : الخوف قبل الذنب أفضل، والرجاء بعد الذنب أفضل ويقال : الرجاء أفضل لأشياء أربعة :**

**أحدها : الرجاء إلى فضله، والخوف من عدله، والفضل أكرم من العدل .**

**والثاني : الرجاء إلى الوعد، والوعد من بحر الرحمة، والخوف من الوعيد والوعيد من بحر الغضب، ورحمته سبقت غضبه .**

**والثالث : الرجاء من الطاعة، والخوف من المعصية، ومن الطاعة ما يعلو على المعاصي، كالتوحيد .**

**والرابع : الرجاء بالرحمة، والخوف من الذنوب، والذنوب ذو نهاية، والرحمة لا نهاية لها .**

**ويقال الخوف أفضل منه، لأنه وعد بالخوف جنتين، ولم يعد بالرجاء إلا جنة واحدة .**

**وأيضا الخوف يمنع من الذنوب، وترك الذنوب أفضل من فعل الخيرات .**

**ويقال : من عَبدَ الله بالخوف فهو مؤمن، ومن عبد الله بالرضا فهو مرجئ ومن عبد الله بالحب فهو زنديق، ومن عبد الله بالثلاثة فهو مستقيم .**

**#" لو بلغت ذنوبك عنان السماء...؟ "**

**عن أنس –رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «قال الله تعالى : يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة» (رواه الترمذي) .**

**عنان السماء : قيل هو السحاب، وقيل هو ما عن لك منها، أي ظهر : وقارب الأرض : وهو ما يقارب ملأها. هذا من الأحاديث القدسية.**

**وفيه : فضل الدعاء والرجاء , قال تعالى : " وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ " (سورة غافر: 60 ) .**

**وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «الدعاء مخ العبادة» والرجاء يتضمن حسن الظن بالله، والله تعالى يقول : «أنا عند ظن عبدي بي» .**

**وفيه : الحث على الاستغفار , قال الحسن : أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وأسواقكم، ومجالسكم، وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة .**

**وقال قتادة : إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم، فالذنوب، وأما دواؤكم، فالاستغفار .**

**وقال إبليس –لعنه الله- : أهلكت بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار .**

**فما أسعد حال من دوام لا إله إلا الله واستغفر الله فغاية الكمال لرب العزة والجلال إفراده بالوحدانية وغاية كمال العبد التبرؤ من الحول والقوة، والتطهر من الذنوب والسيئات .**

**قال ابن القيم –رحمه الله- في معنى قوله : "يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة" : يُعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه مالا ينبغي لمن ليس كذلك، فلو لقي الموحد الذي لمن يشرك بالله البتة ربه بقراب الأرض خطايا، أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده، فإنه التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب؛ لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه، وحده ما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة، والدافع قوي، ومعنى قراب الأرض ملؤها أو ما يقارب ذلك، ولكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن غفر بفضله ورحمته، وإن شاء عذب بعدله وحكمته، وهو المحمود على كل حال(موسوعة روائع الدعاء والأذكار، أحمد بن سالم بادويلان).**

**#" تأثر الحجر الأسود بالذنوب "**

**أخي القارئ : ألا ترى أن الحجر الأسود مع صلابته وقساوته قد تأثر بذنوب بني آدم وخطاياهم، وكان عند نزوله من الجنة أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم، كما ورد ذلك في الحديث المروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن؛ فسودته خطايا بني آدم» (رواه أحمد والترمذي) .**

**أي صارت ذنوب بني آدم الذين يمسحون الحجر سببا لسواده، والأظهر حمل الحديث على حقيقته إذ لا مانع نقلا ولا عقلا، وقال بعض الشراح، والمعنى : أن الحجر الأسود لما فيه من الشرف والكرامة وما فيه من اليمن والبركة شارك جواهر الجنة فكأنه نزل منها، وأن خطايا بني آدم تكاد تؤثر في الجماد فتجعل المبيض منه أسودا فكيف بقلوبهم أو لأنه من حيث أنه مكفر للخطايا محَّاءٌ للذنوب كأنه من الجنة، ومن كثرة تحمله أوزار بني آدم صار كأنه ذو بياض شديد فسودته الخطايا .**

**ومما يؤيد هذا أنه كان فيه نُقَط بيض ثم لا زال السواد يتراكم عليها حتى عمَّها، وفي الحديث : «إذا أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا أذنب نكتت فيه نكتة أخرى وهكذا حتى يسود قلبه جميعه ويصير ممن قال فيهم : " كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " (سورة المطففين: 14 ) ، والحاصل أن الحجر بمنزلة المرآة البيضاء في غاية الصفاء ويتغير بملاقاة مالا يناسبه من الأشياء حتى يسود لها جميع الأجزاء، وفي الجملة الصحبة لها تأثير بإجماع العقلاء .**

**قال الحافظ ابن حجر : واعترض بعض الملحدين على هذا الحديث فقال : كيف سودته خطايا المشركين ولم تبيضه طاعات أهل التوحيد؟ وأجيب بما قال ابن قتيبة : لو شاء الله لكان ذلك، وإنما أجرى الله العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ على العكس من البياض. وقال المحب الطبري : في بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة : فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد، ويروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما- إنما غيره بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة، فإن ثبت فهذا هو الجواب .**

**وقوله صلى الله عليه وسلم : «إن العبد إذا أذنب ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع فاستغفر صقل قلبه، وإن عاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الرَّان الذي ذكره الله» .**

**أخي في الله : إذا كان هذا حال الحجر الصلد الصلب مع حجارته وقساوته يتأثر من خطايا بني آدم فكيف بمضغة لحم لا يتأثر من الأوساخ الشركية والبدعية وبخطايا بني آدم ولا يُران عليه ؟ ثم كيف لا يحتاج إلى اغتساله وذهاب أوساخه بالاستغفار والتوبة إلى الله ؟ وفقنا الله لذلك آمين .**

**#" الأدعية والاستغفار على ألسنة أنبياء الله ورسوله عليهم السلام "**

**1- على لسان نوح –عليه السلام- : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " (سورة نوح : 10-12 ) .**

**قال القرطبي –رحمه الله- في تفسيره رآهم –أي نوح- عليه السلام- أهل حرص على الدنيا فأمرهم بالاستغفار وكأنه قال لهم : هلموا إلى طاعة الله فإن في طاعة الله درك للدنيا والآخرة (القرطبي : 18/289 في تفسيره) .**

**ويقول ابن كثير –رحمه الله : كأنه قال لهم : أي إذا تبتم إلى الله، واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرَّ لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين : أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها (تفسير ابن كثير) .**

**وجاء رجل إلى الحسن البصري يشكو إليه الجدوبة فقال : استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر، فقال له : استغفر الله، وقال آخر : ادع الله أن يرزقني ولدا، فقال له : استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال له : استغفر الله فلما قيل له في هذا قال : ما قلت شيئا من عندي- آية الله تعالى يقول -: " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " (سورة نوح : 10-12 ) .**

**وهكذا تحقق أن الاستغفار علاج فعال، ودواء سريع لإزالة الكروب، وإذهاب كل ضيق، بيد أنه استغفار يجب أن يقرب بالصدق وإلا فتوبة الكذاب واستغفاره لا تُفرج كربا، ولا تُزيح هما ولا ترفع بلاء , قال الفضيل بن عياض –رحمه الله- : "استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين" .**

**2- وعلى لسان آدم وحواء –عليهما السلام- : " رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (سورة الأعراف : 23 ) وهي الكلمات التي قال الله تعالى عنها : " فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " (سورة البقرة : 37 ) .**

**3- وعلى لسان سيدنا يونس –عليه السلام- إذا دعا في بطن الحوت فقال: " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ "(سورة الأنبياء : 87 ).**

**4- وعلى لسان شعيب –عليه السلام-: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ" (سورة هود : 90 ).**

**5- وعلى لسان سيدنا صالح –عليه السلام- : " يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ " (سورة هود : 61 ).**

**6- وعلى لسان سيدنا موسى – عليه السلام : " إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي " (سورة القصص : 16**

**7- وعلى لسان سيدنا هود – عليه السلام : " وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ " (سورة هود : 52 ) .**

**8- وعلى لسان سيدنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم " فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ " (سورة فصلت**

**9- وقالت بلقيس : " رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (سورة النمل : 44 ) .**

**10- وفي الصحيحين أن أبا بكر –رضي الله عنه- قال : يا رسول الله : علمني دعاء أدعو به في صلاتي.. فقال : «قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم» (رواه البخاري ومسلم) .**

**قال ابن تيمية : الاستغفار أهميته وحاجة العبد إليه : ومما يستغفر ويُتاب منه ما في النفس من الأمور التي لو قالها أو فعلها عُذب , قال تعالى : " وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ " (سورة البقرة: 284 ) .**

**فهو يغفر لمن يرجع عما في نفسه، فلم يتكلم به، ولم يعمل، كالذي همَّ بالسيئة ولم يعملها، وإن تركها لله كتبت له حسنته وهذا مما يُستغفر منه ويتوب، فإن الاستغفار والتوبة من كل ما كان سببا للذم والعقاب , وإن كان لم يحصل العقاب، ولا الذم فإنه يفضي إليه، فيتوب من ذلك : أي يرجع عنه، حتى لا يفضي إلى شر، فيستغفر الله منه، أي يطلب منه أن يغفر له وقد يظن ظنون السوء باطلة، وإن لم يتكلم بها، فإذا تبين له فيها، استغفر الله وتاب. وظلمه لنفسه يكون بترك واجب، كما يكون بفعل محرم فقوله تعالى : " وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا " (سورة النساء : 110 ) .**

**أن ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب، فقد ربط الله عز وجل من خلال الآيات على ألسنة الأنبياء والرسل المذكورة بين الاستغفار وهذه الأرزاق، وهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنة الحياة كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون، والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد .**

**إذًا وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاهها تحقيقا له بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ من خشية الله، ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته: فحققت العدل والأمن للناس جميعا، إلا فاضت فيها الخيرات، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء .**

**#" التوحيد والاستغفار "**

**يقرن كثيرا في القرآن بين التوحيد والاستغفار؛ لأن فيهما نفي النقص عن الخالق، والاعتذار من نقص المخلوق، فقوله : " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " فيه الاعتراف والإقرار بوحدانية الله عز وجل وتنزيهه عن النقائص والعيوب، ثم الاعتراف بظلم العبد نفسه بالخطايا والذنوب والاستغفار طلب وإنما يحصل الطلب بين يدي الثناء والمدح، وأعظم مطلوب هو الله عز وجل، وأعظم ما يمدح به التوحيد الخالص، وذكر وحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فحسن تقديم هذا الثناء العظيم .**

**وقد ورد في الحديث : «أفضل الدعاء : لا إله إلا الله»أخرجه مالك في الموطأ فسئل بعضهم : كيف جعلها دعاء، وهي إثبات وتقرير ؟ فقال : إن من أثنى عليك فقد تعرض لك بالسؤال كما قال أمية بن أبي الصلت :**

**أأذكر حاجتي أم قد كفاني حباؤك إن شيمتك الحباء**

**إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء**

**وقال تعالى : " فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ " (سورة محمد: 19 ) فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، وقدم التوحيد الذي هو أصل الأصول، وأمر بالاستغفار الذي هو سبب لحصول المحبوب، ودفع الموهوب، فمن عرف سر هاتين الكلمتين، لا إله إلا الله واستغفر الله أحبهما وأكثر منهما، وتعلق بهما، وأدمن من تكرارهما، وتعلم أسرارهما، وتفقه في معانيهما، وقضى وقته بين اعتراف بالجميل وإقرار بالمعروف لصاحبه تبارك وتعالى، وثناء عليه، وإيمانا بوحدانيته، بين تبرؤ من الحلول والقوة والاعتراف بظلم النفس وقلة البضاعة، ورداءة المحصول، واتهام النية، والانكسار عن تذكر الخطيئة، ومقت الذات غاية المقت، ولوم النفس غاية اللوم على ما فرطت في جنب الله وأكثرت من مخالفة أوامر الله، وعندما يحصل عفو الله ومغفرته ورضوانه، فما هطلت سحائب الرضوان إلا برضا الرحمن، والانكسار بين يديه، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه .**

**وذكر ابن أبي الدنيا زين بن أسلم قال : قال عثمان بن عفان –رضي الله عنه- : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله، فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة»، وقال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- : "أحضروا موتاكم ولقنوهم : لا إله إلا الله وذكروهم، فإنهم يرون مالا ترون"(أخرجه عبدالرزاق : وابن أبي شيبة في مصنفة) .**

**قال العلماء : تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون. وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة وليدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم : «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(أخرجه أبو داود من حديث معاذ ابن جبل –رضي الله عنه) .**

**وروي عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «حضر ملك الموت رجلا قال : فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئا، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله، فغفر له بكلمة الإخلاص» (رواه البيهقي) (حياة البرزخ، طلال مكي الخيمي) .**

**أخي القارئ .. أختي القارئة: يستحب قول «لا إله إلا الله» لمن ابتلي بالوسوسة في الوضوء أو في الصلاة أو شبههما، فإن الشيطان إذا سمع الذكر خنس : أي تأخر وبَعد ولا إله إلا الله رأس الذكر، ولذلك اختار صفوة هذه الأمة لا إله إلا الله لأهل الخلوة وأمروهم بالمداومة عليها، وقالوا : أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله تعالى والإكثار منه في كل وقت وفي كل حال، كما أخبرنا صلى الله عليه وسلم بذلك إن الوسواس إنما يبتلى به من كَمُل إيمانه، فإن اللص لا يقصد بيتا خربا . (إبليس خطيب جهنم، أحمد بادويلان) .**

**#" الاستغفار بالقلب واللسان "**

**سئل الإمام ابن تيمية –رحمه الله : هل المراد ذكر الاستغفار باللفظ ؟ أو أنه إذا استغفر ينوي بالقلب أن لا يعود إلى الذنب ؟ وهل إذا تاب من الذنب وعزم بالقلب أن لا يعود إليه، وأقام مدة ثم وقع فيه أفيكون ذلك الذنب القديم يضاف إلى الثاني ؟ أو يكون مغفورا بالتوبة المتقدمة ؟ وهل التائب من شرب الخمر يشربه في الآخرة ؟ ويلبس الحرير في الآخرة ؟ فأجاب –رحمه الله :**

**الحمد لله .. بل المراد الاستغفار بالقلب مع اللسان، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما في الحديث الآخر: «لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار»، فإذا أصر على الصغيرة صارت كبيرة، وإذا تاب منها غفرت , قال تعالى : " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (سورة آل عمران: 135 ) .**

**وإذا تاب توبة صحيحة غُفرت ذنوبه، فإن عاد إلى الذنب فعليه أن يتوب أيضا، وإذا تاب قبل الله توبته أيضا .**

**وقد تنازع العلماء في التائب من الكفر، إذا ارتد بعد إسلامه، ثم تاب بعد الردة وأسلم هل يعود عمله الأول ؟ على قولين مبناهما أن الردة هل تحبط العمل مطلقا، أو تحبطه بشرط الموت عليها .**

**1- فمذهب أبي حنيفة ومالك أنها تحبطه مطلقا .**

**2- ومذهب الشافعي أنها تحبطه بشرط الموت عليها.**

**والردة ضد التوبة، وليس من السيئات ما يمحو جميع الحسنات إلا الردة، وقد قال تعالى : " تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا " (سورة التحريم : 8 ).**

**قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- : "توبة نصوحا": أن يتوب ثم لا يعود، فهذه التوبة الواجبة التامة , ومن تاب من شرب الخمر، ولبس الحرير، فإنه يلبس ذلك في الآخرة ، كما جاء في الحديث الصحيح : «من شرب الخمر ثم لم يتب منها حرمها» .**

**وقد ذهب بعض الناس كبعض أصحاب أحمد: إلى أنه لا يشربها مطلقا، وقد أخطأوا والصواب الذي عليه جمهور المسلمين (الاستغفار أهميته، ابن تيمية) .**

**#" صيغ الاستغفار "**

**- "رب اغفر لي وتب علي". "أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه".**

**- "استغفر الله سبحان الله وبحمده".**

**- "اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطأي وعمدي، وكل ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، إلهي لا إله إلا أنت".**

**- "اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، أوله وآخره، سره وعلانيته".**

**- اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم".**

**- "أستغفر الله وأتوب إليه" (مائة مرة في اليوم)(رواه البخاري ومسلم) (هذا الحديث ما تفرد به كل واحد منهما عن الآخر، فحديث البخاري من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه- ويلفظ "والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه، في اليوم أكثر من سبعين مرة". والله أعلم) صحابي الحديث هو الأغر بن يسار المزني –رضي الله عنه- قوله : "استغفر الله وأتوب إليه" ظاهره أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة .**

**وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم، وهل الاستغفار يستدعي وقوع معصية ؟ وأجيب بعدة أجوبة، منها قول ابن بطال رحمه الله : الأنبياء أشد اجتهادا في العبادة، لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير، أي : أن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى، ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل أو شرب أو جماع، وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكره ومنها أن استغفاره تشريع لأمته، والله أعلم .**

**قال العلماء : الاستغفار المطلوب، هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان .**

**#" سيد الاستغفار "**

**عن شداد بن أوس –رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فأغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها بالنهار موقنا بها فمات قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها. فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»(صحيح البخاري) .**

**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من لزم الاستغفار جعل الله من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب»(رواه أبي داود) .**

**قال الطبي : لما كان هذا الدعاء جامعا لمعاني التوبة كلها، استعير له اسم السيد، وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في الأمور .**

**قوله : «وأنا على عهدك ووعدك» قال الخطابي : يريد أنا على ما عاهدتك عليه، وواعدتك من الإيمان وإخلاص الطاعة لك ما استطعت انتهى.. يريد بذلك قوله تعالى : " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ "(سورة الأعراف: 172 ) .**

**قال الحافظ : وفي قوله : «ما استطعت» إعلام لأمته أن أحدا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله ولا الوفاء بكمال طاعة الله، والشكر على النعم، فرفق الله بعباده ولم يكفلهم من ذلك إلا وسعهم .**

**قال ابن أبي جمرة: جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من بديع المعاني، وحسن الألفاظ ما يحق أن يسمى به سيد الاستغفار .**

**ففيه : الإقرار لله وحده بالألوهية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعد به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا الله (تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز آل مبارك) .**

**#" فضائل الاستغفار "**

**1- أنه طاعة لله عز وجل.**

**2- أنه سبب لمغفرة الذنوب.**

**3- أنه سبب لنزول الأمطار.**

**4- الإمداد بالأموال والبنين.**

**5- سبب لدخول الجنات.**

**6- سبب لزيادة القوة بكل معانيها.**

**7- سبب للمتاع الحسن.**

**8- أنه سبب لدفع البلاء.**

**9- سبب لإيتاء كل ذي فضل فضله.**

**10- الاستغفار سبب لنزول الرحمة.**

**11- وهو تأس بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه كان يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرة، وفي رواية : مائة مرة.**

**يقول ابن كثير –رحمه الله- عن فضيلة الاستغفار وقت الأسحار : وثبت في الصحيحين عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول : هل من سائل فأعطيه ؟ هل من داع فاستجب له؟ هل من مستغفر فأغفر له».**

**#" ثمار الاستغفار "**

**أولا : غفران جميع الذنوب، ويشتمل ذلك ذنوب العبد التي لم يحصها أو نسيها وقد أحصاها الله مهما صغرت أو مضت عليه السنون، وقد حكى الله عن أناس غفلوا عن أعمالهم ففاجأتهم يوم القيامة قال الله عنهم : " وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ "(سورة الزمر: 47 ) .**

**ثانيا : الدخول على الله من باب الخضوع والخشية والإخبات، وهذا يورث التواضع باطنا وظاهرا.**

**ثالثا : الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وظاهر ما في الاقتداء به من البركة وحصول الخيرات.**

**رابعا : الاعتراف بالتقصير في الطاعات والخوف من الذنوب هو مطية الإقبال على التزود من النوافل وعمل الصالحات والاستكثار من الحسنات.**

**خامسا : المحافظة على سلامة القلب وصفاته من آثار الذنوب، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب: صقل قلبه» (رواه أحمد والترمذي) وقد قال صلى الله عليه وسلم : «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» (رواه أحمد والترمذي).**

**#" فوائد الاستغفار "**

**وللاستغفار –أخي القارئ- فوائد كثيرة منها ما يلي :**

**1- أنه جاء في القرآن الكريم ما يؤكد أن الاستغفار قرين الصبر والصدق والقنوت وحسن الإنفاق أنه لذلك سبب من أسباب مدح المؤمنين المخلصين. قال تعالى : " الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ \* الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ " (سورة آل عمران: 16-17 ) .**

**2- أنه حصن حصين ومكين ضد النقم والبلايا والنكبات والكوارث والمحن قال تعالى : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (سورة الأنفال : 33 ) .**

**3- إن الاستغفار مفتاح الرزق ومجلبة للخصب وسبب لتدفق بركة الأرض والسماء، وإعانة على القوة وزيادتها، قال تعالى : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " (سورة نوح : 10-13 ) .**

**4- إن الاستغفار سبب لتفريج الكروب ولذهاب الهموم والأحزان ومخرج من كل ضيق، وفي الحديث : «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب» وهذه الفائدة مستفادة من القرآن الكريم؛ لأن الاستغفار دليل على التقوى، وفي التقوى جاء قوله تعالى : " وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " (سورة الطلاق : 2-3 ) .**

**5- ومن الفوائد المهمة للاستغفار أنه يورث طهارة القلب وزكاة النفس، ونقاء الضمير .**

**فما أحرانا اليوم، وذنوبنا تُناطح الجبال، وتكاثر زبد البحر أن ندرك هذه الحقيقة، وأن نبادر إلى الاستغفار في كل حال وأعلى درجات الغفران هي العفو، لذا نجد في القرآن إن العفو سبق المغفرة والرحمة في قوله تعالى :" وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " (سورة البقرة : 286 ) .**

**#" وقت الاستغفار "**

**الاستغفار نوعان :**

**1- استغفارُ ذكرٍ : ويكون على صيغة ورد يومي كالاستغفار سبعين مرة في اليوم .**

**2- واستغفار توبة : وله شروطه، وهو الاستغفار بسبب ذنب اقترفه الإنسان، فيلجأ إلى خالقه ليغسل له هذا الذنب ويتوب عليه، ومعلوم لدينا أن باب طلب المغفرة من الغفور الكريم سبحانه مفتوح لعبده في كل وقت، بيد أن أفضل وقت للاستغفار والتوبة من الذنب هو أقرب وقت بعد وقوع الذنب، وعلى الإنسان ألا يَغره طول الأمل، يقول الله تعالى : " إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا \* وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (سورة النساء: 17-18 ) .**

**ومن أفضل الأوقات للاستغفار الثلث الأخير من الليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ينزل ربنا عز وجل حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فاستجب له، من يستغفرني فأغفر له، حتى يطلع الفجر» .**

**ومن كمال الاستغفار اتباع السيئة الحسنة، عن أبي الدرداء –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اتق الله حيث ما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها» (رواه الترمذي) .**

**الاستغفار هنا من ذنوب التي تكون بين العبد وربه، أما الذنوب المتعلقة بالعباد فلابد من استبراء العباد منها .**

**قيل للأوزاعي وهو أحد رواة الحديث : كيف الاستغفار؟ قال : تقول : "استغفر الله" .**

**«رب إني ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي فاغفر لي، وإن لم تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت» (ذكر الله، وائل يوسف محمد الدسيماني) .**

**#" مفاتيح المغفرة "**

**للمغفرة مفاتيح نذكر منها ما يلي :**

**\* أولا : آمين خلف الإمام :**

**عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أمنَّ الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة : غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري ومسلم) .**

**\* ثانيا : اللهم لك الحمد بعد الرفع من الركوع :**

**عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده، فقولوا : الله ربنا لك الحمد، فإنه من وافق قوله قول الملائكة : غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري ومسلم) .**

**\* ثالثا : الدعاء الوارد بعد الفراغ من الطعام :**

**عن أنس –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه الترمذي وابن ماجه) .**

**\* رابعا : التسبيح دبر الصلوات :**

**عن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد ثلاثا وثلاثين، وكبر ثلاثا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعونه، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (رواه مسلم) .**

**\* خامسا : سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة :**

**عن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (رواه البخاري ومسلم) .**

**\* سادسا : عند الوضوء :**

**عن أبي هريرة –رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة كانت مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيا من الذنوب» (رواه مسلم) .**

**\* سابعا : عند سماع المؤذن :**

**عن سد بن أبي وقاص –رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبالإسلام دينا غفر له ذنبه» (رواه مسلم) .**

**عن أنس بن مالك –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفورا لكم، وقد بدلت سيئاتكم حسنات» (رواه أحمد) .**

**#" الاستغفار والذكر دبر كل صلاة "**

**يُسن ذكر الله والاستغفار عقب الصلاة المكتوبة كما ورد في الأخبار فيقول استغفر الله ثلاث مرات ويقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام (رواه الجماعة إلا البخاري) .**

**كما ورد عن ثوبان قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال : «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» .**

**ومما ورد من الذكر : ما روى عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون , قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلل بهن دبر كل صلاة (رواه أحمد ومسلم) .**

**وكان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير , اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد (متفق عليه) .**

**ويسبح ثلاثا وثلاثين، ويحمد ثلاثا وثلاثين، ويكبر ثلاثا وثلاثين، كما في الصحيحين من رواية أبي صالح السمان عن أبي هريرة –رضي الله عنه- مرفوعا تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتمام المائة –لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويعقده بيد وبيد الاستغفار أي يضبط عدده بأصابعه .**

**وعن معاذ بن جبل –رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أوصيك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (رواه أحمد وأبو داود والنسائي) .**

**وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت»، رواه النسائي وصححه ابن حبان وزاد فيه الطبراني «وقل هو الله أحد» وعنه قال ما دونت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في دبر مكتوبة ولا تطوع إلا سمعته يقول : اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم انعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنه لا يهدي صالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت.**

**أخي المصلي .. أخي المستغفر : الانتهاء من الصلاة والجلوس في المصلى والتسبيح وقراءة آية الكرسي واستغفار الملائكة للمصلي، يا له من فضل عظيم، ونعم متتالية، فضل من الله ونعمة يتمتع بها المصلي .**

**ينطلق المسلم من صلاته منشرح الصدر شاكرا لعظيم نعمه، مستبشرا بفضله، طامعا في رحمته وجنته .**

**فإذا كنت ذا لُبٍّ –وأنا على يقين بذلك- غيِّر نفسك وسلوكك واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، والله سيعصمك ويُغير أحوالك، فكما تتغير الصحراء القاحلة إلى روضة غناء وكل ذلك بقدرته سبحانه- فهو قادر على أن يغير أحوالك إذا صدقت معه، وسيقبل توبتك، فمن صفاته سبحانه أنه تواب رحيم، وأنه غفور رحيم .**

**لقد نادى الله النصارى ودعاهم إلى التوبة وقد أدعّو الولد له –تعالى عما يشركون- فقال جل في علاه : " أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (سورة المائدة : 74 ) .**

**" أعلم أخي المستغفر والتائب إلى الله "**

**إن الناس في فعل الطاعات والسيئات على أصناف ثلاثة :**

**1- فمنهم من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويكف عن ارتكاب المعاصي وهذا أكمل أحوال أهل الدين، وأفضل صفات المتقين .**

**2- ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات، ويقدم على ارتكاب المعاصي، وهذا أخبث أحوال المكلفين، وشر صفات المتعبدين .**

**3- ومنهم من لا يستجيب إلى فعل الطاعات، ولا يكف عن ارتكاب المعاصي، فهذا يستحق عذاب الله –جلا وعلا .**

**أخي المستغفر : فاختر لنفسك الصنف الأول؛ لأن هذا أكمل أحوال أهل الدين وصفات المتقين ويقول الله : " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ " (سورة فاطر : 32 ).**

**ولا تقنط من رحمة الله ولا تيأس –ولا ييأس من روح الله إلا الكافرون، وإن كانت لديك جبال الذنوب وكنت بالذنوب غارقا فادع الله أن ينجيك منها بسيل غفرانه .. قال تعالى : " لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا " (سورة فاطر : 32 ) .**

**فالتوبة والاستغفار انفع ما تكون حال نزول البلاء فإنها من أسباب نزول الرحمة، ولذلك ذكر الله جل وعلا عن نبيه يونس –عليه السلام- توبته لما اشتد به البلاء وهو في بطن الحوت قال تعالى : " فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " (سورة الزمر : 53 ). فالاستغفار –أخي المستغفر : يقلب المحنة إلى منحة، والرزية إلى عطية، والغمة إلى رحمة، وبه يفتح الله الأرزاق، ويدفع الكروب، ويمسح دموع الأحزان .**

**#" للاستغفار مواطن وأحوال "**

**1- يكون عند الذنب :**

**وهذا من آكد المواضع؛ لأنه اعتراف منك بذنبك وعلامة لي على عدم إصرارك، فأنت تسأل الله أن يمحو أثره ويغسل درنه، قال تعالى : " وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا " (سورة النساء : 110 )، وقال أيضا : " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " (سورة آل عمران : 135-136 ) .**

**ولقد فعل ذلك أطهر البشر وأفضلهم وهم رسل الله وأنبيائه كآدم وزوجه، وموسى ويونس –عليهم السلام- وهذا الاستغفار بعد الذنب يجعل القلب صقيلا فلا تعلق فيه أدران المعاصي.لذا لابد للعبد أن يسرع في التوبة من الذنب والاستغفار منه قبل أن يكتبه عليه الملك؛ لأن العبد يمهل بعد الذنب ست ساعات فإن ندم واستغفر وإلا كتب عليه صاحب الشمال تلك الخطيئة فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة»(صحيح الجامع) .**

**2- ويكون بعد الفراغ من المجلس :**

**الذي يشعر العبد أنه قد كثر لغطه فيه كما جاء في الحديث : «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، واستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»(صحيح الجامع) .**

**3- وكذلك بعد الطاعات :**

**كما ذكرنا كالصلوات والحج والوضوء كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم : «من توضأ فقال بعد فراغه من وضوئه سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كتب في رق، ثم جعل في طابع، فلم يكسر إلى يوم القيامة» (صحيح الجامع) .**

**4- وأثناء الطاعات :**

**فأدعية الصلاة كثيرا ما يرد فيها الاستغفار ففي دعاء الاستفتاح وبين السجدتين وفي الركوع وفي السجود بعد الإتيان بالذكر المشروع، وحين سأل أبو بكر –رضي الله عنه- النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمه دعاء يدعو به في الصلاة أمره أن يقول : «اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فأغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» .**

**5- وكذلك في بداية النهار وآخره (الغداة والعشي) :**

**يشرع للعبد أن يأتي بسيد الاستغفار فلا يقولها احد حين يمسي فيأتي عليه قَدَرٌ قبل أن يصبح إلا وجبت له الجنة، ولا يقولها حين يصبح فيأتي عليه قَدَرٌ قبل أن يمسي إلى وجبت له الجنة»(صحيح الجامع) .**

**أخي القارئ : الاستغفار يبعث النشاط والصحة في القلب، فالقلب إذا كان سليما نشيطا على الطاعة بعيدا عن الآثام والذنوب؛ كان حيا رقيقا أبيضا نقيا تؤثر فيه أدنى موعظة، وينشط لأشق طاعة وإن كان ليس في الطاعات بحمد الله مشقة .**

**والله سبحانه وتعالى يرفع عن الأمة المستغفرة حيث قال تعالى : " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (سورة الأنفال : 33 ) .**

**إذاً فعليكم –أيها الناس- بلزوم الاستغفار والإكثار منه في الليل والنهار في السر والجهار، وابشروا بالخير الوافر والمنزل الكريم الزاهر فلقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا»(فضائل الأعمال) .**

**#" الاستغفار حاجة دائمة للعبد "**

**قال الإمام أحمد بن تيمية –رحمه الله- (الاستغفار/ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) : الاستغفار يخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفع العبد من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإن العابد لله، والعارف بالله، في كل يوم بل في كل ساعة، بل في كل لحظة يزداد علما بالله، وبصيرة في دينه وعبوديته، بحيث يجد ذلك في طعامه، وشرابه، ونومه، ويقظته، وقوله، وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية، وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار أناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائما في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية واليقينية الإيمانية .**

**وقد ثبتت دائرة الاستغفار بين أهل التوحيد، واقترانها بشهادة أن لا إله إلى الله، من أولهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أولهم، ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكل عالم مقام معلوم , فشهادة أن لا إله إلا الله بصدق ويقين تُذهب الشرك كله، دقه وجله، خطأه وعمده، أوله وآخره، سره وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه .**

**والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته، ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك. فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قول : لا إله إلا الله، وأبلغ الدعاء قول : استغفر الله فأمره بالتوحيد والاستغفار لنفسه، ولإخوانه من المؤمنين .**

**#" الاستغفار بركات الدين والدنيا "**

**روى أبو بكر الصديق –رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «قال إبليس : يا رب وعزتك لا أزال أغوى عبادك ما دامت أرواحهم في أجسامهم، فقال الله : (وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني)» .**

**فطوبى لمن عرف أنه له غفورا رحيما يقبل عباده إذا أقبلوا إليه نادمين، وطرقوا بابه باكين مستغفرين لأنفسهم وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم .**

**أخي القارئ:الاستغفار مع الإقلاع عن الذنوب سبب للخصب والنماء وكثرة النسل وزيادة العزة والمنعة وفي دعوة نوح –عليه السلام- قومه ونصحه لهم نسمع الله عز وجل يقول: "فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا\*يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \*وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا"(سورة نوح: 10-12 ).**

**ففي الإيمان رحمة بالعباد وفي الاستغفار بركات الدين والدنيا، وفي الحديث : «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حث لا يحتسب» .**

**فما أعظم بركات الاستغفار، به تستنزل الرحمات، وتبارك الأرزاق، وتكثر الخيرات، ويعطى الله الأموال والبنين ويغفر الذنوب ويمنح القوة والسداد والرشاد، وفي الحديث : «ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له» .**

**فمن ثمرات الاستغفار وبركاته أنه يكون سببا في أن يمتع الله المستغفرين بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش، ولا يستأصلهم بالعذاب كما فعل بالأمم التي عاندت وأصرت على الكفر، ولذا حذر الله سبحانه من الإصرار على الشرك بعد الحث على الاستغفار .**

**ففي شرح آيات دعوة نوح –عليه السلام- : وأمرهم باستغفار الواحد القهار، فإنه غفار الذنوب، ستار العيوب، يقبل من تاب، ويرحم من أناب، والاستغفار هنا يتضمن التوحيد والتوبة .**

**ومع الاستغفار يُنزل الله الأمطار؛ لأن الغيث من آثار رحمته سبحانه التي تتنزل على المستغفرين؛ لأن الذنوب تمنع القطر ومع الاستغفار والتوبة يرزقكم الله الذرية الصالحة، والأموال الكثيرة والرزق الواسع، وينبت لكم الحدائق الغناء، والبساتين الفيحاء، لتنعموا بفوائد الأشجار والثمار والأزهار، ويهيئ لكم العذب الغزير من الأنهار(التفسير الميسر، للدكتور الشيخ، عائض القرني) .**

**فالاستغفار من أهم وأعظم أسباب الرزق، ففي حكاية عن نبيه هود –عليه السلام- يقول تعالى : " وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ " (سورة هود: 52 ) ويا قوم : أسألوا الله أن يغفر ذنوبكم، ثم اهجروا الذنوب، واندموا على ما سلف من المعاصي، فإذا فعلتم ذلك، وصحت منكم الإنابة أنزل الله عليكم الغيث المدرار، فيكثر الخيرات، ويعم الرخاء، وتنعمون برغد في العيش، ويزدكم قوة إلى قوتكم بصحة الأجسام، وكثرة الذرية والأموال، وتتابع الأرزاق، ولا تعرضوا عن الاستجابة ولا تصروا على الذنوب، وتستكبروا عن قبول الحق، وفي الآية بركة الاستغفار والتوبة، وأنهما أصل كل خير في النفس والجسم والمال والولد.**

**وقد تمسك أمير المؤمنين عمر –رضي الله عنه- بما جاء في هذه الآيات عن طلبه المطر من الرب – عز وجل- فقد روى مطرف عن الشعبي أن عمر –رضي الله عنه- خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له : "ما سمعناك استسقيت" فقال : طلبت الغيث بمجاديع (مفردها مجدع وهو نجم من نجوم السماء) السماء التي يتنزل بها القطر ثم قرأ : " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " (التداوي بالاستغفار، حسن همام) .**

**وقال صلى الله عليه وسلم : «أقرب ما يكون الرب من العبد، في جوف الليل الآخر، فإن استعطت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن»( أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم) .**

**صحابي الحديث هو عمرو بن عبسة –رضي الله عنه- قوله : «أقرب ما يكون الرب من العبد» والحكمة في قرب الرب من العبد في هذا الوقت، أن هذا الوقت وقت نداء الرب، ألا ترى إلى الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر»، فيكون الرب في هذا الوقت قريبا من عبده، ولا ينال هذا الحظ الوافر إلا من له استعداد، وترقب لتحصيل هذه الفائدة العظيمة، التي تنبي عليها المنافع الدينية والدنيوية(شرح حصن المسلم، الشيخ د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني) .**

**#" الاستغفار يفتح الأقفال "**

**يقول ابن تيمية –رحمه الله : إن المسألة لتغلق عليّ، فاستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقل، فيفتحها الله علي وإن من أسباب راحة البال، استغفار ذي الجلال .**

**رب ضارة نافعة، وكل قضاء خير حتى المعصية بشرطها فقد ورد في المسند : لا يقضي الله للعبد قضاءا إلا كان خيرا له .**

**قيل لابن تيمية : حتى المعصية ؟ قال : نعم، إذا كان معها التوبة والندم والاستغفار والانكسار : " وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا " (سورة النساء : 64 ) .**

**قال تعالى : " وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ " (سورة آل عمران : 140 ) وقال تعالى :" كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا " (سورة النازعات : 46 ) .**

**عجبت لعظماء عرفهم التاريخ، كانوا يستقبلون المصائب كأنها قطرات الغيث، أو هفيف النسيم، وعلى رأس الجميع سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو في الغار، يقول لصاحبه : " لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا "، وفي طريق الهجرة، وهو مطارد مشرد يبشر سراقة بأنه يُسوَّر سواري كسرى .**

**بشرى من الغيب ألقت في فم الغار وحيا وأفضت إلى الدنيا بأسرار**

**وفي بدر يثب في الدرع صلى الله عليه وسلم وهو يتلو قوله تعالى : " سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ " (سورة القمر : 45 ) .**

**أنت الشجاع إذا لقيت كتيبة أدبت في هول الردى أبطالها**

**وفي غزوة أحد –بعد القتل والجراح- يقول للصحابة : «صفوا خلفي، لأثني على ربي»، إنها همم نبوية تنطح الثريا، وعزم نبوي يهزم الجبال .**

**قيس بن عاصم المنقري من حلماء العرب، كان محتبيا يكلم قومه بقصة، فأتاه رجل فقال : قُتل ابنك الآن، قتله ابن فلانة فما حلَّ حبوته، ولا أنهى قصته، حتى انتهى من كلامه، ثم قال : غسلوا ابني وكفنوه، ثم آذنوني بالصلاة عليه : " وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ " (سورة البقرة : 177**

**وعكرمة بن أبي جهل يعطي الماء في سكرات الموت فيقول : أعطوه فلانا لحارث بن هشام فيتناولونه واحدا بعد واحد، حتى يموت الجميع .**

**إذا قُتلوا ضجت لمجد دماؤهم وكان قديما من مناياهم القتل**

**قال الشاعر :**

**وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل**

**#" استغفر بصدق ولا تعجز "**

**الناس في أمر الاستغفار أصناف ثلاثة :**

**\* الصنف الأول :**

**صنف صادق مع الله في طلب الغفران فهو يعقد العزم على الإقلاع عن الذنب بقلبه ثم يلهج ذلك بلسانه سائلا مولاه العفو والمغفرة، وكلما عاد إلى الذنب لغلبة طبعه أو غفلة أو نسيان أو ضعف في نفسه وهذا حال أكثر المستغفرين الصادقين .**

**\* الصنف الثاني :**

**صنف كاذب في استغفاره يلهج به باللسان بينما يضمر الإصرار على المعصية في الجنان قال الفضيل بن عياض –رحمه الله- : " استغفار بلا إقلاع، توبة الكذابين "، ويقاربه ما جاء عن رابعة العدوية : " استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير " .**

**وسئل صهل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال : " أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة، ثم التوبة، فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على مولاه، بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه "**

**وقال ابن رجب : " فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله تعالى أهله ووعدهم بالمغفرة في قوله تعالى : " وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ"(سورة آل عمران : 135 )**

**\* الصنف الثالث :**

**فهو الصنف المعرض عن الاستغفار، إما بسبب غفلة، أو بسبب يأس من حالة وخوفه من معاودة المعصية .**

**وهذا الصنف اليائس من رحمة الله يجهل مدى سعة مغفرة الله جل وعلا ولو فقه ذلك لما تخلف قط عن الطمع في عفوه وستره ورحمته .**

**قال تعالى : " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " (سورة الزمر : 53 ) .**

**وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو أخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر لكم» .**

**ولقد يدخل الشيطان خلال ذلك فيمنعه من الاستغفار لما يعلم من أن الله تعالى يغفر للمذنبين كلما استغفروا، وفي الحديث عن أبي سعيد –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني» (رواه الحاكم) .**

**أخي المستغفر .. أختي المستغفرة : الله عز وجل يرضى عن المستغفر الصادق؛ لأنه يعترف بذنبه ويستقبل ربه فكأنه يقول : يا رب أخطأت وأسأت وأذنبت وقصرت في حقك، وتعديت حقوقك، وظلمت نفسي وغلبني شيطاني، وقهرني هواي وغرتني نفسي الأمارة بالسوء واعتمت علي سعة حلمك وكريم عفوك وعظيم جودك وكبير رحمتك .**

**فالآن جئت تائبا نادما مستغفراً، فأصفح عني، وأعف عني، وسامحني، وأقل عثرتي، وأقل زلتي، وأمح خطيئتي، فليس لي رب غيرك، ولا إله سواك .**

**#" النجاة من عذاب الله "**

**روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ليس شيء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيامة الاستغفار في الليل والنهار» فكل من كان في الدنيا من قراءة كتابه خائفا مشفقا، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيما مرفقا ومن كان في الدنيا من الغافلين، كان عند قراءته من النادمين .**

**لو رأيتم يا أهل الذنوب ما قد أثبت عليكم في الديوان، من الخطايا والعصيان، والزور والبهتان، والزيادة والنقصان، والغفلة والنسيان، لعظمت منكم المصائب، وكثرت منكم النوائب، ولسارعتم إلى الثواب والرغائب، ولثبتم إلى رب المشارق والمغارب وأنشدوا :**

**ما بال عينك لا تبكي لما سلفا ذكر الذنوب وخوف النار والتلفا**

**يا أيها المذنب المحصى جرائمه لا تنس ذنبك واذكر منه ما سلفا**

**من الذنوب التي لم تبل جرتها وكيف تبلى وقد أودعتها صحفا**

**أما تخاف أما تخشى فضائحها إذا الغطاء انجلى عنهن وانكشفا**

**واعلموا معاشر المذنبين لو أن الله تبارك وتعالى أطلع بعضنا على صحائف بعض، وكشف له ما فيها من الذنوب لكان الناس يشتغلون عن معايشهم بتعيير بعضهم لبعض، ولعنة بعضهم لبعض، فإنا لله وإنا إليه راجعون .**

**#" يا معشر النساء "**

**عن ابن عمر –رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «يا معشر النساء، تصدق وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» قالت امرأة منهن : مالنا أكثر أهل النار ؟ قال : «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن» قالت : ما نقصان العقل والدين ؟ قال : «شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلي» (رواه مسلم) وقوله : لا، أي : تنسين معروف الزوج وجميله , وفي الحديث الآخر:«لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا يسيرا قالت: ما رأيت منك خيرا قط».**

**قوله : «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب مكن» اللب : العقل الخالص وذلك لعظم كيدهن، وقوة حيلهن. قال تعالى : " إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ " (سورة يوسف : 28 ) .**

**وفي الحديث : استحباب وعظ النساء، وتعليمهن أحكام الإسلام وتذكيرهن بما يجب عليهن وحثهن على الصدقة والاستغفار .**

**وفيه : أن الصدقة والاستغفار من دوافع العذاب .**

**وفيه بذل النصيحة والإخلاص فيها لمن احتيج في حقه إلى ذلك، وفيه جواز طلب الصدقة للمحتاجين ولو كان الطالب غير محتاج، واستدل به على جواز صدقة المرأة من مالها من غير توقف على إذن زوجها أو على مقدار معين والله أعلم .**

**أما قوله صلى الله عليه وسلم : «وأكثرن من الاستغفار» دليل على أن الاستغفار سبب في نجاة المرأة عما يكون قد بدر منها من سوء العشرة الزوجية أو ما ارتكبته من خلل أو خطأ في حق زوجها وفيه دلالة أيضا على أن الاستغفار سبب في النجاة من النار يوم القيامة .**

**فيا أختي المسلمة : عليك بالاستغفار امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم حتى تكوني من الفائزين في الدنيا والآخرة (1)**

**#" المواعظ في الاستغفار "**

**أخي القارئ : الاستغفار إذا كثر من الأمة، وصدر عن قلوب موقنة مخلصة، دفع الله عنها ضروبا من النقم والشرور العامة فعن مالك بن دينار أنه قال : كان الأبرار يتواصون بثلاث : سجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة عن القوم .**

**\* وقال عالم : أربعة أشياء من العبد وأربعة من الرب : الشكر من العبد والزيادة من الرب، والطاعة من العبد، والقبول من الرب، والدعاء من العبد، والإجابة من الرب، والاستغفار من العبد، والغفران من الرب .**

**\* وسئل عبد العزيز بن أبي رواد : ما أفضل العبادة ؟ قال : طول الحزن في الليل والنهار، وكثرة الاستغفار .**

**\* وقيل لعالم : ما علامة سعادة العبد ؟ قال خروجه من ضيق الإصرار على الذنب وولوجه في سعة الاستغفار .**

**\* وقال إبراهيم بن أدهم : كثير الخير قليل، الشر كثير، وأعلم أن الجهل مغنم، والذم مغرم، والاستغفار ملجأ .**

**\* وقيل لمالك بن دينار : فيك سياسة وهيبة ولست بملك ولا أمير فمن أين هذا لك ؟ .**

**\* قال : بأكل الحلال، والأمن بالرزق، والرضا بالقضاء، والإخلاص في العمل، والصبر على الشدة، والشكر عند النعمة، والتقى عند الشبهة، والاستغفار عند الخطيئة .**

**00000000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) التداوي بالاستغفار،حسن بن أحمد همام .**

**\* وحكي أنه رؤي بعض الصالحين في النوم، فسئل عن حاله فقال : نجوت بعد كل جهد ، قيل : بأي الأعمال وجدت النجاة ؟ قال : بالبكاء من خشية الله، وطول الاستغفار .**

**\* وحكي أنه قال بعض المريدين لواعظ: اذكرني في صالح دعائك قال : أذكر ذنبك وتب واستغفر، فإن الله تعالى يقول : " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا " (سورة نوح : 10 ) .**

**\* وحكي عن إبراهيم بن أدهم : أنه قال : مثلت نفسي في الجنة كأني أكلت من طعامها، وعانقت حواريها، ومثلت نفسي في النار كأني أكلت من ضريعها وعالجت أغلالها، فقلت لنفسي : ما تشتهين الآن ؟ قالت : أرجع إلى الدنيا فأتوب واستغفر قلت فمن مثلك إذا أعطيت سؤلك ؟ فقومي الآن فتوبي واستغفري :**

**لا تنس ذنبك إن الله ساتره واستغفر الله من ذنب تباشره**

**كم من هوى لك مقرون بمعصية وأصبحت تركبه الله غافره**

**\* ومن موعظة الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز –رحمهما الله تعالى : أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة، لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها، هي كالسم يأكله من لا يعرف، وفيه حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا، ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء، فاحذر هذه الدنيا الخداعة الغدَّارة الختَّالة التي قد تزينت بخدعها وقتلت بغرورها، وتحلت بآمالها وسوفت بخطابها فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بالأول مزدجر، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد، فشغل فيها له حتى زلت به قدمه، فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وتألمه وحسرات الفوت بغصته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يرح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد.**

**فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسرَّ ما تكون فيها، احذرها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ، وضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء إلى فناء فسرورها مشوب بالأحزان، أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد ابن آدم فيها على خطر .**

**#" إني منهمك في الذنوب "**

**قيل : جاء شيخ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله منذ عرفته وآمنت به، ولم أتخذ من دونه وليا، ولم أوقع المعاصي جرأة، وما توهمت طرفة عين أن أُعجز الله هربا، وإني لنادم تائب، فما ترى حالي عند الله سبحانه ؟ فأنزل الله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا " (سورة النساء : 116 ) .**

**#" أهل العفو وأهل المغفرة وأهل الرحمة "**

**يعامل الله عز وجل الأمة المحمدية على درجات ثلاث :**

**أهل العفو وأهل المغفرة وأهل الرحمة، أهل العفو هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وإمامهم الصديق أبو بكر –رضي الله عنه-**

**وأما أهل المغفرة فهم الذين كانت لهم هفوات وماتوا من غير توبة، يستلمون الكتاب بأيمانهم ويفتحونه فإذا النور، فتبيض وجوههم، فيطالعون الكتاب فيجدون بعض الهفوات، فيظنون الهلاك، فيخاطبهم الحق في سرهم : سترتها عليكم في الدنيا واليوم أغفرها لكم ولا أبالي**

**أما أهل الرحمة فهم الذين لهم ذنوب كثيرة فيرحمهم الله بسبب أفعال صالحة عملوا بها في الدنيا .**

**ففي يوم القيامة من ثقلت حسناته على سيئاته بحسنة واحدة دخل الجنة، ومن ثقلت سيئاته على حسناته بسيئة واحدة دخل النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته فأمره إلى الله، فيؤتى برجل ليس له إلا حسنة واحدة، فيجد رجلا آخر يبحث عن حسنة واحدة ليتم حسناته ليدخل الجنة فيعطيها له ويقول له : خذها فإني هالك هالك. فيقول الله له : خذ بيد أخيك فادخلا الجنة .**

**وأعلى درجات الغفران هي العفو، لذا نجد في القرآن أن العفو سبق المغفرة والرحمة في قوله تعالى : " وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " (البقرة : 286) .**

**#" ومن أصدق من الله قيلا "**

**يقول الداعية خالد السلطان : في ليلة من ليالي التشريق "أيام الحج" وبالقرب من البيت العتيق ألقيت كلمة عن الاستغفار ومعناه وفضله وأثره وكان كلامي فيه الدليل والمنطق والعقل، فلما انتهيت من كلمتي القصيرة "وهي عادتي" طلب أحد الحاضرين الحديث معي على انفراد فقبلت الحديث معه فبدأ يسرد قصته مع الاستغفار .**

**أبو يوسف : أنا تزوجت ولله الحمد ولكن زوجتي تأخرت بالإنجاب فقمت ببذل الأسباب، ما سمعت عن طبيب إلى زرته ثم سافرت بعد ذلك للخارج التمس العلاج والكل يؤكد بقوله : "ما منك إلا العافية أنت وزوجتك" ، فرجعت إلى بلدي وكلي رجاء بالله –والله على كل شيء قدير- قلت : أسأل الله أن يرزقك الذرية الصالحة يا أبو يوسف وعليك بالدعاء خاصة أنك في أيام عظيمة وفي مكان عظيم وأنت مجاور البيت العتيق أبو يوسف: آمين لكن بعد لم أكمل قصتي .**

**قلت : كمل يا أبو يوسف وكلي أذن صاغية .**

**أبو يوسف : في يوم من الأيام وأنا أستمع لإذاعة القرآن الكريم من المملكة العربية السعودية سمعت من يقرآ الآية التي ذكرتها يا شيخ في كلمتك من سورة نوح " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " (سورة نوح : 10-1 )، فشرح الشيخ الآية وبين أن الاستغفار طريق لجلب الأطفال فعلقت الكلمات في بالي فلما رجعت للمنزل قلت لزوجتي ما سمعت وعزمنا على أخذ العلاج "الاستغفار" ليلا ونهارا سرا وعلانية "تدري يا شيخ ما حصل" ؟ زوجتي حملت بنفس الشهر الذي استغفرنا فيه وجاء "يوسف" والحمد لله , قلت : ما شاء الله صدق الله وهو خير الصادقين "والله لا يخلف الميعاد" وقال تعالى : " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " أبو يوسف : يا شيخ إلى الآن لم تنته قصتي بعد , قلت : خلاص جاك الولد "شنو بعد" أبو يوسف : لما انتهت زوجتي من النفاس قلت لها : استغفري يا أم يوسف للثاني فاستغفرنا مثل الأول فحملت بنفس الشهر، وجاء الثاني بحمد الله ولما انتهت من نفاسها الثاني، قلت استغفري يا أم يوسف قالت نريد ثالث فاستغفرنا فجاء الثالث ولله الحمد، فما انتهت زوجتي من نفاسها قالت يا أبو يوسف وقِّف عن الاستغفار "بنية الأولاد" شوي حتى يكبر الأولاد وبعدها نرجع نستغفر للرابع بإذن الله .**

**قلت : الله يبارك لك بما رزقك ويجعل ذريتك قرة عين خالصة إنك رأيت آية من آيات الله فيك وفي زوجتك وفي ذريتك , أبو يوسف : آمين الله يستجيب دعاءك لكن يا شيخ ما خلصت بعد قصتي , قلت : ما انتهت الأحداث بعد ؟ أكمل يا أبا يوسف .**

**أبو يوسف : بعدما كبر الأولاد قليلا قلت لأم يوسف عندنا ثلاثة أولاد ونرجو من الله أن يرزقنا "بنت حلوة" استغفري يا أم يوسف وأنت ترجين بنتا فسكت أبو يوسف قلت : الله يرزقك البنت كما رزقك الأولاد يا أخي الكريم , أبو يوسف : أبشرك يا شيخ أنا اليوم جئت الحج وزوجتي في النفاس مع بنتها الجديدة "انتهت قصة أبو يوسف" .**

**أخي القارئ .. أختي القارئة : القصة السابقة فيها عدة أمور لابد نتعرف عليها حتى تكتمل المعاني :**

**1- بأن معك الاستغفار وفضله وأثره .**

**2- الاستغفار يؤثر على حسب نية المستغفر أي لأي شيء تستغفر لطلب مال، ولد، نجاح، توبة، فعلى نية المستغفر يكون الأثر بإذن الله .**

**3- يحتاج الاستغفار لنية صادقة ومخلصة لله، وأن تدرك معناه وأن تفهم المراد منه فالنية لها أثرها في حياتك كلها .**

**4- الله لا يخلف الميعاد وإذا تخلف الأثر، فأعلم أن هناك أمرا تسبب به .**

**5- الاستغفار كالدعاء إما يأتيك ما طلبت، وإما يأتيك غير طلبك، وإما يصرف عنك سوءاً بسبب استغفارك، أو أن يدخر الله لك ما استغفرت ليوم القيامة فيجازيك جزاء الضعف عنده جل وعلا .**

**#"أكثروا الاستغفار واقضوا حوائجكم بالاستغفار" .**

**فما بالنا نقلل من شأن هذه الكلمة "استغفر الله" ما بالنا لا نستغفر الرحمن ولو لدقائق معدودة عند الصباح والمساء والنوم، فوقتها قصير وأثرها جد عميق، فيا شاكي الفقر استغفر الله يرزقك ويكسبك، ويرزقك القناعة فتحس أنك غني، وأنت أفقر الناس، ويا أختي العاقر لا تيأسي من أن تستغفري الله فهو الرازق، وهو الولي في الدنيا والآخرة، وهو خير الرازقين، ويا أختي الطالبة استغفري الله إذا تأزمت المواقف وعجز العقل عن الحل .**

**#" حاسب بعضهم نفسه "**

**حاسب بعضهم نفسه من وقت بلوغه، فإن زلاته لا تجاوز ستا وثلاثين زلة، فاستغفر الله لكل زلة مائة ألف مرة، وصلى لكل زلة ألف ركعة، ختم في كل ركعة منها ختمة، قال : ومع ذلك فإني غير آمن من سطوة ربي أن يأخذني بها، وأنا على خطر من قبول التوبة (جامع العلوم والحكم) .**

**المسائل يا أختي المهمة المبتلاة استغفري الله، فإن الله هو المبتلي بالأمراض ليختبر قلوب عباده، وهو الشافي منها، والقادر على فك وتفريج الكربة .**

**أيها الإخوة : هذه الكلمة مكونة من عشرة أحرف، ولكن أجرها عظيم عند الله، ولو تأملناها لوجدنا الدواء الذي نغفل عنه جميعا فمن منا لا يريد السعادة والراحة لنفسه القلقة، ومن منا لا يريد دواء لكل داء، ومن منا لا يريد أنهارا تمتد لتستمر الحياة، فقولوا جميعا : "استغفر الله" .**

**#" من لزم الاستغفار وقصة الزلزال "**

**في زلزال باكستان المعروف والذي بلغ ضحاياه الألوف شاءت عناية الله عز وجل أن تنقذ هذا الرجل من موت محقق.**

**كان في بيته عندما وقع الزلزال تناول طعامه ثم ذهب إلى مكان نومه لينال قسطا من الراحة وبينما هو مستلق على فراشه حدث الزلزال المدمر أخذت الغرفة ترج بقوة، بل البيت كله بدأ السقف يتشقق من فوقه وهو ينظر إليه، من شدة هول المفاجأة لمن يستطع أن يتحرك من مكانه، بدأت أركان الحجرة تتساقط أمام عينيه فما كان منه إلا أن أخذ الاستغفار يقول : استغفر الله .. استغفر الله بصورة مستمرة، وبدأ السقف في السقوط كل هذا الأحداث مرت في وقت قصير جدا لا يتعدى بضع دقائق وأراد الله عز وجل لهذا الرجل النجاة .**

**يقول عن نفسه : "وبالفعل سقط السقف المتكون من طبقة خرسانية سميكة لكن ولله الحمد تناثرت أجزاؤه في كل أنحاء الغرفة إلا الموضع الذي أنا فيه" وخرجت مسرعا وحمدت الله عز وجل .**

**قلت : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب»**

**#" ختم المجالس بكفارة المجلس "**

**لما كان الإنسان ضعيفا، وكان الشيطان حريصا على إضلاله، والسعي دوما إلى إغوائه، والنيل منه عن طريق اقترافه للسيئات فكان منه أن تربص للمسلمين في مجالسهم، وأنديتهم محرضا لهم على قول الزور والباطل. ولما كان الله رؤوفا بعباده شرع لهم على لسان نبيهم كلمات يقولونها، تكفر عنهم ما علق بهم من أدران ذلك المجلس، ثم امتن عليهم ربهم بأن جعل هذه الكلمات طابعا لمجلس الخير فالحمد لله أولا وآخرا , وهذه الكلمات جاءت في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : قال صلى الله عليه وسلم : «من جلس في مجلس كَثُر فيه لَغطه فقال قبل أن يقوم : سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك، ثم أتوب إليك إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك» (رواه أحمد) وعند الترمذي «سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» .**

**ومن حديث عائشة –رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس مجلسا أو صلى تكلم بكلمات فسألته عائشة –رضي الله عنها- عن الكلمات فقال : «إن تكلم بخير كان طابعا عليهن إلى يوم القيامة، وإن تكلم بغير ذلك كان كفارة له، سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك »(رواه النسائي وأحمد) .**

**أخي القارئ : فإذا كنت مع إخوانك أو في أي اجتماع أو مجلس يجب أن لا تغفل عن هذا الدعاء , فمعلوم أن البلاء والعذاب لا ينزلان إلا بسبب الذنوب، وإن الرحمة والسكينة تنزل بذكر الله وطاعته واتباع رضوانه فالمعاصي والسيئات والذنوب هي مُوجبات العذاب والبلاء في النفس والمال والجسد .**

**وعن ابن عمر –رضي الله عنهما- أنه لم يكن يجلس مجلسا كان عنده أحد أو لم يكن إلا قال : "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك وارزقني من اليقين ما تهون به عليّ مصائب الدنيا، وبارك لي في سمعي وبصري، واجعلهما الوارث مني، اللهم اجعل ثأري على من ظلمني، وانصرني على من عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي، اللهم لا تسلط عليّ من لا يرحمني" فسئل عنهن ابن عمر –رضي الله عنهما- فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختم بهن مجلسه (صحيح الحاكم في المستدرك وصححه الذهبي ووافقه) .**

**ومنه دعاء أبي مالك الأشجعي –رضي الله عنه- عن أبيه أنه يعلم من أسلم أن يقول: "اللهم اغفر لي، واهدني، وارزقني، وعافني وارحمني"(1)**

**وعن أبي هريرة –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة» (موسوعة الدعاء، حامد أحمد الطاهر) .**

**إذاّ أخي المسلم : كيف يكون ثوابك على ذكر الله ودعائك عند قيامك من المجلس، كل ذلك لتكون على صلة بالله ومراقبا له وليكون الله حاضرا معك لا يغيب عن ذهنك، تراه في كل شيء تقع عليه عينك وفي كل كلمة تسمعها أذنك. ويكون شعارك "الله" أولا وأخيرا وهو معك أينما كنت وعلى أي موضع تكون وفي أي مكان : " وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ "، إن ذلك هو السلوك الحسن والمنهج السليم الذي رسمه لك الهادي الأمين، فكن يا أخي ممن طلبتهم العناية وجذبتهم للحضرة العلية، فعاشوا في الدنيا سعداء لقربهم من الله وفي الآخرة من الفائزين برضوان الله ومحبته**

**والآن ترى ماذا كان وضع أصحاب القلوب الكبيرة والنفوس العلية والأجسام الطاهرة عند دعوتهم لرب الأرباب وتضرعهم إليه؟ ماذا كانت النتيجة؟ ..(2)**

**وفي الختام "اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي ، لا إِلَه إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَني وأَنَا عَبْدُكَ ، وأَنَا على عهْدِكَ ووعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صنَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمتِكَ علَيَ ، وأَبُوءُ بذَنْبي فَاغْفِرْ لي ، فَإِنَّهُ لا يغْفِرُ الذُّنُوبِ إِلاَّ أَنْتَ " 000 والحمـــد لله الذي تتم بنعمتـه الصـالحـات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبـه أجمـعـين ، انتهيت من هذا الكتاب المبارك في ليلة الأحد الحادي عشر من شهر شعبان للعام 1438ه في منزلي الكائن في قريتي آل دماس بعراء بمنطقة الباحة في بلدي الحبيب المملكة العربية السعودية**

**00000000000000000000000000000000000000000000000**

**(1) (صحيح مسلم (2697) في الذكر والدعاء) .**

**(2)بحث رائع لمصطفى شيخ إبراهيم حقى (بتصرف ) – الأنترنت – موقع الكلم الطي**

**ثبت العناوين**

**العنوان الصفحة**

**#المقدمة 000000000000000000000000000000000000000000 1**

**#المعنى اللغوي للتوبة 00000000000000000000000000000000000 1**

**#المعنى الإصطلاحي للتوبة 000000000000000000000000000000000 2**

**#منهج فهم معاني الأسماء الحسنى والتعبد بها ( التواب )000000000000000000 4**

**# عبارة العلماء في التوبة النصوح على ثلاثة وعشرين قولا 90000000000000000**

**#أهميَّة التوبة والاستغفار000000000000000000000000000000000 10**

**# أقوال مأثورة في الاستغفار00000000000000000000000000000000 11**

**# فضل التوبة 00000000000000000000000000000000000000000 14**

**# شروط التوبة 0000000000000000000000000000000000000000 17**

**# الفرق بين التوبة والاستغفار، وهل ينفع الاستغفار بدون توبة ؟0000000000000 19**

**#فوائد وثمرات الاستغفار000000000000000000000000000000000000 21**

**# المعصية طارئة 00000000000000000000000000000000000000000 27**

**#التواب اسم من اسماء الله الحسنى 000000000000000000000000000000 27**

**# ما يتاب منه 00000000000000000000000000000000000000000 34**

**# التوبة خير وعدمها تولي وعذاب 0000000000000000000000000000000 39**

**#التوبة تنجي صاحبها من القتل والأخذ000 بل تخلي سبيله000000000000000000 42**

**#التوبة من الربا تضمن لصاحبها رأس ماله ويسلم من حرب الله له000000000000000 45**

**#التائب من فتنة المؤمنين والمؤمنات يعافيه الله من العذاب00000000000000000000 46**

**#المنافقون يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون000000000000000000 50**

**#من قال كلمة الكفر وكفربالله ثم تاب كان خيرا له 000000000000000000000 51**

**# أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم 00000000000000000000 53**

**#التوبة على الله لمن عملوا السيئات بجهالة إذا تابوا من قريب 00000000000000000 55**

**# أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ 00000000000 57**

**#من يعمل السيئات ثم يتوب يغفر الله له0000000000000000000000000000 62**

**# إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم 00000000000000 63**

**# من يتوب من إيذاء رسول الله والمؤمنين يعافيه الله من مصير الظالمين 000000000000 65**

**# من لم يتب من السخرية واللمز والتنابز والفسوق فأولئك الذين ظلموا أنفسهم 00000000 66**

**#التوبة عن إبداء الزينة لغير المحارم 00000000000000000000000000000000 67**

**#أسباب التوبة 0000000000000000000000000000000000000000000 71**

**#من هم قساة القلوب؟000000000000000000000000000000000000000 78**

**# مفتاح التوبة 0000000000000000000000000000000000000000000 78**

**#دفع قدر الله بقدر الله000000000000000000000000000000000000000 83**

**#النفس الأمارة .. ودروب الشيطان 00000000000000000000000000000000 84**

**#الفطرة تأبى القبائح 000000000000000000000000000000000000000000 85**

**#التوبة النصوح من جميع الذنوب يُدخل الجنة 00000000000000000000000000000 86**

**#إذا تاب العبد من الذنب، هل يَرجِعُ إلى ما كان عليه قبل الذنب ؟00000000000000000 90**

**# ومن اتهام التوبة 0000000000000000000000000000000000000000000 92**

**#علامات صحة التوبة 00000000000000000000000000000000000000000 92**

**# أمرالله عباد العجل بالتوبة فلما تابوا تاب الله عليهم00000000000000000000000 95**

**# الله يحب التوابين ويحب المتطهرين 0000000000000000000000000000000 97**

**#من تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا 00000000000000000000 100**

**# توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا 0000000000000000000000000000000000 101**

**#الله يريد أن يتوب على عباده 000000000000000000000000000000000 102**

**# الله يتوب على من يشاء 00000000000000000000000000000000000 104**

**#الله له الخيرة في أن يتوب أو لا يتوب على من يشاء وفق علمه وحكمته 00000000000 106**

**# من خلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليه 000000000000000000 109**

**#فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه 0000000000000000000000 111**

**#يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ويعذب المنافقين والمشركين 00000000000000 114**

**#التوبة والإستغفار من الأسبابُ العشرة المانعةُ من العقوبة 0000000000000000000 115**

**#فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم 000000000000000 120**

**# لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار000000000000000000000000000 125**

**# الذين كانوا يختانون أنفسهم تاب الله عليهم وعفا عنهم 0000000000000000000000 129**

**#الذين لم يحصوا قيام الليل تاب الله عليهم 00000000000000000000000000 130**

**#وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم 000000000000000000000 131**

**#أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم 00000000000 134**

**# وأرنا مناسكنا وتب علينا 00000000000000000000000000000000000 136**

**#التوبة صفة من صفات المؤمنين 00000000000000000000000000000000 137**

**#غافر الذنب وقابل التوب 00000000000000000000000000000000000 139**

**#قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب 00000000000000000000000 141**

**# التوبة لها مبدأ ومنتهى 00000000000000000000000000000000000000 141**

**#الله هو يقبل التوبة عن عباده 0000000000000000000000000000000000 142**

**# توبة القاتل 0000000000000000000000000000000000000000000 146**

**#الذين يتوبون من كتمان البينات والهدى يتوب الله عليهم 00000000000000000000 147**

**# ثواب التوبة النصوح 000000000000000000000000000000000000000 149**

**#لما دنا أجل رسول الله أمره الله بالتسبيح والإستغفار 0000000000000000000000 156**

**# الأمر بالتوبة 0000000000000000000000000000000000 160**

**#الاستجابة للأمر بالتوبة 00000000000000000000000000000000000000 161**

**# الله يغفر للذين إرتدوا بعد ايمانهم إذا تابوا 0000000000000000000000000000 162**

**# الملائكة تدعوا للمؤمنين التائبين بالمغفرة 000000000000000000000000000000 165**

**# وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ 00000000000000000000000 167**

**# ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ 00000000000000000000000000 168**

**# # وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّه وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا 170**

**# الله يغفر لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى 00000000000000000000000 172**

**#طريقة سهلة لعلاج المعاصي والذنوب والأحزان 00000000000000000000000000 174**

**#أسبابُ مغفرة الذنوب0000000000000000000000000000000000000000 181**

**#أسباب دفع العقوبات0000000000000000000000000000000000000000 189**

**#خطر الاستهانة بالذنوب واستصغارها 00000000000000000000000000 190**

**#حرص الصحابة على إصلاح الخطأ 000000000000000000000000000000000 191**

**#خطر استعظام الذنوب 00000000000000000000000000000000000000 192**

**#تبديل سيئات التائبين إلى حسنات 00000000000000000000000000000000 193**

**#طريقة لتكفير المعاصي 0000000000000000000000000000000000000000 194**

**#مكانة المذنب في المجتمع الإسلامي 00000000000000000000000000000000000 194**

**#مسامحة المذنب إذا تاب 000000000000000000000000000000000000000 196**

**#ذنوب لها فائدة 00000000000000000000000000000000000000000000 197**

**#حكم التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره 000000000000000000000000000000 199**

**#رجوع التائب من المعصية إلى منزلته التي كان عليها قبل المعصية 0000000000000000 200**

**#أنواع غير مقبولة من التوبة 00000000000000000000000000000000000 200**

**#تذكرة للمشتاقين إلى التوبة 00000000000000000000000000000000000000 201**

**#الجهل بالأحكام من معوقات التوبة 0000000000000000000000000000000000 202**

**#أحكام توبة تارك الصلاة أو الصيام 0000000000000000000000000000000000 202**

**#أحكام التوبة المتعلقة بالزكاة 00000000000000000000000000000000000000 203**

**#توبة أهل الأفكار المنحرفة 000000000000000000000000000000000000000 203**

**#أحكام التوبة من جريمة القذف 0000000000000000000000000000000000000 204**

**#أحكام التوبة من انتهاك الأعراض 000000000000000000000000000000000000 205**

**#كيفية التحلل فيما يتعلق بالأموال والجنايات 0000000000000000000000000000000 206**

**#إرجاع الأموال المسروقة 00000000000000000000000000000000000000000 206**

**# رد البلاء بالاستغفار 000000000000000000000000000000000000000000 207**

**#" الاستغفار في البيان النبوي "000000000000000000000000000000000 210**

**#" تعزَّ بأهل البلاء "0000000000000000000000000000000000000000000 211**

**#" مظاهر الابتلاء "0000000000000000000000000000000000000000000 212**

**#" الابتلاء سنة من سنن الله في حياة الناس "000000000000000000000000000000 214**

**#" نزول البلايا بالمؤمن وغيره "000000000000000000000000000000000000000 215**

**#" الخشية والخوف من الله من أسباب مغفرة الذنوب "0000000000000000000000000 216**

**#" لو بلغت ذنوبك عنان السماء...؟ "00000000000000000000000000000000000 217**

**#" تأثر الحجر الأسود بالذنوب " 0000000000000000000000000000000000000 218**

**#" الأدعية والاستغفار على ألسنة أنبياء الله ورسوله عليهم السلام "00000000000000000 219**

**#" التوحيد والاستغفار " 000000000000000000000000000000000000000 221**

**#" الاستغفار بالقلب واللسان "00000000000000000000000000000000000 222**

**#" صيغ الاستغفار "00000000000000000000000000000000000000000 223**

**#" سيد الاستغفار " 0000000000000000000000000000000000000000 224**

**#" فضائل الاستغفار " 000000000000000000000000000000000000000 225**

**#" ثمار الاستغفار "00000000000000000000000000000000000000000 226**

**#" فوائد الاستغفار "0000000000000000000000000000000000000000 226**

**#" وقت الاستغفار " 000000000000000000000000000000000000000 227**

**#" مفاتيح المغفرة " 00000000000000000000000000000000000000000 228**

**#" للاستغفار مواطن وأحوال "0000000000000000000000000000000000 231**

**#" الاستغفار حاجة دائمة للعبد " 00000000000000000000000000000000000 233**

**#" الاستغفار حاجة دائمة للعبد " 00000000000000000000000000000000000 233**

**#" الاستغفار يفتح الأقفال " 0000000000000000000000000000000000000 235**

**#" استغفر بصدق ولا تعجز " 000000000000000000000000000000000000 236**

**#" النجاة من عذاب الله " 00000000000000000000000000000000000000 238**

**#" يا معشر النساء " 0000000000000000000000000000000000000000 238**

**#" المواعظ في الاستغفار " 000000000000000000000000000000000 00 239**

**#" إني منهمك في الذنوب " 00000000000000000000000000000000000 240**

**#" أهل العفو وأهل المغفرة وأهل الرحمة " 00000000000000000000000000000 241**

**#" ومن أصدق من الله قيلا " 0000000000000000000000000000000000 241**

**#"أكثروا الاستغفار واقضوا حوائجكم بالاستغفار" .000000000000000000000000 243**

**#" حاسب بعضهم نفسه " 0000000000000000000000000000000000000 243**

**#" من لزم الاستغفار وقصة الزلزال "0000000000000000000000000000000 243**

**#" ختم المجالس بكفارة المجلس "0000000000000000000000000000000000 244**

**التوبة**

**قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً} وقال :{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }**

**جمع وتأليف الدكتور / مسفر بن سعيد دماس الغامدي**